أثير عبد الله

RAYAHEEN

أحببتك أكثر مما ينبغي
رواية

www.mlazna.com

www.mlazna.com منتديات ملاذنا
تظنُّ بأنني قادرة على أن أترك كل شيء خلفي وأن أمضي قُدْماً. لكنني لم أكن أذكى على جدارك الضبابي. بانتظار أن تنزل سلام النور إلي من حيث لا أحتسب. سلام ترفعتني إلى حيث لا أسري وتنشلني من كل هذه اللِّغة.

قهريه هذا الحب، قهرني لدرجة أنني لم يعد أفكر في شيء غيره، أحببتك إلى درجة أنك كنت كل أحلامي. لم أكن بحاجة لحلم آخر. كنت الحلم الكبير، العظيم، الشهي. المظلم. الذي لا يضاهيه في سمو ورفعته حلم. أقاومك بضراوة، أقاوم تخليك عنني بعنف أحياناً ويبضع أحياناً أخر، أقاوم رغبتك في أن تتركني لأنه لا قدرة لي على أن أقبل تركك إياي. أصرخ في وجهك حيناً، وأبكي أمامك حيناً آخر ومخلاب الذل تنهش أعماقي.

مصلوب أنت في قلبي. فرجل مثلك لا يموت بثقيلية، رجل مثلك يظل على رؤوس الأشقاء. لا ينسى ولا يرحل ولا يموت كباقي البشر.

أثير عبد الله النشمي
سعودية مقيمة في الرياض. من مواليد يونيو 1984م.
الإهداء

إلى أمي وأبي وشقيقاتي اللاتي يساندنني دوماً...
إلى سعود الذي أعول عليه كثيراً...
شكرًا على منحي كل شيء... أحبكم بحق...

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^
لا تحزني،
فالآن يرحل عن ربوتك...
فارس مغلوب،
فاروق جويدة...

أثير عبدالله
تجري الأيام مسرعة... أسرع مما ينفعي...
ظننت بأننا سنكون في عمرنا هذا معًا وطفلنا الصغير يلعب بيننا... لكنني أجلس اليوم إلى جوارك، أندب أحلامي الحقيقى...
غرقنا في حبي لك ولا قدرة لي على انتشال بقايا أحلامي من بين حطامك... أشعر وكأنك تختفقى بيديك القويتين يا عزيزا... تختفقى وأنت تبكي حبا...
لا أدرى لماذا تتركني عالقة بين السماء والأرض... لكنني أدرك بأنك تسكان أطرافي وبنك (عزيز) كما كنت...

(أحببتك أكثر مما ينفعي، وأحببتني أقل مما أستحق)...
محبتي أكثر مما ينبغي

مجدداً صفحة بيضاء أخرى. نظرت عليها سطور حياتنا الجديدة بلا نزوات ولا هفوات ولا كبوتين. لكننا لم نبتعد يوماً من جديد. كنا نمارس عاداتنا نفسها وتزاول ممارساتنا الحميمين على هيئة. ونستمر في حياة ندعي بأنها جديدة. لها الطابع واللون والروتين القديم ذاته.

كنت أحقق نفسياً بمورفين البدايات الجديدة هذه لأرتاح مؤقتاً. كنت كمريض يحتضر. مريض يلجلج إلى المسكنات ليسقط في غيبوبة نوم بانتظار موت رحيم أو شفاء يجود به الشافي فتقبله من الألم.

لا ينبغي أحدٍ بداية جديدة مع الحبيب. الحب كزجاجة رقيقة يا عزيز. زجاجة من السهل خدشها، زجاجة لا يعدها إلى حالاتها الطبيعية شيء بعد أن تخدش.

قلت لي ليلة (ما الحب إلا ادعاء). أحزنتني نظرتك للحبيب ذلك. لكنني اليوم أفكر كثيراً في ما كان يوماً بيننا وقد اختلطت عليّ التعريفات والمقاليس والرؤى. أكان حينا ادعاء يا عزيز. أكان أذونية؟! حالة تلبستنا لأننا أردنا أن تلبسنا لنصبح جزءاً من حالة (حب) رغبتنا بأن نصبح جزءاً منها. لست أدرى!

أحزنتني القول بعد كل هذه السنوات إنني لست أدرى. أشعر أحياناً وكأنني لم أعرفك يوماً. تختلط عالي مشاعري فنهاج قناعاتي القديمة وتحل مكانها علامات استفهام وتتعجب لأجواب لها ولا رد عليها.

اليوم احتاج لأن ترجع إليّ من جديد. احتاج لأن تتزود لتفسر لي الماضي، لتشرح لي سلوكياتك المهمة. احتاج لأن تثير لي طريقة معتناً أجيبرتي على السير فيه لكنني لا أظن أنك ستفعل...

أنتدي يا عزيز. ما زلت لا أدرك، لا أدرك كيف يتلاعب...
رجل بامرأة تحبه من دون أن يخفى للحظة مما يفعله نحوها! كيف تلاعبت بي على الرغم من كل ما حملته في نفسي نحوك! لم تكن رجلاً أحبهتي يا عزيز. كنت لي الدنيا بين فيها، فكيف سمحت لنفسك أن تتلاعب وتر момاً قمت به بهذه الصورة؟! 

بت الآن لا أحلم إلا بالانتهاء مما يجري. أكذب عليك إن قلت بأتي لا أجرح سحقك! لست منكهة إلى درجة أكاد فيها غير قادرة على سحق نملة! تحت أن تتشق النملات، أخبرك دوماً بأن الله سيعاقبك فتضحك مثل شذقي وتقول: أما زلت تصدقي بأننا نتحول يوم ذاك لنملات، تسحقن في النملات الحقيقيات. جزاء على ما فعلناها بها في الدنيا؟! 

تغفر كثيراً من منطقت الجزاء والحساب، العقاب والغرائب! تفعل كل شيء ولا تأتي لما سيجري يوماً. ولا تفكر بما ستلتقي من حساب. تظن بأنك ستتناز من كل شيء. مؤمنة أنه يوم الحساب أكثر من أي شيء، ويريحني هذا الإيمان كثيراً. فتفضل بأنه ما يخفف عنني وما أنتظره. 

أنتظرب بأنني فاسدة لأنني أنتظر وأامر وأرجو أن تعاقب على ما اقترفته بحقي؟ أنت في طلبٍ لإنصاف الله لي حقداً لا مبرر له؟.

تقول لي دوماً إنني امرأة حقوقا! ترى في امرأة حاقدة لأنني أرجو من الله أن يداوي جراحتي تطبيقاً لعدلته. أشعر أحياناً بالشفقة عليك وعلى الرغم من كل شيء. لم أقصر يوماً معاك ولم أكن لأنوائنا عن بما كل ما أستطيع لتصبح رجلاً أفضل. كنت على استعداد لأن أصغَّر فتكرب. لأن أفشل لتنجح، لأن أخيراً لتعلم. 

أتام كل ليلة وأنا على يقين من أنني بذلك كل ما بوسعي. وتنام كل ليلة وأنت تدرك بأنك لم تفعل بعضاً مما أستحقه. أشفق
ليبيك لأنك أخطأت وعصيت لدرجة أن المغفرة ستأتي أن تحل عليك! أشفق عليك لأنني وعلى الرغم من حبي لن أسامحك ما حبيت. أشفق عليك لأنك ستتحمل ذنبي في حياتك وبين يدي الرب. أشفق عليك يا عزيز لعن تي مع ذلك لن أغفر لك!

***

لا أحبك حينما تدعوني لزيارة روبرت وباتي لتنشغل عنى بأمر آخر. لا أدرى لماذا تطلب مني المجيء، وأنت تدرك جيداً بأنني سواقسي وقتي في مراقبتك ولا شيء أكثر! لو تدري كم كنت أشعر بالملل وأنت تراجع دروسك أمامي. كان روبرت الكهل الكندي الذي تقطن منزله لأكثر من خمس سنوات يقامر مع زوجته وأصدقاؤهما في زاوية الغرفة. وقد كنت منهماك بمراجعة دروسك. أما أنا فقد كاد الملل أن يقتني...

ناديتكي: عزيز.
أجتني: هاه!

عُزيز؟
هاه!!
عُزيز؟
هاه!
عُزيز؟
ملت...

قلت لي دون أن ترفع رأسك عن أوراقك: عليك بالقراءة!
لا مزاج لآن أقرأ.
أكتب...
لا مزاج لي لآن أكتب...!

14
فكرني...
بماذا؟!؟
هي!
عبدالعزيز...
هات؟
ممكن أن ألعب معهم؟
رفعت رأسك نحوى وعيناك تشعان غضاً...
همست لك بخوض: أنت تقامر!...
أنا سيئ!...
قلت لك بعدم: وأنا سيئة...
حقاً! هذه مشكلة... لأنني لا أحب الفتيات الساترات...
ضريتك بالوسادة وصمت... وأعصابي تغلي من...
تجاهلك... المتعمدان!

***
مازلت أذكر اليوم الذي تشارتنا فيه بسبب الدراسة... كنت
أعرف بأنني سافر إلى دراستي في غضون عام وأشهر وساعداً أخرىاً
إلى الوطن... الوطن الذي لم أغادره لما حدث كل هذا... أكون...
أنت عقابي على مغادرة وطن أحبني!... قد تكون يا عزيز... قد...
تكون...
كنت أعرف بأن طريق عودتك طويل وطويل للغاية... تشارتنا
يومها، قلت لك بأنك ستتحمر من البعيدة لأن سير دراستك سيء...
وأمورك ليست على ما يرام... قلت لي: جماعة، اسمعي!... بصراحة...
أنا لن أعود!... أفكر بالاستقرار هنا...
صرخت فيك: ماذاعني.. وأنا..؟!
هزت كتفيك ببساطة، فلتبقى يا جمالتي!.. فلتبقى معي إن أردت...
ما الذي يحدث لك يا عزيز..؟!
أحبك، وأريدك لكنك لا تفهمين.
تذعر دوماً بأنني لا أفهمهم.. ولم أفهم يوماً كيف يكون (الفهم) برأيك!.. لست أدري كيف يكون يا عزيز.. ولا أظنُ باني سأفهم...

***

تأخرت تلك الليلة كثيراً يا عزيز، فأيقظتني باتي فجرًا منبهة:
جمانة صديقك لم يعد بعد...
كدت أن أصبح بها: ليس صديق يبا باتي، ليس صديقي..!...
تسكن معهم منذ خمس سنوات يا عزيز، ولم يفهموا بعد معنى ما بيننا لأننا معاً ونسنا معاً.. كان هاتفك مغلقاً ليلتها كعادتك في نهاية كل أسبوع.. قدت سيراتي إلى منزلك وأنا أبكي.. لم أكن أفهم لماذا تفعل بي هذا..
جلسنت انتظر وكلي مهانة.. قال لي روبرت: لا تقلق!
جمانة!.. عزيز يحبك..!.. صديقتي جمانة، كنت مثل عزيز في شبابي.. فلسألي باتي..
 كنت أصبر في أعمامي، اصمت يا بوب اصمت...
جئت متىًلا، تجر قدميك كثنائي سجين.. صاح فيك بوب
معانتي: عزيز.. تأخرت كثيراً.. قلقة عليكم.
لم تردة، نظرت نحوي بانطفاء. اقتربت مني وجلست على الأرض أمامي واصفةً رأسك على ركبتي: جمانة أريد أن أثنى!
أين كنت؟
أنا منهك.. أريد أن أثنى.
عبد العزيز...!
صحت وأنت تبكي.. أحبك.. أرجوك...!
حملتك أنا ونبض إلى فراشك، نمت وأنت تمسك بيدي.
كانت عيناك تذعنان وأنت نائم، جلسنت بجوارك حتى بذع النور، كنت أبحث في ملامحك عن شخص أكرهه لكنني لم أجد سوى رجلٍ أحبه وأكرهه حبي لـه.. أكرهه كثيراً...!

***

لقد كان لقاؤنا الأول في الثالث والعشرين من سبتمبر، في عيدنا الوطني.. دخلت المقهى الذي أصبح فيما بعد ملقانا الدائم. كنت تقرأ وحيدة في أحد الأركان، جلست إلى الطاولة المقابلة لك. واضعة (شماغ) حول رقبتي كشال.. جلبتك (على ما يبدو) الشماغ فأطلت النظر إلي.. أشرت بينك إلى عنفك وسألتني بالإنجليزية وبصوت عال: أنت تقدمين وطنًا يقمعك؟ أنت أبتسمته: أنت سريعة الودية!
قلت لك بلا담اتي: وأنت جاهز...
تجاهلتي: كيف عرفت أنتي عربي؟ سألتك بالإنجليزية.
أشرت إلى الكتاب العربي الذي كنت تقرأه... بدون أن أنطق...
لم أخبرك بأن ملامحك عربية للغاية...
قلت لي بعد صمت: اسمي عبد العزيز، كالموجود...
وأنا جمانة
سألتني باستفزاز: كجنيه؟
تجاهلتك وتشاغلت بتفتيش حقيقتي، فسألتني: لماذا تضعين
شماماً، هل أنت مسترجة؟...
رفعت رأسي نحوك مندهشة: نعم...؟
هل أنت مسترجة؟... Lesbian!
سألتك: وهل أبدي لك كمسترجة؟
قلت ببراءة: لا، لكني قد تكون أو لهذا أسأل...
 كنت مستفزاً لي في لقائنا الأول يا عزيز، كيف ورتفت نفسي
مع رجل يستفزني منذ اللحظات الأولى! كان حوارنا تافهة للغاية...
ومع إيماني بأنه (من الممكن أن تؤدي أثاثه المقدمات إلى أخطر
النتائج) كما كان يؤمن مصطفى محمود الذي أؤمن به كثيراً إلا أنني
أنسقت خلف المقدرة التامة كالمسحورة فلمما تعلمته
منه...؟
أندي يا عزيز...! دائماً ما كنت موجرة بأن لا خير في رجل
يكره وطنهه، فلمما ألمت بخيرك...! لماذا تجاهلتك كل ما كنت
أؤمن به لثناها...! لماذا يا عزيز...؟

***

حينما قررت السفر إلى الرياض وقضاء الصيف مع عائلتي قبل
عامين، حجزت لي مشكوراً، لكني أبت أن تطير معي لترى
أهلك. رجعت كثيراً أن تسافر معي لكنت رفضت، غضبت كثيراً...
لذا لم أودعك وركبت الطائرة وأنا أقوم دموعي. لتفاجئني بالمقعد
المجاور لمقعدي وعلى وجهك ابتسامة خبيثة. أشرت إلى ساعة
يدك: تأخرت وأخبرتنا، كنا بانتظار؟
لكزتك بمرفقي وأنا أحساس: ما الذي تفعله هنا؟
لكزتي: هذه ليست طيارة الوالدة!
ضحكتك فقبلت كفيبحب واحتضنتها بين كفيك القويتين:
خشيت ألا تعودي، هكذا أضمن أن تعودي معي.
سحبت يدي: ولد!.. كيف لم أرك في صالة المسافرين؟!
لماعت عيناك بشفاوة: يا أتيك أنا.. لكنني حاولت التخفي عنك
قدر الإمكاني..
لم أنتبه لوجودك!
قلت وأنت تربط حزامك: على فكرة جمانة، أين سنتقضي شهر
العمل عندما تتزوج؟!
أمmom... موريشيوس!..
غمزت: أجملات هن فتيات موريشيوس؟
مثيرات يا حبيبي.
حسنًا، سنتقضي شهر عسلنا في موريشيوس.
ثرثرنا لساعات طوال حتى وصلنا إلى لندن.. كانت الرحلة
 طويلة للغاية فتمت حينما غادرنا هيلرو على كتفك حتى وصلنا إلى
الرياض.. كنت نصف نائمة عندما طلبت من المضيف أن يأتي
بغراء لزوجتك.. ستبتسم كلما شغفي был يعزز.
لا أدرى كم بقيت نائمة.. حتى أيفظتي: حبيبي، استيقظي!..
ماذا؟
نحن على مشارف الوصول.
So?
بنت!.. أنزلين لأرض المطار سافرة؟
وضعت (طرحتي) على رأسني وأكملت نومي على كتفك.
همست بأذني: جمانة، سنعود قريباً. كنت مطعية حتى نعود.
كانت昰نثاك ونحن نغادر المطار معلقتين بي على الرغم من أن
حشدا من أصدقائلك يحبط بك. لم نغادر صالة المطار حتى
غادرتها أنا مع عائلتي. يومها شعرت بالكثير من الدفء يا عزيز
وغرقت في غيوبه عشق لم أستيقظ منها أبداً...

***

لا أدرى ما هي أسباب خصومنتكم الدائمة أنت وهيفاء
صديقتي الكويتية التي أسكن معها. كنت تتناول غداءنا في أحد
المطاعم الإيطالية، عندما اتصلت هيئة تدوزني على الغداء، أخبرتها
معترضة بأنه أتناول غدائي معك. قالت لي: جمون! هذا الرجل
لا يستحقك.
أبعدت الهاتف عن أذني وقالت لك: عزيز، هيفاء تقول بأنك
لا تستحقني...
قلت وأنا تقلب طبق الفوتششي، قولي لها: موتي!! اسألها
لماذا لا ترتدي المناسبة؟...
كنت أضحك بجدل، وهي تشتم على الطرف الآخر، سألتني
بعد أن أغلقت: حرام لماذا تكرهها؟
قلت بعصبية: لأنها غيبة. تغار عليك مني. مريضة. شاذة!!
أغلقت فمك بديدي... عسيسيب!!...
جمانة، انتبهي... هيفاء ستدمد ما بيننا. أقسم بربى أن فعلت
سابكها دما...
لن تفعل!.. لا يستطيع أحد غيرك أن يفعل.
أنتذكر تلك العجوز الهندية غريبة الأطوار؟
إلهي كم أريعتنا!!!.. كنا نتحدث على قارعة الطريق بعد يوم طويل في الجامعة عندما مرت بقربنا امرأة في السبعينيات من عمرها، اقتربت منا ما أن سمعتنا نتحدث بالعربية.
أعرب أنتم؟
إجابتها: أنت وقد أخذتك العروبة على غير العادة: نعم عرب.
من أي العرب؟
سعوديون!
نظرت إليَّ نظرة عميقة أخفقتني لتنفسها ما حيبت.. لمدت أصابع متهاكسة مسحت بها على شعري: كم أنت متعبة! نظرت إليك بخوف مستنبذة.. سألتها أنت بدهشة: من هي المتعبة؟
 أمسكت يديك: صديقتك المتعبة.. تعبها كثيراً يا ولدي!
نظرت إليَّ بارتباك: أشكوتي حتى للدين في الشارع؟ لم تفهم العجوز.. وقالت لك: صدقني أنت أيضاً متعب لتكابر!..
سأتها بخوف: مما أنا متعب؟
هي متعبة منك.. منك فقط.. وأنتم متعب من كل شيء!
نظرت إليَّ قائلة: فلنتعتني ب..
أغبني بفزع: إما جنية وإما جنئة...!.. ببي.. حطي رجلك...
مسكت يدي وركضنا حوالي الميلين بلا توقف.. ونمنا يومها
وحننا نتحدث على الهاتف من شدة الفزع...

***

ولدت أنا في السادس من يونيو في منتصف الثمانينيات.. ولدت
أنت في الثامن من أبريل في منتصف السبعينيات.. كلانا منتصفين!
مؤمنة أنا بأن جميع مواليد أبريل كاذبون!.. ولقد كنت تكذب على
كثيراً يا عزيز.. كاذب أنت كأبريل، مزهر أنت كربع.. أجمع مع
خريف الكذب وربيع الفصل معاً؟.. صدقني فيك اجتمعا.. لطالما
كنت ربيعي وكذبة عمري التي صدقتها طولاً وأحبتي العيش فيها..
لطالما كان الكذب بنظري شديد السواد، لكنك كنت تزهي كذبك
بألوان لم أعرفها مع سواكم.. كنت تتباها دائماً بانثي (فراشتك)
لكنك كنت كالعنكبوت يا عزيز، نسجت وخلال سنواتنا معاً خيوطًا
متينة من حولي.. فلم تتمكن الفراشة من انشال نفسها من بين
خيوطك المتشابكة..

أخبرتك مسبقاً بأن أكاذيبك ساذجة؟!.. أدرك كم هي مضحكة
أعدارك.. أثرى في امرأة غبية تنطلي عليها أكاذيب رجل يبض قلبه
في صدرها ويحتضر قلبه بين أضلاعه التي ضاقت على فؤاده يخفق
له وحده؟!.. لست بحبيبة يا عزيز، أنا ضعيفة.. ضعيفة للغاية!..
ضعيفة لدرجة أنني أرضى تصديقك كذبك.. حينما كنت تقضي ساعات الليل بطولها على الهاتف مع (أخوتك) في الرياض، كنت أحاول تصديقك في كل ليلة.. كنت أدرك بأنك تكذب علي.. لكنني حاولت من أجلك أن أفهمه).

في كل مرة كنت تزدده فيها على مسامعي (كوني متفهمة، كنت لا أتفهمين)، أدرك بأن أنى جديدة دخلت بيتنا، وإن كنت تعود إلي في كل مرة نادما.. كوني متفهمة في قاموسك تعني أنك تعود، وبأتي لا بد من أن أكون غياب أو أن أتجاهل..

في أحد شجارتنا صرخت في وجهي: جمانة اسمعي.. أنا رجل لعوب.. أشرب وأغطر وأعرض النساء.. لكنني أعود إلتك في كل مرة.. جمانة هذا أنا.. عرفتك في الثلاثين من عمري.. فات وقت التغيير يا جمانة.. لا أستطيع أن أتغير.. أحبك إلتك.. لكنني لا أتغير.. ولم تغير..

***

أنصدم بأن من أقرب خيالاتك لي كانت حينما أخطات باسمي!! ناديتي مرة باسم امرأة أخرى.. قد لا تكون اللحظة الأنشع لكنها كانت موجعة للغاية يا عزيز.. ما أصعب أن تنادي امرأة باسم أخرى على الرغم من أنك تتلاد أن تنادي كل رجال الدنيا باسمك.. أتدرى ما الأكثر إيلاماً؟.. إنكراك لهذا!! ما أسهل إنكراك يا رجل.. تذكر كل شيء ببساطة وكأن شيئاً لم يكن.. دائماً أنت (لم تفعل) ودائماً أنا (أفعل) المشاكل.. صرخت في وجهك لحظتها: أحاول أن تشككني بعالي؟..
أحبتي: وهل أنت عاقلة حتى أشتكك بعقلك؟؟ أنت مجنونة.. مجنونة خام.. مجنونة رسمياً!! أنيهكتني.. أنكنتي كثيراً يا عزيز..!!
قلت لك مرة: أنت تتهكن.. أشعر وكأنني في مخاض طويل.. أحبتي واثقاً: سأأتي رحمك أن تلفظني يا جمان.. فلا تحاولي!..
أنتلتي يوماً يا عزيز؟؟ أموت متعسرة في ولادتي بك.. أم أموت متسمرة برجل يسكنتي، يرفض وجوده جسدي ولا قدرة له على لفظة؟؟!.. وفي كم أحتاج لأن أتنزعك من أحلامي!؟
كنا نلعب الشطرنج في بيتك حينما سألتي: جمانة.. أتدرين ما الفرق بين حبي لك وحبك لي؟؟ أخبرني أنت عن الفرق؟
أنا أحب كل ما فيك.. أحبك كثيراً عندما تضحكين، أحبك حينما ترفعين أحد حاجيك تشككًا وتعقدينما غضباً.. أتعرفين أنهما يصبحان شقيين للرقم 88؟؟
معلومات سخيفة..!..
استرسلت: أما أنت.. فتحبيني وتكرهين كل ما فيي!؟..
تشعرتي دائماً بأنك متورطة بي يا جمانة..
أنا متورطة بك بالفعل..
ابتسمت: اسمي.. دعك من هذا الآن.. إن فرتي في اللعبة سألتزم بكل ما تقولين مدة شهر كامل..
سألتك بجدير: وإن فرتي أنت؟..
Kiss لمعت عيناك: سأحتفظي ب.. هذا ما كان ينقصنا!..
قلت بالإنجليزية موجهاً حديثك لروحك الجالس أمام التلفاز:

bob, أصدق بأتي مغرم بها منذ 4 سنوات ولم أقبلها البثة!!!

I'm proud of you.

قال لي بوب: ضحكنا معاً. قلت له: هذه تذاعي بأتي أشتكى بها بعقلها. وانا أؤكد لك بأنك تشكيني برجولي.

قال بوب: دعك مته يا صغيرة. صديقك هذا محتال فاحذري.

قلت لي يوماً: لا تصدقي شاعراً أبداً. كل الشعراء كاذبون، بيئة الشعراء قذرة للغاية.

المضحك في الأمر أنك شاعر وكاتب. لكنك غالباً لا تناقش معي هذا، تتجنب دوماً مناقشات مقالاتك معي. أو أن تقرأ لي قصيدة لا أقرأ لك إلا من خلال الإعلام وتعلن هذا دائماً بأنه أمر يحرجك. بحرجك أن تقرأ لي شيئاً.

نشرت قبل أشهر مقالة عن أخلاقيات المغتربين، وعن ضرورة تحصين من يجب إرسالهم دينياً وأخلاقياً قبل السفر، أضحكتني يا رجل!

***

كنا متخصمين عندما اتصلت بي باتي: جمانة، ما أكثر مشاكل صديقك!.. نحن في المستشفى..

ما الذي فعله هذه المرة؟

تبرع بفضل أرضية المطح بالصابون فوق وانكسرت رجله.

ارتفع صوتك بجانبها: قولي لها إنني سأموت وهي السبب...

قلت لباتي: باتي.. لن أتمكن من الحضور قبلة سلامي...

أجابتي بضجر: إلهي ما أنسفك!... إلى اللقاء...

25
اتصلت بي: هيه.. لا يربط ساقتي بفخذني سوى بنظري، آن تأتي؟
لا.. لن أفعل.
تعالي واشتمتي، لا يفوتك المنظر.
كلا..
Common!
قلت بعتاد: لا
ساموت..!
أحسن!..
تعالي لتوقععي على جيبي.. لا بد أن تدشي حفل التوقيع..
لا..
قلت بنفاذ صبر: تعالي قبل أن أغضب!
وجئتك بعد أن قاموا بتجبير رجلك، قلت متألماً: يا بنت
الذي!.. كله منك.. دعيب علي؟
أرأتي..؟ أول الغيث قطرة..
قلت أول الغيث كسرة..
كن رجلاً معي ولن بكسرك أي شيء..
كيف أكون رجلاً وانت تحرمتي من ممارسة رجولي؟
قلة أدب!..
المعزرة.. آثار المهديد..
مسكت يدي بيدك ووضعتها على جبينك، قولي أنا آسفة..
أنت من يخطئ وأنا من يتذر..؟
أنا مكسور..
وأنا مكسورة الخاطر..
أناند الطيب (ليجر) خاطرك؟.. لديهم كل ألوان الجباتر..
لاسميها خفية ظل،
تقريباً، قولي أنا آسفه...
أنا آسفه!...
قلت كفي: سامحتك...!.. أترين بأنني لم أصرخ...؟
حقاً...؟
وهل أبك...
بطل!...
طارت رجلي ولم أناهو حتى!...
مسحت على شعرك، فخورة أنا بك.. فابتسمت بفرح...
قلت لك: أتديري يا عزيز.. أحياناً أرى في عينيك طفولة
بريئة.. لا تناسب مع طبيعتك...
أنا (انقط) براءة يا حبيبي، لكنك تظلميني!.. كل شيء عزيز...
كل شيء عزيز...
ضحكت وضحكت أنت...
جمان، ضحكتك جميلة، خفيفي من الـ 88.. ودعيني أعيش
حياتي.. كلها ثمان، تصع، عشر سنوات.. وسأضحج...
سألتك بسخرية: ومن سينتظرك؟...
أنت.. وش راكا!..
ضربت كتفك بقضتي...
ما رأيتك لك تخسر كتفي أيضاً!...!
ليتي فعنت يا عبد RVV!.. بودي لع فعنت...

***

خلال الصيف الذي قضيناها في السعودية، تشاجرت مع أخي
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
الحبينة أكثر منا يبتغي

أتسخر معي؟
لا يا بيمي، ساهشم رأسه حينما أعود إلى الرياض.. لا أحب
الذين يغضبون حبيتي..
كيف تضربه وأنت لا تعرفه؟
لا يأس يا قمري، سأعرف عليه وسأضربه..
أممم.. حسناً.
بعض الكذب لذيذ أحياناً.. أدرك بأنك لن تفعل وتدرك أنني
أدرك بأنك لن تفعل.. وعلى الرغم من هذا، مستمتعة أنا بحمايتك
المزعومة لي وسعيت أنت بلجوؤي إليك.
يقول نزار، طفلين كنا في محبتنا وجنوننا وضلال دعوانا..
طفلين كنا يا عزيز.. حتى في ضلالنا..

***
كنت أحدثك عن محاضرة اليوم بحماسة وكنت تهتز رأسك
بتركيز، فجأة سرت بنظرك عنى وانخفضت جالساً في مقعدك..
 أمسكت بيدي دون أن تنظر إلي: حمان.. لا تلتقي خلفك.. أتدين
من يجلس خلفك؟
سأنتك بفضول: من؟
خمي..
أنتخبي أم الفنت؟
دكتور سلطان، زوج الدكتورنة منى الثوار..
so what ?
أجيبي بابتسامة خبئة: أنظري لمن يجلس معه..
النبيت ببطء.. لأجده جالساً في أحد الأركان مع شقراء،
ممسةً يدها بحيمية واضحة!..
وجع!!
ضحكت بصوت خافت.. بسم الله عليك..
 أمسكت هاتفي بالفانع.. والله لأوريه!
سحبتين من يدي وهمست: أنطيق بألا هبا!.. وش دخلك أنت فيهم؟

يا سلام!.. الرجل يخون زوجته...!
لا شأن لك بهذا.. إن سمعت (فقط سمعت) أن أحداً ما عرف بما حصل.. سأعرف إذ إن أنت من نشر الخبر..
وما تخاف أنت؟؟!
شغل. الحريم وخراب البيت لا أحبه..
من يخاف على بيه، لا يقحم امرأة أخرى في حيائه يا عزيز.
أووووش.. لا أريد أن ينتبه إلينا..
أمحرج أنت من أن ينتبه إلينا؟؟
هزنت برأسك نافياً: لا.. كل السعوديين هنا يعرفون أننا مغرمان ببعضنا فما أسرع أن تنشر وتلاحظ هذه الأمور.
إذن؟؟
لا أريد إجراه يا عقرية..
طبعاً، زميل كار..
أوووووووووووووووووووووووووووش!
على فكرة، أتمن الرجال تساعدون بعضكم بعضاً في خياناتكم ونحن النسوة نساعد بعضنا في كشف تلك الخيانات..
ما الذي ترمين إليه؟
أقصد... لو حدث ورأتك إحدى صديقاتي مع فتاة ما... أؤكد لك بأنني سأعرف...
أولاً، متي تتخلصين من هذه الخلاقة؟... أي خصلة تقصد؟...
أن تحاسبني على أخطاء غيري، في كل مرة يخطئ فيها أحد
أصدقائي توقيع العقوبة عليّ وكأني الفاعل...
هذا غير صحيح...
تجاهلوني: ثانياً، أؤكد لك بأن صديقاتك لسن بحاجة لرؤيتها
بصفة فتاة ما ليفسدن ما بيننا...
والمقصود...؟
صديقاتك يسعين شاكرات لمحاولة تفريقنا بدون سبب يذكر...
لأنك لا تستحقن...؟
عقدت هاجبك! لماذا تستمرن معي إن كنت تعتقدن بأنني لا
أستحقك...؟
أجيبك بخوف: أممم... لأنني أحبك...
اسمعي، هذا أنا ولن أتغير.. إن كنت تواجهين مشكلة في
هذا.. اتركيني وأكملي الطريق مع غيري...
ما أبسط أن تنهي كل شيء يا عزيز...!
أجيبني بغضب: نعم، أسهل شيء عندني في الحياة، أيش
عندك؟
قلت لك بقهر: حسبنا عبد العزيز، أعدك أن تندم...!.. حملت
حقيقة وهمت بالمغادرة...
ناديتني بصوت خافت: جمالاتنة...
التفت نحوك.. فأشتريت بيدك.. أترين الحائطت؟... ذلك
الحائط.. خلف سلطان مباشرة...
٣٢

I'm so tired of being here..
Suppressed by all my childish fears..
and if you have to leave,
I wish that you would just leave.!!
because your presence still lingers here
and it won't leave me alone..

ليتك ترحل..! أصدقك القول بأنني أود أن ترحل.. كم أرجو
موتك يا عزيز..! أظنها كرهاً مني.. أم ترى في أمينتي حقداً
وقسوا؟!.. صارحتك مرة بهذا، قلت لك: أمنى أن تموت.
رفعت حاجبك بدهشة: آمذن بالله..
أرتاح وترتاح..! أتى عليك خيراً من أن أبيك منك.
ما الذي فعلته..؟
أنتدري يا حبيبي، منطقياً حينما تتعرض امرأة للخيانة تكره
حبها وقد تكره كل الرجال أيضاً.
وماذا عنك يا ذكيه..؟
أنا كرهت النساء بسببك، أصبحت أشتر أأن كل امرأة تطمع
بك، أصبحت أخشى النساء.. أرى في كل امرأة لصلة قد تسرفك
مني..
والحل برأيك أن أموت...؟
بكل تأكيد...
ماذا عن الحور العين...؟ ألا يوجد في الجنة حور عين...؟
وهل تظن بأنك ستدخل الجنة...؟
ضحكت ملء شديقيك: أستغفر الله، أنت مجنونة...
يعجني طموحك يا عزيز...
ويعجني جنونك يا جمانة...
جنوني فقط...؟
(بلا دلع) واسمعي، لو طرأ أمر ما في حياتنا ولم نتزوج،
أنتزوجني في الجنة...؟
أمم... سأتزوجك (إن) دخلت الجنة...
أنا جاد...
لا أظن! بأنني سافع...
لمذا...؟
هناك.. سيكون بإمكاني انتزاعك من قلبي يا عزيز...
وهل تنزعنيتي من قلبك يا جمان...؟
لا أدري...
شبتكت أصابعك أمام وجهك.. أثردين يا جمان...؟ لا أظنُّ
بأني سأتمكن من أن أتزوج امرأة غيرك...
رجل مثلك، شعاره في الحياة (أمرأة واحدة لا تكفي) لا قدرة
له على الارتباط بأمرأة واحدة لفترة طويلة...
ابتسمت: إلهي كم أنت حمقاء...
حمقاء ومجنونة وماذا بعد...؟
أم 88...
سخيف...!...
لمحبيته اتكر منا بيني...

جمان.. أنا أحبك أكثر مما تتخيلين.. لن تصدقني هذا.. أدرك ذلك ولن أدخل معك في جدال.. طبعًا!!

أريدك أن تفهمي أمرًا واحدًا فقط.. أنا أحبك بطرقتي، قد لا تروق لك لكنها طريقتي...

No Comment قلت لك: أحسن!!

أحسن!!

رفعت يديك ومررت بسبابتك على وجهي.. كنت تمررها على ملامحي وكانك ترسم عليها: أريدك كثيرًا، أكثر من أي شيء، أعرف أنك لا تفهمين معنى بعض تصرفاتي.. أنا نفسي لا أنفدم بعضاً منها، لكنني متأكد بأن الأمور ستتجلى على ما يرام بيننا.

رفعت سبابتي ورسمت بها على ملامحك كما كنت تفعل:

أعدني..؟

أعدك أن تكوني لي...

قلت بغضب: أرايت..؟ قلت أعدك أن تكوني لي.. لم تقل أعدك أن أكون لك..

وما الفرق..؟

الفرق كبير.. هذا حديث اللاوعي.. حبيبي، ألا تلاحظين أنك تفعلين المشاكل..؟ لا.. لا ألاحظ..

حسناً.. لا أحتوي في المرات القادمة إذا سمحت. على أي حال.. أعدك أن أكون لك هنا وفي الجنة...

غمزت لي: أنتزوج يومًا في الجنة..؟

ابتسمت لك: قد نفعل.. جمان أنظري حولك!!..
نظرت لمن حولي.. كنا زبائن المقهى نظرون إليتنا مبتسمين!
فضحكنا خجلاً.

***

في زيارة الأولى للعائلة التي تسكان معها خلال بداية معا.. قال لي روبرت بعد أن تعارفنا: أتمن شعب جميل للغاية!.. أحيننا شعبكم عندما تعرفنا على عزيز وسنجيه أكثر من أجلك.. استطردت باتي: كما أن موسيقاكم جميلة!.. يملؤها الحنين..
سألتها بدهشة: لمن استمعت..؟
أشارت بيدها إليه: استمعنا إلى عزيز!.. إنه رائع...
لم تكن قد أخبرتي بعد أنك تجاه العزف على (العود)، ولم أتخيل يوماً أن أجد (عوداً) في هذه البلاد.. تسربت حمرة حبكة إلى وجهك: أنا مبتدئ!.. أعزف كهواية.. لست بمحترف...
قلت: أريد أن أسمع منك...
حاولت أن تتهرب خجلاً لكون باتي وروبرت كانا لك بالمرصاد.. أحضرت عودك من غرفتك واحتضنته: ماذا ستسمعين؟ أي شيء!...
أممم.. حسنًا سأسمعك شيئاً لا أظن بأنك قد سبق لي! أن سمعته.. سأسمعك (ليلة القبض على فاطمة).
لم أكن أعرف مقطوعة (عمر خيرت) هذه ولم أسمع بها قبلأ..
فسألتك بدهشة: من هي فاطمة؟؟
أجابتي بعفوية: خادمتنا التي هربت!...
طوال حياتي يا عزيز.. لم أكن بحاجة إلا بسبيك ولم أضحك من أعماقي إلا معك.. أليس بمعادلة صعبة؟?
قلت لي مرة: جمان.. أتدركين كم أنت ثقيلة ظل؟
أجيبك بغضب: نعم؟
براءة: دمك ثقيل!
قلت غاضبة: ولماذا تحبني إن كنت ترى أني ثقيلة ظل؟
أمهم.. لا أدرى.. أحبّ تفاعلك الآخرين..
والحق يقال.. إنني ثقيلة ظل!.. نادراً ما يضحكون غيرك..
في كل مرة أغضب فيها منك.. كنت تحاول إرضائي بطرفتك
(السخيفة) التي تضحكون كثيراً..
حينما أكون غاضبة.. تسألني: جمان.. يوجد عجوز سخافة
متلاصقان، ليه؟.. قوللي ليه؟.. أسأل ليه؟.. ترى ما راح أقف
إذا لم تسأل ليه.
أسألك بملل: ليه؟
تقول ضاحكاً: فيها السكر!..
في كل مرة يأثير، أضحك على سخافة الطرفة وتضحك
أنت على ضحكك عليها.. ونعزي !!

***
ماجد.. طالب إماراتي.. يحضر الدكتوراه في علم الاجتماع،
رجل في بداية عقده الرابع.. متزوج وأب لطفلين، رقيق وطريف
للغة.. ابتسامته جميلة، علاقته حميمة مع الجميع ويتحدث بذل،
أنذاذ..
 كنت أجلس وهفاء في أحد المقاهي القريبة من الجامعة حينما
التقيئاه لأول مرة.. دلف إلى المقهى وألقى السلام علينا فردنا عليه

36
التحية، جلس بعيداً بعد أن نشر عشرات الأوراق أمامه، كان منهماك بالكتابة.
قالت لي هيفاء: جمون، كيف عرف أتاني خليجيات؟ من ملامحنا، ألم تعري بأنه خليجي قبل أن يلقى السلام؟ بلى!
كيف عرفته؟ من ملامحه، أرايته.
قضينا حوالي الساعة قبل أن نهم بالمغادرة، عندما طلبتنا من النادلة فاتورة الحساب، أخبرتنا أن (السيد العربي) قد قام بدفع حسابنا.
قالت لي هيفاء: شنو شنو شنو؟؟؟ جمون شبيبي هذا؟؟؟
شكر يدفع لنا؟؟؟
أنا أشين دراني؟؟؟ أيش نسوي الحين؟؟ شنو شنوسوي الحين؟؟ فومي خل نغسل شراعه.
اتفقنا على أن ندفع للرجل نقوده بدون مشاكل، وتوجهنا إلى حيث يجلس.
رفع رأسه مبتسماً، قالت له هيفاء: أنت بأي صفة تدفع حسابنا؟؟؟
أجاب بهدوء: بصفتنا أخوة، ألسنا أخوة؟ ترى هالحركات شبعنا منها، تبتدي أخوان وتتهي نيران!؟
خذ فلوك، وعن قلة الحياة، قرصتها: هيفاء، يكفي!، المعذرة يا أخ، أرجو أن لا تكرر ما فعلته معنا مجدداً.
أجاب ببساطة: إبتسامة كبيرة، زين!؟
مضى أكثر من شهر بعد هذه الحادثة... كنت أذاكر في المقهى ذاته لوحدي حينما دخل (ماجد) بصحبة طفلته... ابتسم وحياني فبادله الابتسامة والتحية، جلس إلى الطالفة المقابلة مع الصغيرين... كان طفله الأصغر شديد الشرثة، كثير الأسألة... لم أتمكن من التركيز بسبب صوته العالي...

ارتفع صوت والده: أحمد... أخفض صوتك، "عمة" تذاكرا...
رفعت له رأسي باستناد: لا بأس... أشتاق لصوت طفولة عربية...

أنت طفلة...!... تدين كطفلة!...
لست كذلك...
بالنسبة لعمري.. لست إلا طفلة!...
عرف ماجد كيف يضفي بعض اللطفانية على حوارنا... فرجل مثله يدرك أن فتاة مثلي تشتاق لحنان أبي في غربة لا تطاق وتحت وطأة حب لا يرحم...

تحدثنا عن الدراسة والوطن وغربتنا القاسية وعن أطفال الأشقياء.. أخواني (الجدد)!.. سألني إن كنت أزور المقهى كثيراً فأجبته نافية بأنني أقضي معظم وقتني في مقهى آخر سميته له... تبادلنا الأماني بالتحمل وغادرت المقهى بعد أن قبلتني طفلاً الشفيان...
حدثتك في المساء عنهم... كان قد سبق لي وأن أخبرتك عن لقائنا الأول معه، أخبرتك عن تفاصيل التفاصيل... غضبت كثيراً...
قلت لي: أنت تعلمين بأنه (قليل أدب) لماذا تتحدثين معه؟... أجبتك: رجل في الأربعينيات من عمره ياعزى... كوالدي...

اسمعي، لا والد لك سوى من تحملن اسمه ولا أخوة لك سوى أشقائك...
وأنت...؟
أنا حبيبك، لست بوالدك ولا بشقيقك. لست بديو ثيا جمانة. هذه آخر مرة أسمح لك بمثل هذا.
كم هو غريب أمر رجولتك هذه. ما أكثر ما تُجرح وما أسهلك أن تُجرح يا عزيز.
مضت أسابيع على لقائي بماجد وابنئي. زار تفكيري كثيراً خلال هذه الفترة، لا أدرى لماذا افتقدته لكنني أدرى كم أحببت رؤيته ذلك اليوم. بدأ لي كاؤ في غريتي.
خلال فترة امتحاناتنا اصطحبني إلى مقهانا المعتاد لنذاكر هناك كالعاده. اقتربت النادلة والتي أصبحت صديقة لنا بحكم تواجدينا الدائم في المقهى.
قالت: مرحباً كيف حالكم اليوم...؟ جمانة، جاء رجل اليوم وترك لك هذه الورقة.
سحبت الورقة من يدي قبل أن أقرأها. اتسعت عيناك بشدة ونظرت إلى نظرة أرسلت، أحستت وكان صاعقة ضربت جسدي. سألتك بخوف: ماذا...؟ ما الأمر...؟. رمت الورقة في وجهي بغضب ومشيت. فتحتها بفزع. كان مخطوطة عليها وبخط أنيق.
(جمانة.. مررت ولم أجدك. أفكر بك كثيراً. ماجد العاتكي).

***

تركتني وراءك كالملسوغة، ركضت خلفك بعد أن تمالكست نفسك كنها اختفيت بين الناس بسرعة شبح غاضب.. هرعت إلى منزلك. كاد زجاج الباب أن ينكسر بيدي وأنها أقرعه بجنسن.. فتحت لي باتي الباب بفزع..
جمال... ما الأمر يا عزيزتي... أنت شاهبة!
سلمت على باتي وروبرت. أخبرتهما بما حدث وأنا ألهث، كنت أرتجف انفعالاً.
صاح روبرت: جمالية، دعك منه. إنه معتوه. اتركه قليلاً حتى يهدأ...
أنهمرت دموعي على الرغم مني: لكني لم أفعل شيئاً يا بوب.
ريت باتي على كتفي: جمالية. ندرك كم تحسين عزيز كما يدرك هو ذلك. لكنه مظلل يؤذيك كثيراً. إن كان يحبك لا بد أن يثق بك.
وضع روبرت يده على ركبتي قائلاً بصوته الرخيم: جمالية.
أنت صديقتنا أيضاً. ونحبك مثلما نحبه. لن نسمح لعزيز أن يجرحك أكثر من هذا.
سأتهم: ماذا أفعل؟
روبرت: جمالية أذهب إلى المنزل وذاكري دروسك، ستتصل بك حينما يصل عزيز لتتمثلي.
غادرت منزلهما مكسورة الخاطر. ممسكة بورقة ماجد بحزن ذل، وكان عش طالق، كنت أمشط الطرقات بحثاً عن منزلتي. شعرت وكأنني في أحبثة، متعاهات في داخل متعاهات في داخل متعاهات...
حينما وصلت إلى منزلتي، ذهبت إلى فراشي بكامل ملابسي. انكست تحت الفراش وكأنني قطة صغيرة تهطل فوقها الثلج في ليلة برد قاسية. حاولت الاتصال بك لكن هاتفك كان مغلقاً. كنت أضغط على زر الاتصال وأنا استجديه أن ترد ودوار دموعي الممتزجة بالكحل تكبر وتنوسع على وسديتي كالفحم السائل.
شعرت وكان حمما من الجمر تستغرض داخل معدتي... آمومت وجعاً
بسببك يا عزيز أم تفقدني عقلي.... لطالما شعرت بأنني سأموت
يوما بسبيك....
ارتفاع صوت نغمتك الخاصة، كان وقعها مختلفا هذه المرة
وكأني أسمع موسيقى أخرى... لا أعرفها...
أجئت بخوف: حبيبي...!
قلت لي بلسان ثقيل ويكلمات مبعة: اسمي... أ سم ع
ي....! أتمنين هذا الصوت...؟
كنت تهير علبك الدواء... صوت اصطدام الكبسولات بعضها
بعض كان عاليأ...
عزيز دعنا نتحدث...
اسمعي... أسمعي...؟ هذا صوت مهدئ؟ أخذت كبسولاتين
منها حتى الآن... أتعرفين ماذا سأفعل بما تبقى منها؟
أرجوك... لا تظلمني... لا تسأري الظن بي...!
صحت في وجهي بغضب: سألتك سؤالا... حبيبي عليه...
أتعرفين ماذا سأفعل بما تبقى من العلبة...؟
لا أعرف...
انفجرت باكيا وأتنت تصرخ: سأتناولها... سأتناولها كلها وأموت
وأرتح...
عبد العزيز، أين انت الآن...؟
لا شأن لك... أنت خائفة... تدعيين الطهارة... تلاعبت بي!...
عبد العزيز، أنا لم أفعل شيئا صدقني...
اسمعي... أعتقد أن قلت لي الآن إنك كنت على علاقة بهذا...
الرجل أن أسى كل شيء...
لكني لست على علاقة به...
صرخت: اسمي ولا نقاطعيني.. إن اعترفت بهذا.. أعدد أن أنسى كل شيء.. وإن استمررت في إنكارك أقسم بربي على أن
تندي..
لا بد من أن تسمعني لتفهم!
لا أريد أن أسمع شيئاً عدا ما طلبت منك أن تخبريني به..
انتظري..
أنهمرت دموع الفجر كالجمر على خدي: عزيز الله يخلقك..
تكملني!.. قولى إنك على علاقة به.. إن نطقت بأمر آخر أقسم بالله أن أغلق هاتفتي وأن أتهي ما بين لما الآن..
أسمعني!..!
قاطعتني صائحاً: أنظقي!
قلت لك بلا وعي: كنت على علاقة به..
ارتفع صوت بكاثك.. يا حقيقة..
عبد العزيز أرجوك..
صرخت في! وانت تنهش: أنت رخيمة!!.. ظنتك ملاكاً لكني.. شيطان في جسد امرأة..
أنت من أجابني على قول هذا!!
سادمرك.. أنت لا تدركين ماذا أستطيع أن أفعل بك..
أنا لم أفعل شيئاً.. لا أعرف عنه شيئاً منذ أن حدثتك آخر مرة
عنك..
كالاذينة!!.. لا أريد أن أسمع صوتك ولا أن أراك مرة أخرى..
اسمعي.. أنا أحذر من أن تحاول الاتصال..
عبد العزيز!..
أن أردت أن أدمر حياتك.. فقط حاولي أن تصلتي..
لم يتم تقديم صورة أو نص يمكن قراءته بشكل طبيعي.
لكي لا يربطني بالرجل شيء يا زيد... قال بسرعة: أعرف هذا يا جمانة.. لكن لا بد من أن تبتعد
عن عبد العزيز هذه الفترة... أخشى أن يؤذيك...
لن يؤذيني يا زيد.. لا قدرة له على إيجاد...
جمانة.. أرجوك.. عبد العزيز كالمسعور.. أخشى عليك.. اتركه...
حتى يهدأ...
وعدت زيد يا عزيز أن لا أتصل بك حتى تهدأ... شعرت...
وكأنني أعيش كابوسا يا عزيز.. أينتهي كل ما بيننا بغمضة عين؟
أغفر لك لسنوات عدة خيانتك المتعمدة وتركتي ظلما في لحظة...
شك جائرة؟... ما أشرع كنت تؤمن يا عزيز؟...

***

مضت ثلاثة أيام لم أسمع صوتك فيها.. في كل مرة بغلمبي...
الشوق وأمسيك بهاتفي كانت هيفاء تشدّه من يدي وتلقفي على...
بمحاضرة طويلة فاجعل.. لأول مرة يسكن هاتفني بهذا الشكل يا...
عزي.. كان كجسد ميت، لا ينطق ولا يتحرك ولا حتى يتنفس!!
تعبت من تحديث صفحة بريدية الإلكتروني.. كنت أدعو الله...
أن ترسل لي أي شيء.. أي شيء يا عزيز، اشتبثت حتى لشتائمك...
صدقني كانت لترضيني...
ارتفع صوت استقبال رسالة هاتفية.. شعرت وكان الحياة قد...
دبت في الأرجاء، ففتحتها وقلبي يكاد أن يقفز من بين أضلاعي...
كانت والدتي المرسلة يا عزيز!!.. بعثت لي: جمانة.. لا تنسي...
الصلاة حبيتي.. أحبك..
ولأول مرة ترسل لي والدتي تذكيراً بالصلاة، فهي تعرف بأنني
أصلٍ وآثري لا أنساه...
أتضايق الأم بابتها إلى هذا الحد يا عزيزة؟ أتضايقة تشعر بأنني
عليلة، وبأن الرجل الذي ألمحت لها عدة مرات يوجد، يقلني...
كم اشتقتها يا عزيزة؟.. إلهي، كم أحبها وكما أحب والدتك...
كونها هي والدتك. تحبك كثيراً وتخشى عليك. تعاملتك دائماً على
أنك ابنها الوحيد. على الرغم من أن تربيتك الثالث بيت أخوك...
مثل تمامًا...!
اتصلت بك مرة فأجبيتها من خلال المكբر الصوتي الخارجي
لاستمع.. سألتك: ماذا تفعل؟
أجبيتها مازحاً، أجلس مع حبيبي الكنديه!
صاحبت بك غاضبة، متنستضج..؟.. كل الرجال في عمرك
متزوجون وأنت لا تزال تعيش هنا وهناك...
كنت تضحك، وهي توبك كطفل صغير. في كل مرة تتحدث
فيها مع والدتك يا عزيزة أرى أمامي رجلاً آخر، تلمع عيناه فرحاً
حينما يعلو صوت نغمة والدته، يبتسم ببحير حينما تبتُ له
شوقها.. ينكمش خوفاً حينما تؤنه وتنتفخ أوداجه حينما تخبره كم
تذعر به.
لا أنسى اليوم الذي بكبت فيه شوقاً إليها.. كنت عصياً طوال
الأسبوع، يغضبك أي شيء ويجتزعك كل شيء.. سألتك مائة مرة
عما يقللك لكنت لم تخبرني شيئاً...
اتصلت بي فجأة في نهاية الأسبوع على غير العادة: سألتك ما
الأمر؟...
أنا مهموم، مهموم للغاية.. أنت لا تفهمين ولا تفهمين!
تقصين علي كثيراً.. وأمي أيضاً.. تقسي علي.. لا أتحمل قسواكما..

45
انفجرت باكيًا: لماذا تفعلين بي هذا؟ أحبكما. أنت حبيبي.
ويه حياتي، لماذا تقسيان علي؟
ما الأمر يا عزيز؟
كنت تشغيل بقوة، لم تتصل بي منذ أسبوعين! اتصلت بها اليوم. كنت متأكداً من أنها مريضة.
ما تعاني؟
لا تعاني من شيء، ليست مريضة، كانت مشغولة. اشغلت بالتجهيز لزواج خاصتي و أنا؟ أنا غير مهم.
لا تبالغ يا عزيز، كل ما في الأمر أنك كنت قلقاً عليها وهذا ما أغربك.
أفتقدها يا جمانة، هي حياتي لا أستطيع العيش بدونها. آه، لا أدرى لماذا تفعلين بي كل هذا؟ كنت مختلفة تلك الليلة يا عزيز، مختلفاً للغاية، كم هو رقيق من يبكي شوقاً لوالدته.
قلت لك بعد أن هدأت: أرغب بطفلك منك. يحبني كما نحبها.
سأت: وهل ستيكينه شوقاً كما تفعل أمي بي؟
لا، لن أفعل.
وهل تикиك والده شوقاً إليك؟
قلت لك ضاحكة: قد أفعل.
لكني لم أفعل يوماً. وأدرك الآن جيداً بأنني لن أفعل.

***

لعبنا مرة لعبة الجرءة والصرامة، اكتشفت من خلالها عدة
أسرار سيجارتك الأولى في الخامسة عشرة، اسم أول حبيبة لك.
أحات سفرتك الأولى بدون عائلتك. عن مجلات (البلاي بوي)
التي كنت تحرص على اقتناها، وعن أول ليلة تمت فيها. اكتشفت
أن مراهحتك شديدة الجموح، أكثر مما كنت أتصور. بينما كنت
أشد أحلامك مراهقاتي جموحاً هو الزواج برجل يشبه (جون سيلفر)
قرصان جزيرة الكنز الرسوم.
قلت لي حينها: أرأيت، سيتحقق أهم أحلامك! ستزوجين
بقرصان شديد الوسامة.
أجابك: أنت قرصان، لكنك ليست وسامةً إلى هذا الحد.
لست وسامةً لدرجة أن تكون جون سيلفر.
سألتي: جمان، ما أكثر ما يذكين في جسدياً؟!
أرفض الأسئلة المفخخة يا عزيزي.
ضحكت بقوة: يا غيبة..! أقصد بشكلي..
أمم.. تجنبي فيك خمسة أشياء.. أنت طويل.. ومن حسن
حظك أنتي أحب أن يكون رجلي طويلاً. أحب عينيك لأنتي أرى
فيهماートد كثيرة.
قاطعتي: أتفهم أن بإمكانك قراءة ما فيهما؟
أنا لا أظن.. أنا متاحة من هذا.. أحب مظهرك عندما لا تخلق
شعرك لفترة طويلة، تبدو أكثر وسامة ورجولة.
سألتي بأشوا: وماذا أيضاً؟
أحب صوتك.. صوتك (فوي).. كمقدمي نشرات الأخبار.
قلت ساخراً ومضحكماً لصوتك: العربية تبحث دائماً عن
الحقيقة..
لا تتخصص!..
والخامس..؟
الخمسة يا حبيبي.. عروق يديك البارزة!!.. إلهي كم هي جذابة..
وضعت يدك تحت ذقنيك وأنت تنظر إلي بدهشة: جمالته.
آتدرкиن أنك غريبة؟
لماذا؟ لأول مرة أسمع عن فتاة تحب في حبيبها عروق يديه.. ما الجاذبية في هذا؟.
أخذت يدلك وأنا أتحسس عروقك بأصابعي.. لا أدرى!
أحبها..
قلت لي مبتسما: أتحبين عروقي لأنك تجرين فيها؟
أجبتك: ربما!
لمعت عيناك خبأ: جمالته.. أأخبرك عمّا يجذبني فيك؟
تركتك يدلك وقلت لك: لا..
سألتني: لماذا؟
قرأت الإجابة في عينيك.. ألم أخبرك بأنني أقرا ما فيهما؟
وماذا قرأت؟؟
ما لا يليق!.
واتفجيت ضحكا!

***

والداني يسمايني (تَرَفْ)!!.. وأنت تسميني ماري أنطوانيت
وصديقاتي وزملائي يطلقون عليًّا الـ Queen
لكن كل هذه الألقاب لا تشكل شيئاً من طبيعتي.. على الإطلاق..
سألتك مرة: لماذا تطلق عليًّا ماري أنطوانيت؟؟
أجتني: لأنك مثلها، ماري أنطوانيت ملكة... كان شعبها يعاني الفقر بينما كانت تعيش في بذخ. تظاهر الشعب يومًا أمام قصرها وانقلب الناس على عرشها، كان الشعب في مجاعة. سألت ماري أنطوانيت وزيرها. عن سبب تمردهم فأجابها أن الشعب لا يجد خبزاً يأكله. قالت له بسخاء: (ولماذا لا يأكلون الكعك؟...)

أنت مثلها. مثلها تماماً!...

غضبت منك كثيراً يا عزيز. فمقارنتي بامرأة مثلها مقارنة غير لائقة...

أعرف!... حينما كنت صغيرة. كنت لا أتناول الطعام في الوقت المخصص للاستراحة. أظل أقوم جوعي بضراوة حتى أعود إلى المنزل. كنت لا أطيق فكرة أن أستمتع بإفطاري بينما يعاني بعض زميلاتي من الجوع.

لم يكن تشبيهي بها منطقياً أبداً. أبداً يا عزيز...
قلت لك: لست بمترفة... بل أنت المترف... هناك خرافة قديمة عن أصحاب العروق البارزة. يقال بأنهم مترفون...
قلت لي: من أين جئت بهذه الخرافة؟... لا أدرى. إما أنني قرأت عنها وإما أنني ألقتها...
بل هو خيالي الواسع يا صغيرة...
دائماً ما كنت تقول إنني واسعة الخيال... حينما أكتشف إحدى خياليتك تصبح خيالي واسعاً... حينما أشعر بخبط ما تصبح خيالي واسعاً... دائماً ما تحتجج بخيالي الواسع يا عزيز.. ذريعتك التي ملأتها.. ملأتها كثيراً...
كنا نجلس على قارعة الطريق بملل... حينما قلت: جمانة، أشعر أن طعمك كال الكراميل...
من هنا واسع الخيال يا عزيز...؟
أنت!.. حقيقة أشعر بأن طعمك كالكراميل...
سألتك: لماذا الكراميل بالذات؟؟
أممم... أنت حلوة كالكراميل... لكن حلاوتك لاذعة... الكثير
منك يعجب الجسد...
حقاً...
قولي لي.. ما طعمي برأيك.. ك ماذا؟؟
أشعر أن طعمك كالسجائر...
حقاً!.. لكنك لا تحبينها...
لا أحبها!..!.. لكن رائحتها مميزة.. ندمها.. وبالنهاية نموت
بسببها...
كم أنت (دراماتيكية) يا جمال...
أُسندت رأسى إلى كتفك.. أود أن أحتفظ بك لأطول فترة
ممكنا.. هل تترك التدخين من أجلى؟؟
وضعت رأسك على رأسي.. مما تخشين؟
أخشي على ذلك الصغير...
أحبتي: لا تخشى على قلب تحبينه.. أنت متحزلة في
شرايطة!..!.. فلا تقلق...
المرج في علاته.. هذا يا عزيز أنها تتأرجح ما بين أقصى
اليمين وأقصى اليسار.. لهيب النار وصقع الثلج.. دائماً ما كنت
مترفف المشاعر يا عزيز، تحركني بنار عشاقك أحياناً وتلسعني
ببرودة تجاهلك لي أحياناً أخرى...
أندري يا عزيز.. بعد كل هذه السنوات.. أكذب عليك لو قلت
لك يأتي أعرف إن كنت تحبني أم لا.. في كل مرة تقول لي فيها
أحبك!..!.. أسألك: والله؟؟
فنجني بسخرية: لا أكذب..
لا سبيل مانزل،

وتنتهي عذوبة اللحظة..!

أنتدي يا عزيزة دائماً ما تخبرني بأنك تحبني لكنني لا أشعر بذلك فعلياً.. إلا في اللحظات النادرة التي تقولها بشكل مختلف.

أحبك كثيراً حينما نتحدث ونتحدث ونتحدث.. وفجأة تقول لي:

جمان، طالعني..

أنظر إليك بعدما تدب حرارة الخجل في جسدي.. وتحرك شفاهك بدون صوت: أحبك ك..

أحبك حينما نكون مع أصدقائنا.. وتعففوا.. وتحرك شفاهك بيا..

أتذكر!..

في إحدى المرات قبضوا عليك متلصساً بها، كانوا يصرخون فيك أوووووووووووووووووووووووووووووووو. و كنت تضحك باستجابة!..!

قال لي محمد حينها، أصدقني يا جمانة.. هذه المرة الأولى التي أرى فيها عزيزاً في حالة خجل!..

كن رقيقاً حينها.. رقيقاً للغاية يا عزيز..

***

كنت متمدة فوق الأرجوحة وأنا أراقب نيني ومتشتي.. حفيدي باتي وروبرت التوأم وهما يلعبان في حديقة المنزل.. جئت وجلست بجوار قدمي، رفعت الجريدة بيدك فوق وجهي لتحجب عني أشعة الشمس من دون أن تتكلم.. كنت تنتظر إلي مبتسم.. سألت: "Is up"
ابتسمت: لا شيء...
 أشرت برأسي باتجاههما: أليسا بجمالين...؟
 نظرت إليهما: بل!...
 ألا تشتبك لأن تصبح أباً؟ صمت قليلاً: أحياناً!...
 مسكت يدك... بودي لو أصيح (ماما)...
 مددت يدك الكبيرة ورفعت خصلات شعرية من فوق جبيني...
 ألمُ صغيرة على أن تصبحي (مامي)؟
 لا ليست صغيرة... ألا تريد بطفل معي؟ بل، فتاة... حنطية شعرها مجدد... لديها (غمازة) بتيمة كالدتها...
 أتجها أكثر مما تحبني...؟
 ابتسمت: وهل أقدر؟ قلت لك: أرغب بطفل منك، الآن...
 الآن...؟ أنتِ صديقات الآن الآن...؟
 نعم، الآن!...
 هنا...؟ في الحديقة...؟
 عزيزة!.. ماذا تقصد بهنا...؟
 لماذا قصدت بالآن...؟
 عزيزة: إلهي كم أنت مجنون...!.. ما الذي فهمته من الآن...؟ انفجرت ضحكًا وأجياني: لا أدرى...
 غبي...
 ومن أين أجيء لك بطفل الآن...

52
قلت لك بعنداد.. أليست الرجل؟.. تصرف.
حسناً، سأذهب إلى الشوق وسباتاع لك واحداً.
ضربيك بالجريدة فضحكت!..!
دائمًا ما كان يجذبني الرجل اللطيف مع الأطفال، أحب الرجال الذين يحبون الأطفال. أشعر دائماً بأنهم أصدق من غيرهم.. تتحب الأطفال كثيراً، تديرهم وتتخذي عليهم، تكون في غاية الصبر معهم على الرغم من أنك لست بصبور.
دائمًا ما أخيل الأطفال يا عزيز.. لطالما حملت بطفلنا الأول.
أفضل أن يكون بكرنا فتى بينما تفضل أنت أن تكون فتاة. أسميت فتاي (المؤهل) على اسم والدك صالح!.. بينما أسميت أنت البنوت كما تسميها! باسم (حلا).. لقد مر عامان على ذلك النها.
يا عزيز.. ولم يأتي صالح ولم تأتي حلا ولا أظن بأنهما سياتيان.

***

دائمًا ما كنت تقول لي بأن القدر يبعث بإشارات إلينا، إشارات مبهمة، مبتلة ومخفية.. لذا علينا (برأيك) أن نكون يقظين طوال الوقت وألا نتجاوزنا الإشارات التي تمر بسرعة كالنبازك! لأنها لن تعود المرور بنا إن تجاوزتنا بدون أن ننبذ إليها تشاجروا مرة.. كان ذلك الشجار عنفًا للغاية!.. وكان السبب لامبالاتك وعدم اهتمامك بي..
قلت لك: ألا استحق أن تلتزم معي؟!.. ألا تستطيع أن تلتزم بي؟!..
صرخت في وجهي: جمانة!.. أنا لم ألتزم بأهلي حتى ألتزم

53
لا يبدو أنك ألتزم بحاد واحد لين ألتزم بأحد. حتى لو كنت
أنت المعنية...
قلت لك: يعني؟
أجبيتي: أنا وأنت لن نتفق أبدا. نحب بعضنا بعضًا لكونا غير
متفانمين...
صحة فيك: يعني أشرف أبداً غيرك؟
أشحت وجهك. وقالت بصوت عالٍ: الله يسعدك ويبعدك...
ركضت نحو سيارتي وانطلققت بها. كنت أنتظر إليك من خلال
مرأة السيارة والغضب يكاد أن يأخذني إلى النخل لأدهشك. كنت
أبكى في السيارة وأنا أُعلن في سري النوم الذي تركت فيه أهلي
وطني ونحت فيه إلى هذا البلد. كان ركاب السيارات ينظرون إلي
بدهشة، وكأنه لم يسبق لهم رؤية فتاة تبكي! أوقفت سيارتي
لأبداً، ألغيت رقم هاتفك ورسلت من ذاكرة هاتفك المحمول.
كنت أقفز ذموعي حينما وقعت عيناي على لوحة إعلانات مرتفعة
ومضاءة. كتب عليها:

You may go along with the right road, and he may take the
left one, but after all, the two roads could meet at the same
point...!

شعرت وكأنها رسالة القدر إليّ يا عزيزي، كأنها الإشارة...!

إشارات القدر التي حدثتي عنها والتي تؤمن بها...
غرمتي السكنية. شعرت وكأن أصعابي تمتدت، وبأن
مسامتي الصغيرة تفتحت وعاودت التنفس. انعطفت عن الطريق
وعدت إليك... وجدتك جالساً على سلم البيت وبيتك قنينة (البيرة)...

54
تجلت من سيارتي وجلست بجوارك من دون أن أنظر إليك أو أن أتكلم
سألتني من دون أن ألفت نحوك: كيف تتفاهم؟
احتويني!...
وكيف أحبتك؟؟...
سألتي بخصوصي: أحضر لك كتابوج تأخذين عنه الطريقة؟...
لا، لكن، قال لي كيف؟...
جماتي، طولي بالك عليٌّ، أرجوك!.. طولي بالك...
قلت: إن شاء الله...
مددت يدك ومسحت بها الكحل المنساب على خدي، أرى...
وجهك عبر المرأة قبل ترجلتك من السيارة؟...
ضحكت: لا...
Halloween بدري يا ببني على...
ضحكت وتشبثت بذراعك...
سألتي: لماذا عدت؟
أمم.. وجهتي إشارة...
أي إشارة؟
إحدى إشارات القدر...
ابتسمت: وماذا تحوي رسالة القدر هذه المرة؟...
تقول بأننا سنتقي!
حبتي، كوني صبورة لنلتقي...
سألتك: أنتقي يومًا يا عزيز؟...
أجتنبي: قد نلتقي!...
 كنت أظنُّ بأن الزرافة أنتِ وَأَنْذُكِ الزَّرَافةَ (زَرَافَةَ) .. لا أذكَر سبب طرحتُه للأسف الموضع الشيق لكنني أذكَر بأنك ضحكتي حتى ودعتك لو تنشقُ الأرض وتبتلعني .. سأستني حينها: وما اسم ذكر النعامة؟ .. نعم ..؟ .. جمان .. كيف أبلغت الوزارة ..؟ .. بقيت تردد هذه الحكاية لأسابيع .. حمدت الله كثيرًا عندما نسيتها ..

 كنت تجلس مع مجموعة من الزملاء والغيميلات في مطعم الجامعة .. مررت لأنكي عليكم التحية .. ضحكتي حينما رأيتني .. جمان .. أخبرهم ما اسم (زوج) الزرافة .. قلت لك: زَرَافَة .. لماذا ..؟ .. صحت فيهم: كذلك .. اللهم إنها قالت لي إن ذَكَر الزَّرَافة زَرَافَة .. يا .. استمرت تتحف بأغلظ الأيمن .. قلت لهم: ألم أخبركم أنها مبتعدة عن طريق الواسطة ..؟ .. بحُق لك أن تُشَگِّك بذاتك .. فامرأة تخرج برجل مثلك امرأة يشَگِّك بالكثير من قدراتها .. سألتك مرة أن كنت تظن بأنني جميلة .. قلت لي (ما دمت حبيتي .. فلا بد من أنك امرأة جميلة .. جميلة جدًا ..)! .. قلت لك: أي أقدص بأنتي حبيبك فقط لكوني جميلة ..؟ .. أنتِ تبحث لا .. أقدص لو لم تكوني حبيبي لما كنت جميلة .. كم أنت مغرور يا عزيزة .. أدرك في قرارتك نفسي بأنك لا تجدني جذابة كالأخريات ممن حولنا .. في بعض الأحيان يهذ هذا
الإحساس وثني نفسي لكنني في أغلب الأحيان أدرك بأنني جميلة...
جميلة للغاية...
قد لا يكون من النوع المفضل لديك، ولا أملك المواصفات الخارجية الجذابة لرجال الخليج، ليست ببيضاء ولا بشقراء، ولا ملونة العينين كما تحب...
صارتني مرة بأتي متوارضة (الشكل) لكنن روحي جذابة...
تخترق القلوب، أتذكر في أحد أنشطة الجامعة، كنا نجلس كمجموعة كبيرة حينما دخل المتحدث الأول.. كان كنديا، أشار...
يده ناححي.. قائلاً: عفواً ما اسمك...؟
وضعت يدي على صدري وسألته بدهجة: أنا..؟.. أنت صديقني..؟
هو رأسه، نعم.. أنت.. ما اسمك..؟
قلت له: جمامة...
سأني: من أين أنت يا جمامة..؟
قلت له.. أنا عربية..
رفع حاجيه بدهجة: حقا.. غريب!!.. تدين كنجمات السينما...
نظرت إليك بعراوة.. كنت تنظر إليه ببشع...
قلت له: شكراً جزيلاً..
قال لي: اسمعي.. هناك امتحان لاختيار الممثلين.. أتودين أن تجري..؟
أجحته: شكراً لا أحب التمثيل...
أخرج من جيبه بطاقة الخاصة: فكري.. إنها فرصتك...
قلت لك بعدما خرجنا.. هل رأيت ذوق الناس..؟!
أجبته: يا شيخة إنه يستهلي..
عرفت وقتذاك بأنك تحاول تحطيم ثقتي بنفسي قدر ما تستطيع! تظن أنك قادر على أن تسيطر على شخصية ضعيفة... وثقة مهترئة...! وأظن بأنك نجحت في محاولاتك.. بكل أسف...

***

في عيد ميلاد باتي العام الماضي.. كنت متأنقة، وأناقة المرأة لا تكتمل من دون كعب عال... رافقتي في نهاية الأمسية عن باب المنزل، انتهت على الباب مودعاً، دست على قدمك الحافية وأنا في طريقي نحو الباب، ومن دون قصد.. لم تصرخ، رفعت قدمك ممسكاً بها.. كانت عيناك جاهزتين من شدة الألم، اقتربت مني.. كانت خانتاً مني.. أخذتك إلى المستشفى.. فقد كاد إصبع قدمك أن يتهشم تحت كعب حذائي.. كنت تردد ونحني في طريقنا إلى المستشفى: ما الذنب الذي اقترفته لتفعلي بي هذا!! أكلك هذا الحقد موجود في قلبي نجاهي!!

قلت لك ضاحكاً: لزوم الكشخة يا حبيبي!!لزوم الكشخة تدوسين على أرجل الناس!!؟ سألت الطبيب في المستشفى وهو يعاينك عن سبب إصابتك.. فأشرت إليني قائلةً والحقد يقطر من بين كلماتك.. أثرى هذه الأنسا..! لا يخدعك مظهرها فهي من كسرت إصبعي!.. داست على قدمي بكعب حذائها.

قلت لك وانا أضحك.. لم أكسر فيك شيئاً بعد...

قلت للطبيب: أرأيت..؟ إنها تهذني..! كن شاهداً عليها..
قال لك الطبيب مازحاً: لا تقلق فلا تبدو إنها امرأة عنيفة...
صحبت فيه: إنها مخادعة.. أنا أيضاً خدعت بها...
كان يوماً لا ينسى يا جزي.. مازلت أضحك في كل مرة أذكر
 فيها ما أصابوك وكأنني أشهد على الحادثة من جديد.. ظلمت عدة
 أيام تختبئ في كل مرة تراين فيها تحت المقعد أو الطاولة.. لم
 استعد تفكتك بي مجدداً إلا بعد ذلك بفترة طويلة فأصبحت تكتفي
 برفع قدميك من على الأرض لحظة مروري.. ولست بسلام على
 ذلك.. لم تكن إصابتك خطيرة يا عزيز ولم أتحتمز إصبعك.. لكنها
 كانت المرة الأولى التي ألتك فيها.. ومن بعدها أصبحت لقيبي
 (الكتكوت شرس)!! لكنني لم أكن يوماً شرسة بقدر ما كان حبي
 لك في غاية الشراسة!!

***
في غيابك لليوم الثالث، بعد شجارنا بسبب ماجد.. اتصلت
 بالدتي بعد أن بعثت إلي برسالة تذكيرية للصلاة، كنت بحاجة
 إليها.. كمتتنبي لو كانت معي، بجواري.. تخبثني بحضنها وتتنشنني
 من علاقة أدرك تماماً بأنها غير سوية.. علاقة تحطمني.. تحرق
 حطامي وتبدو على رفاطي..
أمي مختلفة، مختلفة جداً!! تحنبي كثيراً.. تعظيني دوماً ولا
 تأخذ مني أبداً، علاقتي بالدتي تختلف عن الصورة النمطية
 المعتادة لعلاقتنا فتاة بأنها.. والدتي رقيقة، مطعمة، تحنينا كثيراً..
 نحب والدي وتضححي من أجله..
تزوج والداي بعد قصة حب رقيقة، وإن كنت لا أشهد على
 الكثير من الحب بينهما.. علاقتهما مبنية على الكثير من التضحيات
لا أشعر يوماً بشغفهما... بينهما ون بعضهما بعضاً...
تخيرتي والدتي صارت والدي أعظم رجل في الدنيا، ويُخبرنا{
والدي أحياناً بأن أمي فريدة ولا تشادها امرأة سواي... وعلى الرغم{
من هذا، تنصحني والدتي بأن لا أتزوج رجلاً أحبه بل رجلاً{
يحبني!... تدس نصيحتها هذه تحذر في كل مناسبة...{
بكيت حينما سمعت صوتها، صاحبة أمي: جمانة... ما{
الأمر؟...{
اشتكى إليك، أتمها...! لا أستطيع أن أفعل{
جمانة!... قطعت أكثر من نصف المسافة... أتعودين بعد كل{
هذا؟...{
لا قدرة لي على التحمل أكثر... تعبت...
ما الأمر حبيتي؟ أخبرتي؟ ماذا حدث؟{
لا شيء... لكنني متعبة... أحتاجك كثيراً، الغربة تخنقني... لا{
قدرة لي على المذاكرة...
جوجو، فلتتصل!... ولستبيضي من الشيطان... ستقدرين على{
المذاكرة من أجلي...
أحتاجك بشدة... أتمني بعدك!...{
سكتت والدتي قليلاً... قالت لي بصوت متدفق: لا بأمر يا{
جوجو... سأتحدث مع والدك، قد أتمكن من زيارتك لأسبوعين أو{
ثلاثة...{
أرجوك... تعالي بسرعة...
جمانة... أنت تعرفين بأن استخراج الفيزا يحتاج لبعض الوقت...{
لكنني سحاول...
ودعتها بعد أن وعدتها بأن أصلي وأذاكر...
 كنت أدعو بلسان لاهج في صلاتي... طلبت من الله انزاعك من قلبي، سألته أن ينجني من حب لا طاقة لي على تحمله... كنت أدعو بجوارحي بكل ما فيني...

بعدما أنهيت صلاتي التغذية لأجد هيفاء واقفة بجواري. قومي خليتي تنتقد. إذا تبين تموتين. موتي عند هلك. أنا لحد بموت عندي. ماني فاضية تحقيق وما تحقيق قلت لها: لا تكون ساعد حسن اللي بموت؟ لااه! تتمشرين بعد!.. دام لك خلق غشيما. قومي خل نطلع.

خرجنا قاصدين أحد المطاعم. كان اليوم الأول الذي أخرج فيه بعد شجارنا، كانت الشوارع رمادية. وكانتها رسمت بفحم ورصاص.

قالت لي هيفاء على الغداء: جموني! أندرين. لطالما ظنت بأن بنات الرياض قويات! لكنك مختلفة تماماً.

وبما أختلف عنهن؟!

لا أدرى!.. أنت سهله الخدش. تجرجين بسهولة.

أنهم إذن بأنك تسكنين معني لأن بنات الرياض قويات برأيك!..!

ظنت بأنك مثلهن!.. لكن حظي سيء.

ضحكته على الرغم مني.

قالت: فعلاً أنت هشة!..

في طريق عودتنا إلى المنزل كانت السماء تمطر، صعدت هيفاء لشفتها عندما وصلنا. قالت لها بأتي سأجلس قليلاً تحت المطر.

جلست على الكرسي الخشبي أمام العمارة. دائما ما كنت تقول لي بأن المطر يجعلك تشعر بأن الله يحيط
بك من كل اتجاه.. أنا أيضاً يا عزيز، أشعر بأن للمطر قدسية خاصة، قدسية عميقة.. أشعر بأن المطر يغسل أرواحنا، ينقينا ويبقي خطائنا.. تضحك علي كثيراً حينما تتمطر.. فشعرتي مهما كان مسرحاً لا بد من أن يتمرد تحت المطر.. أول مرة انتهت فيها إلى هذا الأمر.. كنا نجلس في إحدى قاعات الجامعة.. حينها خرجت أنا تحت المطر.. ضحكت كثيراً عندما عدت...
قلت لي: يا لك من مزورة!
سألتك: أي تزوير تقصده؟
أشرت بيدك إلى شعري.. شعرك!.. أنت تحاولين تغشيني...!
دام شعرك... ليه تستشوريه؟
جلست بجوارك.. لا يا شيخ!
سألتني: أستاذك تركب؟
تجالشت وأنا أقلب أوراق الكتاب.. قلت لي: ماذا عن رموشك؟.. أهي حقيقية؟!
لم أرد.. قلت: سأسألك آخر سؤال.. أتضعين عدسات على عينك؟!

 يعني لو أنني أضع عدسات فاصقة فهل أضعها وداعا؟
يمكن أن تكون عيونك الأصلية شهاء!
قلت لك: عزيز ترى بديت أتترفض..
ضحكت: يا ببيبي عادي وش فيك.. فيه بنات كثير شعرهم وتزوجوا وخلفوا وعاشوا حياتهم بشكل طبيعي...
لطالما كنت استفزازياً يا عزيز.. لكنني اشتقتك إليك كثيراً، افتقدك بشدة.. أفتقد استفزازك لي.. ومحاولاتك لإغضابي ومن ثم لإرضائي..
شعرت وكان المطر قد تغلغل في مسامي حتى وصل إلى
أعمالي، شعرت به في داخلي.. داخل روحي وجسدي.. رفعت رأسي إلى السماء ودعوت الله.. دعوتني أن تعود إلي، أن لا يحرمني منك وأن يغفر لي دعوتي السابقة في انتزاعك من قلبي، أنعبني غيابك يا عزيز..!.. أعني بكثيراً..

***

أعرف مشكلتك لكني لا أفهم أسبابها.. أدرك بأنه لا قدرة لك على الالتزام مع امرأة لكني لا استوعب أذاعرك الواهبة.. دائماً ما كنت تبرر لي أفعالك بأنها من طبيعة الرجال لكنها ليست كذلك.. تدرك هذا كما أدركه وإن كنت لا تعرف به.. (ثقة بي) ..!.. دائمًا ما كنت تطلب مني أن أثق بك.. وكيف أفعل؟!.. أرجوك أخبرني كيف أفعل؟!.. صرت في وجهي مرة: كيف أثق بأمرأة لا تثق بي؟.. وكيف أثق برجلك لا يلتزم معي بشيء؟.. لطالما طلبت مني أن أكون صبورة!.. كنت تردد على مسامعي بأن المرأة (العاقلة) هي من تفهم وتصبر وتتجرع المرارة من أجل من تحب..

سألتك وماذا يفعل (الرجل العاقل)؟.. أجبيك: الرجل العاقل لا يحب سوى امرأة واحدة.. يحتاجها ويخشي عليها، لن أصبح عاقلًا ما لم تكوني صبورة.. تفهمي أرجوك ادعمني فانا بحاجة إليك.. إلى متي يا عزيز؟!.. إلى متي أتفهم وأصبر وأدعم بلا مقابل ويلًا نتيجة!
استقبلت رسالتك النصية الأولى بعد شجارنا بأربعة أيام. كتبته

لي:

You have been the one for me

لم أفهم الحالة التي كتبت لي فيها!! قرأت في رسالتك تلك بعضاً من شرق وندم.. وخبية.. ونهاية.. دائمًا ما تكون مشاعرك مزيجًا من هذا وذاك.. لم يكن حبك لي خالصاً ولم تكن خيانتك لي كذلك..

كتبت لك:

You're still the one until this very moment

أحبتي:

You make me feel sick!..

لم يكن في جملتك هذه سري الغضب، فأتيرت الصمت بانتظار غد جديد.. غد أفضل!!!

***

في اليوم الخامس وبعد خروجنا من الامتحان، كنت تجلس مع أصدقائاك إلى الطاولة المقابلة لقاعة الامتحان.. دبت في جسدي رعشة حينما رأيتك، كنت تضححك معهم.. سكتت فجأة حينما وقعت عيناك عليي.. فاتجهت حيث تجلس..

أخدتي هيفاء من ذراعي: على وين؟

بسلم ع الولد!!

64
انتشر أصدقاؤك مبتعدين عندما اقتربت... وكان كرة (بولينغ) أصابتهم فتناثروا...
لم يبق برفقتك سوى زياد...
قلت لك: عبد العزيز، هل يمكن أن نتحدث قليلا؟
أشترى إلى الكرسي المقابل لك. أجل...
جلست وجلست هيفاء... أستاذن زياد لكني أوقفته طلباً منه أن يجلس وأن يشهد!!... فجلس بحرج...
قلت لي: ماذا تريدون يا جمانة؟
أجبتكم بصوت مرتفع: لا أريد أن أخبرك. لم يحدث شيء بيني وبين أحد... صديقي...
وماذا؟
أخبرتك عن كل ما حدث بيننا... لم يحدث بيننا أمر تجهله...
أقسم لك...
لكنك اعتفت لي بعلائتكما...
أنت من أرجو أن أقول هذا... وأنت تدرك ذلك...
اسمعي يا جمانة... لن أصدقك إلا بشرط واحد... لن أناششك في شيء قبل أن توافقني عليه...
وما هو شرطك؟...
أممم... في منزل باتي ووبرت مستودع خارجي... يجهزه حالياً لتأجيره كغرفة خارجية...
أهآ؟
سأنتقل إليه... وستسكنين في غرفتي...
لم أفهم...
بل فهمت... ستمتين معنا...
صاحبة هيفاء: شرايك تuyếtها بدارك... مو أحسن؟
أشار عزيز ببده إلى زياذ: زياد تكفّي أبعد هالنّبّة عن وجهي
ترى والله ماني طايقها...
أكد منت طايقتي... لاني فاهمتك وعارفة سوابك الرذية...
قال زياذ: هيفاء خلاصك شغل فيهم... مالمفروض تتدخل بينهم...
طعاً... مو رفيقك...؟ راعي الحفلات والبارات...
قال عزيز: ترى مو راديي عنك إلا أنك بنت... وأنا مو متعود أمد إيدي ع بنت...
لا محشوم... متعود تضححك عليهم... مو تكفههم...
قلت: خلاص عاهيفاء... خليني أسمع... وغيره يا عزيز...؟
لا يوجد غير شرطي هذا...
أجنت...؟
جمان، هذا هو شرطي...
ولهل تتوقع أن أقيم معك...؟ أولاً... ستكونين في داخل البيت وسأكون خارجه... ثانياً لو أردت بسكوء لفعلت منذ سنوات وأنت تدركين هذا...
لا فرق بين داخل البيت وخارجه... في كلتا الحالتين بنظر الناس تقيم معاً...
لا يهمني الناس...
لكني أهتم بهم...!... أنت رجل... أما أنا فامرأة... هناك فرق...
هذا هو شرطي...
عزيز... لا تطلب المستحيل...
جمان، هذا شرطي...
ما الذي تحاول الوصول إليه...؟
أن ننفي المشكلة وأطمئن...
تعرف بأتي لين أقبل بعرضك...
وتعرفين بأنها فرصة اتخاذك الوحيدة يا جمانة...
لا قدرة لي على قبول عرضك...
ولا قدرة لي على الاستمرار في هذه العلاقة وأنت في مكان...
وأنا في آخر...
لطالما كنا في مكانين مختلفين!
تغيرت أشياء كثيرة في داخلي...
عقد لساني... كانت عيناك تشعلان حزماً... أعرفك حينما تكون...
في هذه الحالة، لن تتراجع عن موقفك مهما تحدثنا ولن تتواني عن...
تنفيذ قواعدك مهما كانت العواقب... ومهمها كانت الخسائر...
قالت هيفاء: جمانة ليس سكني؟ لا تكونين تفكرين باللي...
يقوله...
صرخت فيها بغضب: أنا وش قلت؟ ما قلت اطلعي...
منها؟؟؟
صاحت فيك... وأنتا شكو؟؟ أنا قاعدة أحكي وياها...
قال زياد: هيفاء... فلنا مالنا شغل فيهم...
قالت له: لا والله... شرايك تعزمني أسكن وياك أنتا الثاني...
لا تكلفين... لا تسكنين معي ولا أسكن معك... ناقص وجعل...
رأس...
كنت أشعر وكأني في حلم... هيفاء وزياد يتشاجران... وأنت...
أمامي كالصخرة تتظر إلي بقسوة... وكأني زانية...
قلت: قري الآن...
دمعت عيناي: تعرف بأتي لا أستطيع...
حسنًا هذا خيارك... فتحملني نتائجه...
تركنتي خلفك.. وفي قلبي بعض حيرة.. وكثير من وقع
كم كنت (قليلة حيلة) ..!..

***

انتهت امتحاناتنا ونجحت بصعوبة.. حاولت الاتصال بك لكتني
لم أتمكن من الوصول إليك حيث أغلقت هاتفك.. حادثة روبرت
فأخبرني بأنك سافرت إلى (مونتريال) وستقضي هناك حوالي
الأسبوعين.. وتوقف الزمن!.. لم أكن أشعر بشيء يا عزيز سوى
بتآكل أماعتي المضطربة وألام معدتي الثائرة.. كانت آلام قرحتها
تتفاقم بينما كنت تستمتع بوقتك مع زياذ في مونتريال.
لم أرغب بمحادثة والدتي وأنها على تلك الحالة. كنت مريضة
وخشيت أن أقتلها علىً حيث تفصلنا قارات وبحار.. لكنها كانت
تصل بالإلحاح غريب لم أعتده منها.. أجبيها.. كانت تصرخ في لأول
مرة: اتصلت بك كثيراً ولم تجيب!.. أين كنت..؟
المعذرة.. كنت مريضة وخشيت أن أقتلها علىً!
أسمعي.. استقلل أول طائرة عائدة إلى الرياض وتغالي!
أنا بخير الآن حبيبي.. لا تقلق عليً!
صرخت: قلت لك.. استقلل أول طائرة وتعالي!
كانت غاضبة على غير العادة فأخفختي.. سألتها: ما الأمر!..؟
ستتفهم حينما تصلين..
نتفهام على ماذا!..؟
قلت لك ستتفهم حينما تصلين.. رتبي أمور سفرك الآن
واتصل بي بعد أن تحجزي..
ماذا حدث!..؟
الحبة أكتر مني يبنغي

جمانة.. إن لم تأتي بنفسك.. سيطرك خالد وسياطي بك بنفسه..

إيلي...! ما الأمر.. ماذا حدث..؟
نفذي ما قلته لك.. يا الله!.. كيف غفلت عنك إلى هذا الحد..؟
غفلت عنني!.. أمي.. أرجوك أخبرني ما الأمر..؟
ظننت بأنك متعبة.. ظلنت بأنك أشتكى إليٌ عندما تحدثنا الأسبوع الماضي على الرغم من أنني شعرت بخطب ما.. لكنني استبعدت حدوث ذلك.. أي أنت تفعل هذا..؟
أمي.. تحدثني معي أرجوك، أخبرني ماذا حدث لتقولي كل هذا..؟
ما حدث!.. أتسأليني عبَا حدث..؟ أنا من يحق له سؤالك
عمَا حدث وعما يحدث..
أي أمر تتحدثين عنه..؟!
أتحدث عن الأمر الذي جعلك طريحة الفراش.. أتحدث عن الأمر الذي بكنت من أجله ليلة عندما اتصلت بي.
تشارعت نبضات قلبِي: لست أفهم.. أمي تكلمت بصراحة.
أتكلم!.. أأخبرك بأن رجلاً من السفارة السعودية اتصل بي.
ليطلب مني أن أعيدك طوعاً.
 gratuitني طوعاً!..!
أعيدك طوعاً.. قبل أن ترجلوك السفارة إلى الرياض كحقيقه مشرونّة.. وعلى جبينك وصمة عار!..
ولماذا ترجلني السفارة..؟.. وأي وصمة عار تتحدثين عنها..؟
هل ظننت بأن السفارة ستغضب من الطرف عن فتاة سعودية تجوب شوارع كنداً مع حبيبها الإماراتي المتزوج؟؟
حبتي الإماراتي...!!
لا تنكرني يا جمانة... ستستقلين الآن أول طائرة عائدة إلى الرياض وبالتالي لنا حديث آخر.
أغلقت والدتي هاتفها في وجهي وتركتني غارقة في ذهولي وخوفي.
كيف تحاسبني السفارة على علاقة غير حقيقية بيني وبين ماجد؟ وكيف يتصل أحد يدعى أنو من السفارة بالدتي وليس بالدتي أو أحد أخوتني الشباب؟
أنت الوحيد الذي يعرف رقم هاتف والدتي من بين زملائي...! أتصلت بك مرة من هاتفها حينما كنت في الرياض ولكنها كانت مكالمة نتيجة ومضى على تلك المكالمة حوالي العامين...
قالت لي هيناء: حبيبي...! عيال الخليج لو تدقين عليهم من كينة سجلوا رقمها.. ماكر غيره.. عزوز النزغة...
قلت لي مرة: إن أغضبني يوماً.. تأكدي أني سأفعل كل شيء، وأي شيء فقط لاسافي غليتي منك...
لكنها قالتها لتخفيفي كعادتك.. فقط لتخفيفني يا عزيز... لا أصدق بأنك قلبي مثل هذا...
قلت لهيناء: هيناء.. من المستحيل أن يكون بي هذا...! كيف تتخيلين أن بإمكانه أن يدمرني!...
قالو لرسالتنا صوت رسالة هاتفية، فتحتها... كانت رسالتكم تلك يا عزيز كخنجر مسموم.. كبت لي بدم بارد:
أخبرتك مسبقاً بأنك إن لم تكوني لي... لن تكوني لغيري!...
تحملتي النتائج...
وتلبسي حينها سواء حالك... كقلبك الأدمي!

***

دائماً ما كنت أخشواك لكنني لا أشعر بالأمان إلا معك، بمعيتك... داهم ما كنت أعتقد بأنك ستكون معني، بجانبي... حولي بأي ظرف سأمر به ومهما كانت الظروف والأحوال... أنت (رجل)]
ولن يمضني سوء بوجودك... أبداً يا عزيز... أبداً!... تجرحني كثيراً... لكنك لن تخلي عنني... دائماً ما تكون معني في اللحظات الصعبة... دائماً ما تحيط بي، تطقوتي بحنان غريب وتبعد عنني كل ما يؤديني... أخبرتك مرة بأنني لا أشعر بقوتي إلا (معك) وبأنني لا أشعر بضعفك إلا (معي)
ولا تشعر بقوتك إلا (أمامي)... وهنا فرق، فرق كبير...!
حينما قرأت رسالتلك تلك... شعرت بأسياخ من حديث ساخن تغرس في صدري... لا يا عزيز... لم تفعل بي هذا... لا قدرة لك على أن تفعل بي هذا... تحبني يا عزيز... تخشى علي بكثيراً...
كيف تفعل بي ما فعلت؟!
أتذكر الليلة التي قضيتها في سيارتك أمام منزللي حينما كنت مريضة، كنت أرجو أن تعود إلى منزللك لكنك أبت.. قلت لي حينها بأنك تجلس في أظهر بقعة في الرياض... وبأن طهري لذيذ...
ودافع!...
حينما اتصلت بك بعدما قرأت رسالتلك... كنت أرجو الله في
نفسي أن تكون هيفاء مخطئة.. كنت أرجو أن تكون رسالتك قد صادفت مكالمة والدتي وأن لا ضعف لك في الأمر..
أجتنبي بقسوة: نعم!
لست من اتصل بالدتي! 
بلإ!
أنت تكذب...
حذرتكم يا جمانة من أن تلبس معي...
لا قدرة لك على فعل هذا بي...
أفعل ما هو أظقل إن أردت...
كيف تقدر على أن تكون وحشاً فجأة!
لأنني أحبك.. لأنك أحرقت قلبك عليه، ومثله لا يفعل به ما فعلت...
فعلت...
صحة فيك من بين دموعي: أنت مريض!.. الحقد والشك 
يملان قلبك ويعميان عينيك.
صرخت: اسمي، ستعودين إلى الرياض على قدميك وبرضاك 
والإ ستعودين (مسحوبة) من شعرك على الرغم منك.
عزيز أنا لن أعود.. لن تقدر على أن تعدين.. لقد انتهيت منك، انتهيت من وحشتك...
وأنا انتهيت منك من زمان.. من اليوم الذي فضلت علي فيه 
هيفاء وماجد، دعوين تقدمون لك ما يفعلك!...
قررت أن أضع حداً لعلاقتنا يا عزيز بعدما أغفلت الهاتف في وجهي .. قررت أن أنتهي من كل ما يربطني بك.. لم أعد أعرفك، 
أنت رجل لا أعرفه، لست الرجل الذي أحببت.. لا تشبهه أبداً!...
اتصلت بي والدتي للتأكد من أنني رتبت أمور عودتي.. لم يكن
اميامي من خيار يا عزيز سوي أن أخبرها.. أن أخبرها بكل شيء...
لم ترك لي خياراً آخر... لم تصدقي في البداية لكنها اقتنعت بأن...
في الأمر لعبة بعدما نبهتها بأنك اتصلت بها وليس بوالدي أو بأحد...
أخوتي!...
لم يشع لي هذا عندها يا عزيز، لم يخف غضب والدتي،
ولم تراجع عن قرارها في عودتي.. أتدي ما المضحك في الأمر...
يا عزيزي!.. تخيل بأندي كنت أدافع عنك.. بأنني كنت أختلق تلك...
الأعرار لتنجو من غضبيها.. كنت أحاول تبئير فعليتها، تعذرت ل...
بغيرت ويخفف عليها.. لكن كل هذا لم يشعف لك عندها.. خافت...
والدتي عليًّا كثيراً منك.. ثلمها أصبحت أخافك.. قالت لي بأنك...
شرير ومؤذ وبأنك رجل لا يوعى به!.. لكنني دافعت عنك وبصراءه...
انتقدت معها على أن أوجل موعد عودتي بعدما أقسمت لها بأنني لن...
أتحدث معك حتى تأتي هي لزبانتي وتفتحم معك بنفسها.. وقد...
كأن قسمى هذا كسم أتجنجه في كل يوم.. أصبحت والدتي تتصل...
بب عدا مرات في اليوم الواحد لتتأكد من أنني لم اتصل بك ولم...
أقابلك!...
انقضى أسوعين كنا في غابة القسوة يا عزيز.. اشتنقت إليك...
 كثيراً على الرغم من فعلاك الأخيرة بي.. لكنني لا ألومك عليها،
كنت غاضباً يا حبيبي، وأنا لا تفكر عدما تغضب!...
بعد انقضاء الأسبوعين وفي الليلة التي تسبق أول يوم تستأنف...
فيه الدراسة.. لم أتمكن من النوم.. كنت أعرف بأنني سأقولك في...
الخد.. أعرف أيضاً بأنك نادم على ما حدث، أعلم كم اشتكنت إليك...
وبأنك أدرت.. لكنك تكرار كما تفعل دوماً.. هذا دابك!...
لم أكن غاضبة منك يا عزيز.. لم اتصل بك خلال الفترة
المضمنة لأنني قطعت عهداً على نفسي بالآ أفعل بناءً على طلب أمي...
في الصباح، عرجت على المكتبة المقابلة للجامعة. ابتعت كتاباً لدكتور فبل يحمل عنوان:
Love Smart.. Find the One You Want, Fix the One You Got...!
كان الجزء المهم بالنسبة لي هو كيفية إصلاح من معنى وليس البحث عنه. كنت على ثقة من أنني سأتمكن يوماً من إصلاحه، ابتعته وأنا على يقين من أنني سأصلحه يوماً! كنت قد جزمت على أن أقرأ الكتاب يوم ذاك، وعلى أن أبتدي مشروع إصلاحه!
عندما وصلت إلى الجامعة، كان زملاؤنا يتوسطون الباحة، جلست بعد أن سلمت عليهم، كانوا ينظرون إلي بنظارات غريبة...
سألت زياد: هل وصل عبد العزيز من مونتريال؟
أجابني بارتباك، لا.. لا أظن...
المن تكون معه؟
لا...
كان أصدقاؤنا صامتين يا عزيز على غير العادة، تبادلوا نظارات غريبة أخجلتي.. شعرت بأنك سريت بينهم حكايته (ماجد) الوهيبة... اقترب منا (مؤيد) الطالب المستجدي والذي لم يكن قد مضى على وصوله أكثر من ثلاثة أشهر... حيا الجميع وسلم بحراوة على زياد...
قال له: زياد! وين العريس؟... إيش الحركات هذي!...
تنححن زياد بحترج... وعلى وجهه ابتسامة صفراء... كان ينتقل
مثبته أكثر منا ببني

بيصرة بيني وبين مؤيد. قال مؤيد: والله مو هين عبد العزيز هذا.

يتزوج كذا فجأة بلا أحم ولا دستور، طب يقول لنا نحضر فرحه.

نفعه له! نسوي معاه واجب!

أجابه زياد: معليش مؤيد. كان كل شيء سريعًا ومفاجأة.

سأله مؤيد: الله يوفقه ياسيدي. فرحنا له والله. يقولوا

العروسة كندية!

لبنانية بن معها الجنسية..

والله مو هين عبد العزيز؟ هو هنا الحين؟

لا. بمونتايرال. راجع إن شاء الله قريب.

الله يهنيه. عقبالنا إن شاء الله...

إن شاء الله...

أمانة عليك يا زياد أول ما يصل عبد العزيز تبلغني.. نبغي

نعمل له عزيمة كذا يستاهلها...

أكيد إن شاء الله...

نظر إلي زياد. كنت لا أشعر بشيء يا عزيز، لا أشعر بشيء

على الإطلاق. سالت على خدي دمعة حارة من دون أن أ שק..

قال زياد: جمانة. هو لا يستحقك!

قلت له: مرحك سخيف!

جمانة.. أرجوك.

أنتما متفقان! تريدان إيلامي..

جمانة. لا أعرف ماذا أقول...

مستحيل. من المستحيل أن يتزوج خلال أسابيع.

قال (محمد) صديقكما المقرب: جمانة. لقد تزوج من صديقته

القديمة.. كان يعرفها قبل أن تجيء إلى هنا...

75
أيعلق هذا يا عزيز.. دائماً ما كنت تطلب مني أن لا أصدق أحداً غيرك!.. أتذكر..
قلت لي مرة: جمان.. أوعديني ماتصدقين فيني أحد!..
كيف يعني!؟.. يعني مهما ستمعي عن فلا تصدق.. تعالى واسمعي مني...
مهما حصل...
ووعدتك يا عزيز.. وعدتك أن لا أصدق أحداً غيرك .. لكنهما
زياد ومحمد!.. فكيف لا أصدق!..

***

تيبه ..
ما ملت وظلت تحترم...
كل الوفاء شفته.. على ذاك الرصيف ذاك المساء...
وكل الجفاء شفته على نفس الرصيف نفس المساء...
سمعت أغنية (عبادي) تلك بصوتك آخر مرة وعلى أورار
عودك.. كنا في رحلة، طلبت منك إحدى زميلاتنا أن تغني لنا
وتعرّف على عودك.. أثرت بيدك إليًّ: استأذني من جمان.. إن
أعطتنا الإذن سأغني!..
تعالى أصوات الحضور.. كنت تنظر إليّ وأنت تضحك، كنت
سعيداً بي يا عزيز.. كنت سعيدة بك.. سعيدة بك للفائدة...
أهديتي في عيد ميلادي السابق شريطًا سجلته فيه بصوتك
بعض الأغاني التي تحبها.. في طريق عودتي من الجامعة إلى
البيت.. أدرت مسجل السيارة.. كنت أبحث فيه عن صوتك

76
ليوقظني، ليخبرني بأن ما يحدث ما هو إلا كابوس، فطيع سأستيقظ
منه قريباً. كان صوتك حنوناً، وأنت تتشدو...

يا قلها مسكن ما تدري...
إن الهوى سكين.. يجري ولا يبري...
إن الوهم أحقية بالغرام..
إن الحبيب اللي تيه.. أحلام!
يا قلها لا تتظر...
دوّر على غيره...

حتى الأغاني التي كنت تفضلها كتبت رسائل تحمل كلها
معنى ذاته، أكاد إنها تجاوزت كلها. قدر أخرى غفت عنها، كنت
تفضح كل نهاية أسبوع فيها. نحوجت لي بأن أتركك أنت ونلتزم:
نتفرج نا كثيرة أن تتعلق من زيارتك ل mườiيرم، ووعدت أن
طلبتك مني أن تتفرحو بها، أصبحت لا تسمع إلا حينما
تكون متشاجر!.. ظنت بأنك تفعل هذا لتفيضي لك صارحتي
يوماً بأنك تسافر إليهم، حينما تكون غاضباً مني.. لتنشل نفسك من
مزاجك الحزين...
قلت لك ذات مرة بأن زيارتك إلى مونتريار بالغ فيها.. لا
يشاجر رجل مع حببته في نهاية كل أسبوع من أجل رؤية أقاربه
الشباب في مدينة أخرى!
سأنتني: ماما تقصدين؟...
أشعر بأنك تسافر من أجل الفتيات..
وهل أنكبد عناء السفر من أجل فتيات؟!.. لا يوجد هنا
فتيات؟!.. جمان.. هناثا فتيات وهناك فتيات.. حتى الرياض تسكنها
الفتيات..
أمم.. لا أدرى.. أشعر بهذا.
قلت لي بغضب: أشتكтики بي يا جمانة؟!.. لا أسمح لك
بأن تشتككي بي!..
و غضبت مني يا عزيز.. وكان غضبك قاسيّا كالعادة.
أتذكر.. قلت لي يوماً بأنك سترافق محمد وزياد في رحلة
خلال نهاية الأسبوع، وإنك لن تنتمك من الاتصال بي وأنت
بمعيتيهم.. اتفقنا أن نبقى على اتصال من خلال الرسائل الهاتفيّة
و وفية بوعدك لي..
كنا أنا وهيفاء في صالون التجميل حينما اتصل (زياد) بها
مستفراً عن مواقع الإلكترونية يجري من خلالها بعض البحوث قلت
لها: ما أمر زياد؟.. لما لم يفارق عزيز ومحمد في رحلتهم؟?
أجبتها: أي رحلة؟
التقطت هاتفها من يدها: زياد.. ألم تستقروا؟
أجابني وبحروف مرتبكة: جمانة.. أنا لا أحب الرحلات!
لكن عبد العزيز قال لي بأنه سيسافر معكم..
قد يكون مع (الشباب) يا جمانة.. أذكر بأنهم كانوا سيسافرون..
اتصلت بـ (محمد) الذي رد عليّ نائماً!..
المدرعة محمد، هل رأيت عبد العزيز؟?
أهلا جمانة.. لم أقابل أحداً اليوم.. قابلته في الجامعة يوم
أمس.
كانت تهزيني هيفاء من كتفي: جميلك.. تعرفين أنه يكذب، كم
من مرة كذب عليك فيها؟
عرفت حينها بأنك في مونتريال. كنت غاضبة منك لكنك وكعادتك. قلبت الأمور رأساً على عقب. قلت لي بأنك كذبت عليّ لأنني لا أفهم ولأنني أجبرك على الكذب وحذرتني من أفعالي هذه. حذرتي من أن أخسرك ما لم أفهم حاجتك لرؤية أقاربك. سامحتك وحاولت أن أفهم بعدما وعدتني ألا تكذب عليّ.

ابداً...

إلهي كم أرجو أن تتصل بي يا عزيزي. أن تكذب عليّ مجدداً! أن تبرر لي ما حدث بعذر سخيف. سأقتع بما ستخبرني به، سأكتفي بمراراتك ولن أصدق أحداً غيرك مهما قيل. وعدتي بأنني لن أصدق أحداً غيرك مثلما وعدتني ألا تخذلي يوماً...

حينما وصلت إلى البيت. فتحت بريدك الإلكتروني. كنت على يقين من أنني سأتلقى رسالة منك. وبالفعل!.. كنت قد أرسلت إليّ برسالة في الصباح. كنت لي فيها:

(حلمت أنني عندكم في البيت وكان عندنا ناس ما أذكروهم.. كنت جالسة قدامي بوجه طفولة شوشه وحاطه طوق على شعرك. كنت تغيفلك الليل عندي وحركتك بفمي بدون صوت وقلتلك أحبك!.. كنت نظرت لي وصديقي والزعل واضح عليك...)

لم أتمكن من الرد، لم أعرف ماذا أكتب، كنت أشعر وكأنني في حلم. كنت أشعر بأنني كشبح، شعرت بأنني غير مرئية!.. تتحرك الأشياء من حولي وتعالى الأصوات ولا قدرة لي على فعل شيء أو تحرك أي شيء...

دخلت فراشتي لأنام. دائما ما كنت تقول بأنني أهرب من مواجهة مشاكل من خلال النوم، لكنني لا أواجه مشكلة يا عزيزي.. أنا في كابوس ساستيظف منه بعدما انام.. وسينتهي كل شيء، كل شيء يا عزيزي.. كل شيء!..
على الطاولة المجاورة لسريري صندوق بلاستيكي صغير.
تستكين السلحفاة (سلسيل) والتي أهديتي إياها قبل ثلاث سنوات.
أهديتي إياها لتعلم منها الصبير ولأنها هادئة مثلي وتشبهني!
رأفتني (سلسيل) حتى في سفري، علمتها الصبير يا عزيز بدلاً من أن تعلمني إياها. نظرت إلى الصندوق البلاستيكي فوجدتها منكفة.
حاولت تحريرها لكنها لم تتحرك.
ماتت (سلسيل) يا عزيز. ماتت في ذلك اليوم! لا تقل لي بأنها إحدى إشارات القدر، لا أطبق إشارات القدر يا عزيز، لا أفهمها ولا أريد أن أفهمها...
قررت (سلسيل) في مكانها. قلت لها: لا بأس. سنتأمل قليلاً.
وستستيقظ بعد قليل، وبعدها سيكون كل شيء على ما يرام...
نمت ونامت!

***

أيقظتني هيفاء من نومي وهي تهمس: جمون، جمون.
فتحت عيني بفزع. كنت أتفنن في ملامحها عن يوم آخر. لا يشبه اليوم الذي نمت في بدايةه. يوم مختلف، مهما كان اختلافه.
لا بد من أنه سيكون أفضل...
جمون، نائمة بهدوءك الله يهداك! تومي شوفي زياد تحت.
تحت وين؟
تحت بالسياقة ينظرك. قومي شوفي شبيه...
من معه؟
من يكون معه يعني!.. بروحه.
دخلت لأغسل.. كانت قدماي ثقيلتين، نظرت في المرأة.. كنت مختلفة!.. شعرت بأنثني أكبر بكثير مما كنت عليه ذاك الصباح.. وكناني استيقظت بعد حفنة أعوم! كان (الكنجل) يلطخ تحت عيني بعض الشيء.. تحبني هكذا يا عزيز.. دائماً ما كنت تخريني بأنثني أجمل هكذا، وبأنثني أصبح كغيرة أسابية لكحلي الملطف.. أتغار من رؤية زياد لي بعيني المنتختين؟.. لا أظن بكأنك تفعل.. نزلت إلى زياد.. ركبت السيارة وأنا (نصف نائمة).. كيف حاكم جمانة..؟ بخير يا زياد.. ما الأمر..؟ أحقاً أنت بخير..؟ سألته بصمت: أتراني بحالة سيئة يا زياد..؟ اخفتني صباح اليوم!.. ولم تردي على مكالماتي فخشيت عليك.. كنت نائمة.. أمسك زياد مقود السيارة بكلنا يديه.. كان ينقل ببصره ما بين المقود والمارة وهو يتحدث.. لم يكن ينظر إلي: جمانة.. كم أكره عبد العزيز.. يوقفني معك دوماً بمواقد محرجة.. لا بأس يا زياد.. لا شأن لك بأفعال عزيز.. جمانة أعرف أنك حاترة.. ولا أود أن أزيد حيرتك، لكن هناك أمراً أود إيضاحه لك.. أي أمر هذا يا زياد..؟ لا تغضبي من عبد العزيز يا جمانة، فلتشفقي عليه!.. أدرك بأنك مجريحة وبأن عبد العزيز تمادى كثيراً بأذنك.. لكنه مسكين!..
ضحكك بعينين دامتين: مسكين؟

هل زياح رأسه صديقني مسكين! أعلم أنك لا تنهمين معنى
تصرفاته.. هو أيضا لا يعرف لماذا يصرف بهذا الشكل.. لا تشعر
بالسوء، أبدا يا جمانة.. لتجعل ما حدث يشعرك بالذنب فهذا
هو (القصد) من كل ما يفعله..

ي كنت أنظر إلى زياح وهو يتحدث، كانت عيناه تلمعان حزماً.

كان يتحدث برقة صديق خائف.

قال: جمانة.. أتعرفين ما مشكلة عزيز معك؟.. مشكلته أنه لا
قدرة له أن يتحمل نفاكك.. يشعر بقراوة نفسه بالسوء، يظن بأنه
سي.. لا أريد أن أجرحك لكن هناك ماضي أسود لعذاب، علاقات
متعددة ونساء كثيرات.. وجدت أنت وانقلب كل موازينه.. أحبيته
لدرجة أخفته!.. لم يكن قادراً على ضمك لقائمة نسائه ولم يتمكن
من الإبتعاد عنك.. أحبك لدرجة أنه كان يخشى عليك من نفسه
كما كان يخشى منك في الوقت ذاته.. كان عبد العزيز واثقاً من
إخلاصك وهذا ما علنه.. يدرك أنه الرجل الأول في حياتك بينما
جفت أنت بعد عدة فترات، حاول عبد العزيز أن يفرض عليك
قيوده وشروته فقط لتعصبه فينتهي منك لكنك لم تفعل.. تنازلت
كثيراً وصبرت كثيراً وهذا ما كان يزيد عذاباً.. أتدرین يا جمانة!

سألت عزيز مرة (لماما لا تنزوجان؟) .. قال لي بأنه لا قدرة له
على الزواج من فتاة يعرفها أصدقاؤه.. قلت له بأن علاقتنا مع
جمانة هي من خلافك، لا نجلس معها إلا بوجودك كما أن
مجموعة كبيرة من زملائنا مرتبطون رسمياً بزميلات لنا.. أجابني بأنه
لا يتحمل فكرة أن يعيش مع امرأة يعرفها أصدقاؤه ويبونوها كثيراً..
لكنني أدركت يا جمانة بأن عزيز يشعر بقرارة نفسه بأنه لا يستحقك.
حاولت الابتعاد عنك قدر الإمكان، علاقتنا بك شبه رسمية. احترمنا
علاقتك بعبد العزيز وغيرته عليك لكن هذا لم يكن لرضيتيك.
جمانة. أعرف ما حصل بينك وبين (الإمارات)، شرحت لي
(هيفاء) ما حدث. عبد العزيز يدرك بأنك صادقة ومخلصة وأنك لا
شيء يربطك بالرجل. لكنها كانت فرصة ليشعر بأنك سيئة. مثله
تاماً، كنت الفرصة الوحيدة التي يقنع بها نفسه بأنك كنت عليه
مثلما يفعل عادة معك. هذه فرصة الوحيدة ليشعرك بالذنب. بذنب
الخيانة. كان لا بد من أن نقتصر هذه الفرصة لأنه يشعر بالذنب.
قلت له بأن ما كان يمكنه من الزواج بجمانة هو علاقتنا بها.
علاقتنا بها كزملاء. (ياسمين) كانت صديقتنا، تشرب وترقص
وتسرح معنا، أجابني بأن الأمر مختلف وأنه المكالمة!
صمت زياد قليلا وقال: جمانة. لا تمكتني عبد العزيز من
tديرك. حدث ما حدث بسبب نزاعات الداخلية، مازالت صغيرة يا
جمانة. قد تكون التجرية قاسية لكنك ستتجاوزيها.
قلت له: شكرًا زياد...
كوني قوية. ولا تسمح بأن يؤثر هذا الأمر على سير دراستك
وعلى حياتك. مهما كان صعباً...
إن شاء الله، تصح على خير.
تصبحين على خير.
صعدت إلى الشقة. كانت هيفاء تجلس إلى الطاولة تتناول
الطعام...
قالت: شاكرًا..
أيها..! ماتت وانضمت للقاء في الفضاء!.. إلهي ما أكثر من سيفتبتПет بي يا عزيز!...

***

إذاً..! فاسمها ياسمين!...
فهمت الآن..! إلهي كم كنت ساذجة..! أين كان عقلي؟!
اتصلت بي خلال إحدى زياراتك إلى مونتريال.. أخبرتني بأنك قد أعدت مفاجأة لي، كنت في غاية الحماس.. طلبت رؤيتي حالما وصلت، وطلبت أن تكون هيفاء برفقتي على غير العادة.
تقلنا في المقهى، كان بمعيتكم كل من زيد وموحمد.
قال زيد: ها قد وصلت جمانة، ما هي المفاجأة؟
ابتسمت وفتحت أزرار قميصك.
قالت لك هيفاء: شالسالفه!.. بتطب بقلاس الماي؟
كنت تضع ضمودة على صدرك، انتهت ببطء، كان موشوما على صدرك الحرف الأول من اسمي باللغة الإنجليزية.. حرف الـ (J)
فوق قلبك، فوق قلبك مباشرة.
سألتي: ما رأيك حبيتي..؟
عزيز!.. أجنت!.. لماذا لو انتبه لوشتك أحق؟!
أُجتني بإبتسامة: لا يهمني.. لا يهمني غيرك..؟
قالت هيفاء: الحين هذا اللي جاينا عشانه؟.. حسبالي عندك سالفه!..
لم يبد أيٌّ من زiad وMuḥammad أي تعليق، كنا صامتين...! تبادلاً نظراً ذات معنى من دون أن يعلقاً سألتك ليلتها... ما أمر زياد ومحمد؟؟ أجبتى: يُظنآن بآني مجنون...! تعرفين بأن السعوديين لا يحبذون المجاهرة بالحب... لا أظن أنهما من هذا النوع... بلآ...! على أي حال أنا لا يهمني غيرك، أنت مشومة في قلبي ولن أخذك من قلبي أحد... تلك الليلة ظنت بأنك غارق في حبي حتى الشمالة يا عزيز... لكنكى أعرف الآن آني كنت غبيّة وبأنك خدعتي... اليوم فقط فهمت معنى نظراً زiad ومحمد تلك... لقد كانا يعرفان بأنك تحاول أن تصيب عصفورين بحجر واحد... أنا وحى اسمها ياسمين... ينطق بالإنجليزية جاسمين! Jasmine... ميدالية مفاتيحك، السلسلة التي ترتديها... كلها تحمل الحرف نفسه... الحرف الأول من اسمي واسمها! إليهي ما أحبك، أي رجل كنت يا عزيز؟... أي رجل هذا الذي أحبت!...

***

قرأت رسالتك الإلكترونية الأخيرة مئات المرات... لم تكن طويلة، لم تذكر لي فيها شيئاً يخصني... لم تتحدث عنك... كتبتي لي فيها عن حلم... فقط حلم!.. أدرك يا عزيز بأنك كنت كل الأحلام؟!! كل الأحلام يا عزيز، كلها!! أظن بأن الشهادة والعلم بعض من أحلامي؟!! لا يا عزيز... هما وسيلة تقيني هنا لأحلام!.. لأحلام بك... بك وحدك... كنت جيدة يا عزيز!.. كنت
حبينتك أكثر منا بنيغي

جميلة بما فيه الكفاية.. أصلني وأصم النواقل.. وأتصدى وأكفل الأيتام.. لست بمحببة لكنني لا أنمص ولا أوشم وليست بمتفلجة!.. لماذا يطردني الله من رحمنه يا عزيز.. لماذا..؟! لماذا يحرمني منك.. وأنت لي الدنيا بمن فيها!

تبادلنا مرة محافظ النقد .. فتشت محفظتك وعيشت بمحفظتي، كنت تقرأ قصص الأوراق الكثيرة التي تملأ المحفظة .. قرأت إديها ووجهك تملأه الدهشة .. سألتني: جمان ما هذا؟! كان إصالاً لجمعية إنسان باسمك ..

قلت لك .. كفالة يثيم ..
ولما هو اسمي ..؟!
كانت يثيمك عنك ..
منذ متي ..؟!

منذ عامين .. حينما كنت في الرياض ..!
ولماذا فعلت هذا ..؟!
أجبتك: أخشى عليك من النار ..
ترقرقت عليك بالدموع ولم تعلق .. ليلتها كنت أغلب النوم في فراشي حينما أرسلت لي برسالة هاتفي .. كنت لي فيها (تصبحين على غير يا ووجع قلبي ..)
لا أدرى لماذا تغفل بي هكذا!! دائمًا ما تصفني بوجع قلبي ..
دائما ما أكون (الوجع ..)

كنا تلعب ومجموعة من الزملاء والزميلات لعبة (الصفات)
قلت: محمد ذكي .. نجود طيبة .. العقود خجولة .. زياد صديق العمر ..
راكان يحب المشاهد .. هفاء لا تعليق ..! .. سعد وقلد حال ..
وصل الدور إلي وقمت .. قال لك المضيف بابتسامة:

وجمانة ..؟! ماذا عنها ..؟!
كان زملاؤنا يتغامزون، فشعرت بالدماء الحارة تتفجر في وجوتي. متوقعة سماع غزيل حار يذيب الثلج.
قلت: جمانة...! ورجع قلبي!...
رجع قلبي!... لماذا لا أكون (قلبك)... لماذا أكون (الوجع)?!.. ألا تجد سوى العزف على أوتر الوجع يا عزيز؟
دائماً ما تطلق أوصافاً، وأسماء غريبة على كل شيء...
حينما أهدينا باتي وروبرت قطةً وقطة من فصيلة الهمالايا الجميلة في أحد أعياد الكريسماس.. كانا سعيدين بالهدية.. طلت منا باتي أن نسميها، قلت: فلنسمِ الذاكر Sensitive !..
قال لك روبرت: بل أنت العدائي!!
دائماً ما يكون اختيارك مضحكاً للأسماء يا عزيز.. كالسلحفاة (سلسبيل) والتي أسميتها على الرغم مني ولا أعرف حتى هذه اللحظة سبب اختيارك لاسمها!!
قلت لك مرة: لا شأن لك بأسماء أطفالي..
وهل هم أطفال (الجيران) ...؟.. هم أطفالي أيضاً.. لي فيهم مثليما لك.
لكن اختيارك للأسماء مضحكه ..
لا يا شيخة!!.. تكفين عادا!! أول مرة أعرف اسمها جمانة.. أيش جمانة.. مين جا؟؟
تذكر بعد فترة من تعارفتنا.. سألتني عن أسماء أخواتي.. كنت مستغرباً من اسمي..
قلت لك أخواتي.. صبا.. ويتيلا..
ياشيخة طبري!!..
أيش طبري؟
لحبته اكتر مما ي ينبغي

تستهيلين؟
والله العظيم!
أيش اللي والله العظيم!..! بدو وبناتهم صبا وبتيل!..! أمك
أيش اسمها؟..! غابريل!..?
والله عاد جت كذا..

الحين اسمك بالله بلعته..! تجين تقولين لي بتي ولصبا؟
وانت أيش اللي مضايقك بالموضوع؟! أيش حارق رزك؟?
جدك أيش اسمه بالله!..?
وانت أيش تبي باسم جدي الحين!..?
بجد والله..! أيش اسم جدك؟..?

عقاب!..

انفجرت ضحكة: الحين جدكم عقاب وأنتم جمعة وصبا
وبتيل!..! يا شيخة وربي لو جدكم لاحق عليكم كان فرغ فيكم
الرشاش..

تظن بأن أسماءنا مضحكة وأظن بأن اختيارك للأسماء غريب,
من المؤلم أن تطلق على قط صغير اسم..! Aggressive ..
لكن المسكون أن يحمل اسماً عنيفاً طوال عمره بلا ذنب..! لولا أن
أنقذته باتي وطلبت مني أن أسبيه والقطة الأخرى!..! آسفي القطة
فبالأمل والأحلام أحياء، لكنك كنت كل Dream.. والقط
الأمال وكل الأحلام.. كيفي أعيش من دونك ولا حياة لي من
دونهما!?.. بلا أمل ولا أحلام.. بلا عزياز!..

***

حب وحب وحب وحب!..
لمحبيته أكثر منا بيني

مهمها اختلفت علامات التشكيل بظل الحب حيًا.. وتجل
(رجل) الذي أحب.. حينما مرمت خلال العيد الماضي وأدخلت
على أثر المرض إلى المستشفى.. بقيت معي طوال يومين كامليين..
تنام جالسًا على الأريكة أمام سريري، تفقر من نومك بين الحين
والآخر لتفقد حوارتي وتمسح على جبيني.. كنت مصابة بوعكة
غريبة، تصيبني عادة في كل عيد أقضيه بعيدة عن عائلتي، فيثور
قولوني على جسد أعياه الشوق وأشقاء وكأنه تنصبه الثورة.
أحبك كثيرا يا عزيز.. لكنني أتلقى عائلتي بشدة خلال الأعياد،
أعيد كنتا باردة وإن كانت نار الحب متاججة، إلا أن نار الشوق
أشد حرارة.. كنت أجلس على طرف السرير حينما انهرت باكية.:
 كنت أتلقى والدي.. جلست على الأرض أمامي وعيناك تضخحان
حنانا ورغب.. وضعت يديك على ركبتي: ما الأمر يا وجي..؟.. لما
تكيين؟..
لا أحب الأعياد..!! باردة أعيدنا هنا.،
احتضنت كني بدأجل كفيك: أتفقدن (الماما)؟
لكلاهما يا عزيز لأمي ولا بني!! حتى خالد.. اشتفت إليه
 كثيرا.. كم أتمنى أن أعود..
و أنا؟..؟.. لم تتركني حلوني؟؟
لكني لا تتحني..
سحتت رجلتي ووضعت موطئ قدمي على قلبك.. أتمنى أنت
من أنا? لا أحبك؟..
نعم، متأكدة..
أنتظرني إليها؟!
ماذا؟..
أنتظرني إليها..
نظرت إلى عينيك البينتين، لمعت عيناك بروعة جارحة يا عزيز ..
في كل مرة ننظر إلى بعضنا بهذا الشكل أشعر بحرارة تجتاح روحي. أرى الحب في عينيك البينتين فأشعثت .. شعرت بنبضات قلبك تزداد سرعات حتى كادت أن تتفجع قدمي من على صدرك، ضحكت أنا فابتسمت من دون أن ترميه لك عين ..
أرأيت ..؟
أحبك ..
قُبِلت موطئ قدمي وقالت: أنا عائلتك وأنت عائلتي .. لن تشاعرني بالوحدة معي .. أعدك جمان ..
قلت لك مازحة: للا يجرح كبرياءك تقبللك قدمي ..؟
قلت وأنت تلقفها بسانيك: لا .. لكن لا تخبري أحدا ..
ضحكت حتى شعرت بالمرض يتبتخر من مساماتي .. وكان ترياقتي الحب ولا شيء غيره ..

***
في كل شيء أفعله .. أجد خلق البدايات لكن النهايات دائما ما تكون معلقة .. أجد كتابة القصص القصيرة، أكتب بعض الأبيات .. لكنني لم أكمل يوما قصة ولم أكتب يوما قصة .. قد تظن بأن الأمر بسيط وليس بمعضلة .. لكن هذا ديدن حياتي يا عزيز .. لا رغبة لي ب علاقة معلقة، بدأته جميلة ونهايتها مفتوحة .. متي تدرك بأنني تعبت من النهايات المفتوحة .. تظن أن ن النهايات المفتوحة أسلم و بأنها أخف وطأة .. لكنها تستنفر سنوات غالية من أعمارنا .. تستنفر أحلاماً وأمالاً كبيرة ..
لا أحلم بحب مثالي ولا أرجو علاقة سرمدية .. كل ما أتمناه
اهميتة أكثر منا بنبئي

با عزيز علاقة سوية يكسوها الوضوح والصدق والإخلاص. كم تخلل علاقتنا من أكاذيب. كم تخللها من خيانات وجروح؟ أرى فيك أحياناً سادية عجيبة، وآرى في نفسي خنوًةً مولماً.

فرق كبير يا عزيز بين (أنا أيضاً) وآنا (أياً أحبك) ، شتنا ما بينهما يا عزيز .. تتمسك كثيرا بـ (أنا أيضاً) ولا تدرك كم

مطاوته لك منذ البداية يا عزيز وهذا هو خطائي .. كان لا بد من أن أقوم جبروتك منذ الأيام الأولى لكني لم أفعل .. أعرف اليوم بأن سلوكك معي نتيجة لاستسلامي. كان لا بد من أن أكون أكثر شرسة .. كان لا بد من أن أكون أكثر قوة .. كان لا بد من أن أقوم أكثر!

تدللني دوماً بقطتك الصغيرة، قلت لك مرة: ليتني أملك مخالب القطط ..

أجيبني: لكني أحبك لأنك ودية كالقطط! تفسر خنوعي بالوداعة إذاً .. آه يا عزيز .. كم بودي لو أنفض عليك! هجرت فترت .. ظنت بأن بعدي عنك سوقلك، ظنت بأنك ستشعر بالتهديد وستتمسك بي .. انتظرتك وانتظرتك ولم تأت!.. مضى أسبوع وأسبوعان وثلاثة ولم تشقق .. فقدت أستجدي رضاك بعدما شعرت بالخطر!

تغضب كثيراً حينما أسألك .. أحبني ..؟

ما رأيك أنت ..؟

أخبرني أنت،
نعم .. أحبك ..
لا أشعر بهذا ..

ما دمت على قناة بأمر ما، لما تسألين عنه ..؟

حينما أقول لك بأنني أحبك .. غالباً ما تجنيني: وآنا أيضاً ..
اشتاق لأن أسمع (أحبك كثيراً) أو (وأنا أيضاً أحبك) على أقل تقدير!
أه لو تدري كم أحتاج إلى هذه التفاصيل! أه لو تدري كم تؤثر هذه التفاصيل الصغيرة/ الكبيرة! لكنك لا تدري أو فلتقل بأنك لا تكرث! وعدم اكتئابك يعنيني، يظهر عظامي. يشعرني وكأن حبرًا أسود اللون يسري في عروقي، وكأن قلبي يضخ سواً حالك الحزن فيلم أرجائي...
أندرو!
عوًدني والدي في صغير أن يكون لدي حيوان صغير. على الرغم من أنه يعاني من وسواس النظافة، وعلى الرغم من كرهه للحيوانات. إلا أنه يهير في كل مرة يموت فيها أحد الحيوانات ليجلب لي حيواناً جديداً...
سأله مرة بعدما كبرت: لماذا كنت تأتي في بيوت الحيوانات؟
قال لي: حتى أعودك على القلق!
نتبأ لي والدي يفقد الأحبة منذ الصغر. لكنه لم يدرك بأن الإنسان لا قدرة له على اعتياد القلق. أه يا عزيز. وكاني أفقد شخصاً للمرة الأولى، كنت أواجه الموت. أنهكت وكأنك مثبّة با عزيز. وكاني أصبحت أرملة! لكن كيف أكون أرملة رجل لم أتزوج يوماً؟!
تقول لي هيفاء بأنك ابتلائ من الله وليبني مبتلية. لكنني صبرت على ابتلاع سنوات فمتى تنقشع الغيمة وتتجلي؟ رائست طبيباً نفسياً في أيام حزينة. قال لي: أنت خائفة. تخشين أن تخفج من دائرته، اعتدت على استعباده لك! لن تتمكن من اجتياز محتملك ما لم تكسر حاجز الخوف، تخشين الفشل بعيداً عنه. حاولي. حاولي أن تكسر الهاجز.
أعرف بأن هذا هو جزء من مشكلتي معك. أخشى الابتعاد عنك، أخشى الحياة من دونك. حاولت الابتعاد لكنني لم أتمكن من ذلك.. نار قريب أخف وؤاة من نار بعدك يا عزيز، قلبي يستمر بعيداً عنك وينتجزى بجواريك! أي حب موحّل هذا الذي علقت به!.. أي علاقة عقيمة هذه؟!

***

لم تغير عطرك طوال السنوات الأربع الماضية.. تظن بأنه لا بد من أن نختار عطرًا واحدًا.. نعتادك لفترة طويلة لتذكّرنا رائحة العطر بالشخص نفسه.. ولقد كنت محقًا!.. لا أحب.. لا أحب العطور التي يستخدمها الكثيرون، لكنه عطرك ورائحتك مختلفة به بل رائحته من خلالك مختلفة.. مختلفة جدًا!..

أهديتني يومًا قنينة عطرك ووسادة وردية اللون.. نُقشِّ عليها بخطوط حمراء سألتك: لماذا تهديني وسادة وعطرًا؟ (True Love).. قلت لي: الوسادة لأكون آخر من تفكيري به قبل أن تنامي.. أما عطرتي فلم تكن رائحتي رائحتك وكل ما فيك.. فلا تفكري بغيري أبداً..

لم تكن بحاجة لعطر ووسادة يا عزيز لأنذرك.. كنت أضع بعضاً من عطرك على الوسادة قبل أن أنام في كل ليلة.. كنت أشعر وكأنني أنام على صدرك، بين ذراعيك لكتني أكاد أʒم بأن صدرك أكثر دفئًا من وسادتك هذه!

امعقول ما يجري؟!.. من المستحيل أن تنتهي حكايتنا بهذه
الطريقة. لا تنتهي حكاية حبنا بهذا الشكل، نحن لا ننتهي بهذه السهولة يا عزيزاً.
لكنها نجلس في المقهى ذات يوم، أشرت برأسك إلى شاب يجلس وحيداً على الطاولة المجاورة لنا، كان ينظر إلى ساعة يده بين الحين والآخر. يمر يده على شعره بتوتر ويتلقت كثيراً. قلت لي: أترين هذا الشاب؟
ماذا عنه؟
أراه بكائه على وشك الانفصال عن حبيته.
لقد برهنت الآن على عروبتك، ألا تخبرني دوماً بأن العرب خير من ينسج القصص؟
أثرترين؟
كيف سنعرف إن كان سينفصل عن حبيته أم لا؟
أمم من الواضح أنه بانتظارها. فلتترك وصولها.
ما هي إلا دقائق حتى دخلت فتاة جميلة. قبلاً ما أن وصلت إلى طاولته.
قلت: ركزي!
سألتها عن حالها من دون أن ينظر إليها، كان ينظر إلى يديه.
مسكت يدي وقالت: أراه، ركزي الآن!
كنا منتصرين لما يقولان بفضول وتركيز. برر لها قراره بالانفصال عنها لعدم التوافق وتقبلت هي قراره بصدر رحب وبلطف.
لا مثل له. قبلاً بعد أن تمنيا لبعضهما بعضاً السعادة. ورحلت!
قلت لي: أراهت الفرق بين الانفصال العربي والانفصال الأجنبي؟
لا أظن بأنهما مغرمان ببعضهما بعضاً. لا ينفصل العشاق بهذه السهولة!..
لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنني لا أفكر به.. لكنه يهمك لأنك تفكرين به كثيراً.. لا يهمني الانفصال لأنه

لا أشعر بأنني قادرة على الانتهاء منك يوماً.

وهل ينتهي رجل مثلي من امرأة مثلك؟ لتك قررت يا عزيز.. قررت أن تنهي ما بيننا بأسامة!.. على الرغم من أنك تنسى دوناً من عروتك وشرقيتك إلا أن أفعالك كلها تدل على أنك شرقي حتى النهاية على الرغم منك!.. انتشلتني طرقات (هيفاء) على الباب من بعض الألم لتلقيني في الكثير منه.. دلت إلى الغرفة بعد أن طلبت منها الدخول.. كانت تحمل في يدها ظرفًا صغيرًا تقوح منه رائحة العطر.. العطر ذاته يا عزيز.. ذات العطر!..
أتي قطك؟

اعتقدت في جلستي بسرعة وأشرت إلى الطرف الذي تحمله

بيدها: هذا الطرف منه!

قالت بهدوء: وكيف عرفت؟

رأتته! رائحة عطره.

قالت لي: أعطني إياه زياد لأعطيك إياه...

مزقت غلاف الطرف والذي أحكمت إغلاقه وكأنك تخشى أن تتسرب منه المشاعر قبل الكلمات! كتبت لي: تحية طيبة، قد تصلك رسالتي هذه وقد لا تصلك. قد تخونني الشجاعة وأتلف الرسالة بعد كتابتها! لا يهمني وصولها ثمما يهمني كتابتها!

قدري أحمق! تؤمنين جيداً بأن قدرتي أحمق، فلا تلوميني على قدر لا قدرة لي على تغيير مساره. علاقتنا كانت لعبة قدرية لا سلطة لنا عليها، لا قدرة لمخلوق ضعيف على تغيير قدر سطره قوي كبير.. كبير جداً!

أتتقذك.. أتقذك بشدة.. يبدو أنني متورط بك أكثر مما كنت أظن!.. لكنني لن أتخن ولن أطلب منك عودة لأنني أدرك جيداً بأنك انتهيت مني.. من الغريب أن تكوني أنت اختباري الراهن، دائمًا ما كنت بجواري.. تشدين من أزري وتسنين ظهري بصدق قوي.. لطالما كنت معي.. تسانديني في اختبارات حياتي.. إلهي كيف تكونين أنت الاختبار يا جمانة!.. مرجع أن تكوني الاختبار!.. أعدت على أن أكون قوياً معك، أتتجه إليك في ضعفي لتحمي مني رجلاً أقوى.. لكنني لم أخلق فيك القوة كما فعلت معي، ولا أفكر بهذا.. كم هو شيء أن تكون علاقتنا بهذا الشكل، تشدين من أزري لأحبك.. تجعليني قوياً لتحمليني لأهاجمك.. تغفرين لي لزاداد قسوة!.. لا أدري كيف
تمكنت من احتمالي بتلك الصفات طوال تلك المدة!.. لست بسبيئ.. لست بسبيئ على الإطلاق لكنني أصبح كذلك معك.. لا أدرى لماذا ولم أفهم يوماً سبب ذلك...
افتقدك بشدة.. أفتقد أماناً تحيطني به على الرغم من خصائص اللعبة! اشتقت إليك.. اشتقت إليك كثيراً!.. أكثر بكثير مما كنت أتوقع وما من تخيلين.. أخشى أن أكون قد خسرتك، وأخشى أن تغفر لي فتحوري بعفورية لا طاقة لي على تحملها.. علاقتنا كانت أظهر من أن يذرفها مزاج رجل مريض مثلي.. لن أطلب منك أن تعودي إلى رجل يتحرك ليعود فيتركك، لكن غيابك مرت يا قصاب السكر.. تصوري كيف يكون غيابك على رجل تدركين جيداً بأنه مدني سكر!...
عبد العزيز

***

نمت في غرفة هيفاء بعد أن قرأت رسالتكم.. خشي أن أموت وحيدة يا عزيز...
أتذكر (إيفا) ؟ العجوز السبعينة التي كانت تعاني من سرطان القولون والتي تعرفنا عليها أثناء وجودي في المستشفى، كانت متمسكة بالحياة بسالة تحصد عليها.. وقعنا في حبها منذ اللحظات الأولى.. قابلناها في حديقة المستشفى.. كانت تجلس على كرسي متحرك وفي يدها أنبوب المغذي، أشرت برأسكي إلى حيث تجلس: جمان، أنظري إلى تلك العجوز !...
كانت تسرح شعرها تحت الشجرة .. قلت لك: ماذا عنها؟

Oh my lord!.. she is so sweet!
ربِّ عِلي شعرك: اذهب وقبلها...
ألا تغارين؟
لن أغار من عجوز!
ما راح تطيبين عيشي لو بستها؟
لا...
ما راح تخرين بيتي؟
ضحكت: كلا...
سحبتني من يدي: تعالى معي إذن!
ابتسمت لنا ببشاشة عندما اقتربنا منها. قلت لها: صباح الخير...
صباح الخير...
سألتها: كيف حالك سيديتي؟
أنا بصحة جيدة، ماذا عنك؟؟
أنا بخير، شكراً لسؤالك!
انحنيت عليها. سيديتي! هذا الرجل الوسيم معجب بك.
نظرت إليك وقالت بحنيمة: حقاً؟! كم أنا محظوظة!
ضحكت: أجله، لا أستطيع أن أ تخيل كم كنت جميلة في شبابك!
ابتسمت بسعادة: كنت خلابة! ولكن زوجتك أجمل مني بكثير...
نظرت إلي بعينين رفيقتين: زوجتي! زوجتي أجمل امرأة في الدنيا...
قالت: هل أنت من أسبانيا؟!!
قلت لها: لا، نحن من السعودية ..
سألتك بدهشة: وما هي السعودية ..؟
أجابتها أنا: دولة عربية في الشرق الأوسط ..
لا أعرفها ..
قلت لها: الدولة الغنية المصدرة للبترول ..
لا أعرف بلحكم ..
قلت لها: بلدنا منبر الدين الإسلامي ..، حيث المقدسات الإسلامية ..
قالت: أنتم مسلمون إذا ..! لكنني لا أعرف بلحكم ..
أجابتها أنت بتفاؤل صبر: أتعرفين أسامة بن لادن ..؟
هزت رأسها: نعم نعم بالتأكيد ..!
ضحكت: نحن من بلده ..!
ارتفع حاجباها بفزع: إلهي ..! أنت من القاعدة ..!
أتذكر كيف ضحكنا، كدننا أن نقع من شدة الضحك .. كانت لطيفة وخفيفة ظل .. جلستا معها طوال اليوم .. شرحنا لها من أين جتنا وكيف نعيش في بلدنا، وحدثناها هي عن ابنتها وأحفادها اللذين يقطنون في مدينة بعيدة .. كانت أرملة وحيدة تصارع لوحدها مرحلة متقدمة من المرض .. أحبيناها كثيرا ..، ترددنا عليها بعد خروجي من المستشفى ..، وقد كانت تنتظر زيارتنا لها كما كنا نشاق إليها ..
تشارجا مرة فذهبت لرؤيتها وحدي ..
قالت لي: لماذا تغضبين زوجك ..؟
سألتها بدهشة: وكيف عرفت بأننا متخاصمان ..؟
هزت كفحيها وقالت ببساطة: هو أخبرني ..!
كيف أخبرك ..؟
جاء لرؤيتي صباحا ..! كان غاضبا منك ..
تركتها بعد أن قدمت لي بعض النصائح الزوجية والتي لا
أستطيع تطبيقها بطريقة الحال.
أتذكر ليلتها الأخيرة، ذهبنا لرؤيتها معاً، كانت متعبة للغاية،
أمسكت يدك بقوة وكأنها ترجو أن لا تتركها تموت. أذكر كيف
التفت إلي بجهد وجبينك يقطر عرفاً: جمانة! هل أقرأ عليها
القرآن؟ هل من الجائز قراءته على غير المسلم؟
قلت لك من بين دموعي: لا أجري! ماذا سنفعل؟
نظرت إليها وأنت تمسح جبينها: إيفا! سأتناول صلاتي من
أجلك.

هزم رأسها بصعوبة: أرجوك، صل من أجلني...
كنت أنظر إليك وأنت تقرأ عليها وتنفت على رأسها. إليها كم
أحببت ذلك الرجل!

في طريق العودة وبعد أن تركناها لتنام. قلت لي: جمان.
ما الأمر يا حبيبي؟
عليني أن نكرر معاً.
ماذا؟
أريد أن أشيك بجوارك...
وأنا أيضاً...
لا تدعيني أموت كيافاً! لا تدعيني أموت وحيداً يا جمان.
أعلك أن تكون معاً.

قراءت رسالتلك صباحاً: (جمان، ذهبت لرؤية إيفا، قيل لي
بأنها توفيت بعد أن خرجنا من غرفتها مباشرة، لينتنا بقينا قليلاً،
المسكينة ماتت وحيدة...).
حزنت كثيراً لموتها. أموت وحيدة لتجزؤ علي! لتجزؤ
على المرأة التي ماتت إيفا وهي معتقدة بأنها (زوجتك)؟! أموت
حضبي أكثر مني بدني.

وحينين يا عزيز..؟ وعدتك ألا تموت وحيدا فلما تركني أموت وحيدة؟!

***

ما زلت أذكرو الليلة التي (توعكت) بها هيفاء. كانت مصابة بالألم شديدة في بطنها وكانت بحاجة إلى مسكن. كان من الصعب علينا الخروج حيث كنا نقارب ساعات الفجر الأولى.

اتصلت بك: عزيز! استيقظ.

أجبتي بصوت ثقيل: جمانة!.. ما الأمر؟

هل تأتي لي بمسكن؟

الآن؟

نعم، الآن...

سلامتك يا وقع قلبي.. مما تعاني؟

لست أنا المريضة...

من المريض إذا؟

أجبتك بتردد: أممم.. هيفاء.. هيفاء مريضة.

أحسن.

حبيبي حرام عليك!.. المسكنة مريضة.

لا تخشي عليها.. ليست إلا جينة.

حبيبي أرجوك.

جمانة!.. وهل ظننت بأنني سأستيقظ في هذا الوقت المتأخر من الليل لأجل‌ هلعف مسكننا!.. فلأت لها بالدواء من أجل!

101
كلا لن أفعل!! هيفاء تنسى أنفها في ما لا يعنيها وتفسد ما
بيننا..
قلت لك بعند: حسناً سأحضر لها الدواء بنفسي...
أجنبتي بغضب: جمانة!! لن تخرجني في هذا الوقت من
الليل..
إن لم تحضره لها.. سأحضره أنا..
حسنًا، سأجلب لها الدواء.. إلهي متي أرتح من هذه الفتاة!!
 كنت أفكر بك خلال انتظارك.. كنت منتثية بالرجل الذي
يستيقظ في تلك الساعة المتأخرة ليجلب لصديقتي (التي يكرهها)
الدواء خوفاً من أن أخرج وحدي.. تصرفاتك الرجولية (الصغيرة)
تلك كانت تزول أنوثتي يا عزيز..
اتصلت بي: جمان، أنا أمام الباب.. فلتفتحي لي...
 كنت مستنداً إلى الجدار بشعر متكوس وعينين متعبتين واضعاً
الهاتف على أذنك.. قلت لك من دون أن أبعد الهاتف من على
أذني: لماذا لم ترفع الجرس؟؟
خشيت أن أزعجكم..
 كنت بانتظارك ...
أعطيتي علبة الدواء قائلاً: فتأخذ منه حبيتي.. عسي أن تموت
ونرتح! ..
شكراً عزيز.. أنت (زجاجي)..
ابتسمت: ألا يستحق رجلك مكافآة؟!!
لماذا تتحدث معى على الهاتف وأنت تقف أمامي..؟
لست أدرى! أحاولين تغيير مجرى الحديث؟!
ربما!
لا أستحقل كوباً من القهوة؟
لقد تأخر الوقت.
انحنى قليلاً وقبلت جبيني: حسناً، تصبحين على خير.
تصبح على خير.
أنت تقليبني؟
نعم؟
قلني على الهاتف يا غيبة!
بعدما تذهب.
بل الآن.
ضحكت: لا أستطيع.
Common!
No!
مررت يدك على شعرتي: حسناً، تصبحين على خير.. لا تنسى.
قلل الباب.
ألقت هاتفتي ودخلت على هفيفاء التي كانت تتلوي و gıعا:
هنوش أصحي، خذي المسكن.
لا يكون طلعتي جبتته؟
لا هفيفاء.. عبد العزيز جاب لك إيه.
أخاف مخدرات...
هيفاء.. هذى جزاء الوالد صاحي من نومه يجيب لك الدواء؟
لا يكون خلطته بينا!
بابتي أخذته منه على الباب.
الله ستر مدخل واغتصبنا!
هيفاء! خلاص عاد.. ترى ما أسمح لك.. يكفي الوالد صاحي.
ومتعني المشوار.
متأكدة إنه مسَّنك؟
هيفاء!
زن سكتنا!
أرسلت إليك رسالة: حبيبي، هيفاء تشترك على الدواء...
أجابتي: الله لا يشكر لها فضل!
التقت إلى هيفاء وقلت: هيفاء.. عبد العزيز أرسل رسالة...
يقول لك قدمك العافية...
أجابتي: الله لا يعطيه عافية...
نتم يا عزيز ليتهما مبتسمة وفي قلبي نشوة ..كم كان إرضائي
سهلًا .. كم كنت سهيلة!

***

جلست قرب النافذة مسندة رأسي إليها لأراقب المطر الذي ينهمر بنعومة .. كانت قطاراته كمغفرة تحاول أن تغسل روحي فتصدوم بالزجاج وتذوب المغفرة .. كم غيّرتني يا عزيز .. أصبحت امرأة أخرى .. من الغريب أن أصف نفسي (بامرأة) بدلاً من (فتاة) .. لطالما كنت فتاة قبل لقائنا لكنني أصبحت امرأة من خلالك .. من خلالك فقط أشعر بأنني امرأة كاملة لا تنقصها ذرة .. لكنني أنقذت كوني فتاة .. فتاة تلهو ولا تعرف في الحب .. هما .. تقول إنني (أُجِد الثروة) .. لكنني اعتزعت الثروة منذ أن تركتني خلفك واخترت امرأة (كاملة) أخرى .. بانت حروفني بها، ذابت ألواني حتى غدت كخريف بايس .. ماتت أحلامي الكبيرة .. ماتت أحلامي يا كل أحلامي!
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة المقدمة.
اختفاءك بعدها بأنك قضيت بعض الوقت مع صديق وانتظر نسبي
هاتفتك في منزلك. يومها ثارت أماناك، قلت لك بأنني أكرهك
وإنه لا طاقة لي على احتمال خداعك أكثر. ركعت عند قدمي
وانت تقبل دمي باكياً: جمان أقسم بمجموع خلق عينيك بأن شفتك لن
تذوق غيتك. لا بالحلال ولا بالحرم!
صرخت فكك: عبت!! لا أقدر على تحمل تصرفاتك أكثر.
تغريد. ست끝ين يا جمانة. أنا صديقك، حبيبك. والانه
وشقيقك وابنك. من إذا الذي سيتحملني إن لم تتمكنني أنت من
تحملي!! لا فالودة!!
اصبري. أرجوك يا "ببي" اصبري. سأوعضك عن صبرك
يوماً، سيأتي يوم أوعضك فيه عن كل شيء. صدقني.
وصبرت!! صبرت وليئتي لم أفعل ..
قالت لي هفاء ليلتها: جمانة مديه. شتنطرين من واحد
يفرنك ويلعو قلب كل يوم والثاني؟؟
أجتها: بين هو وعذني يجي يوم ويعوضي!!
صاحب: شنو يوعضك!! أقولي لي يوعضك عن شنو ولا الإ
شنو.!! يعطبك بدل كرامة وإلا بلد سمعة؟
أكانت هفاء متحللاً يا عزيزة؟ أيكون هذا (تعوضك) لي؟!!
أزموجأك وتركك يا ايي (الوعوض)؟!! وعذنتي كثيراً بأنك ستوعضني
عن كل لحظة حزن مرت بها بسببك لكنك لم تتف بالوعد.
أتوعضني عن وجود بوجع أشد؟
سألتك مرة: كيف ستوعضني؟؟
خبطت على صدغي بسبابتك وقالت: شغلي (الانتقدة) اللي في

106
أحببتё أكثر منا يبنغي

رأسك واللي يسمونها عند بعض الناس (مخ) وتعرفين كيف أعرضك!

لكن (العقلية الحديدية) التي في رأسي والتي يطلقون عليها بعض الناس (مخ) خانتي حينها فظنت بأن العوض هو عمر نقضيه معاً. لكنيا لن نفعل أبداً...

***

كنت قد تغييت عن الجامعة لعدة أيام، كنت أخشى لقاءك...

خشيت مجابهة نظارتن زملائنا، خشيت أمورًا كثيرة. اتصل بي زياد: جمانة، ما الأمر؟

أيّ أمر يا زياد؟

أمر غيابك هذا. ما الذي تفعلته بنفسك؟! أتنزلين عن كل شيء تعت من أجله؟!

لا يا زياد.. سأعود قريباً. لكنني متعبة.. أحتاج لأن أرتاح لبضعة أيام...

you are strong enough!.. don't worry.. we will be with you..

أعرف هذا، لكنني لا أستطيع رؤية أحد الآن ..

believe me you can.. trust me Jumanah..

لست مستعدة بعد...

لن تكوني مستعدة أبداً ما لم تحاولي.. لا تخشي شيئاً. كان فصلاً غيّاً في حياتك وانتهى..

أمش، لست أدري!..

سنكون بانتظارك في الغد.. أنا وهياء بجوارك. فلا تقلقلي...

سأحاول.
لم تحاول.. ستفعل.
زياد... هل عاد عزيز؟
صمت قليلا وقال: ألم تصلك رسالته؟
بل.
إذا فلا بد من إنه قد عاد.
حسنا.
جمانة، تجاهمي عبد العزيز.. لن أطلب منك نسيانه الآن لأني أدرك كم هو صعب نسيانه.. لكن تجاهمي ووجوده، تجاهمي.
أخشي أن أراه.
أعتقد بأنك لن تنهار.. سنكون بجوارك.
حسنا، أراك في الغد.
تقلب طوال الليل في فراشي، لم أتمكن من النوم. نسجت حوارات طويلة وتخيلت أحداثاً كثيرة، كنت في حيرة من أمري. مرت الأحداث الماضية على كلامي، شعرت وكأنني في لعبة. لعبة ستنتهي ويفور كل شيء كما كان، شعرت بأنني ساكنة وإن كنت أفتقد السكينة. غاضبة ومفهورة وخائفة وحزينة وموجوعة لكوني ساكنة على الرغم من كل هذه الآلام. أنتظر شيئا يحدث! أستيقظ كل يوم بانتظار أمر يحدث. أمر ينهي كل هذا الوجع كجراحة.
يستمر خلالها الورم، فيشفى الجسد ويتنهي الألم.
غرفتي من كثرة التفكير بعدما برز الفجر. أيقظتني هيفاء في الثامنة فأخبرتها بأنني متعبة ولن أتمكن من النهار.. قضيتا حوالي الربع ساعة في صراع متبادل (إستيقظي!.. لن أذهب.. قلت لك استيقظي!.. قلت لك لن أذهب، إلى متى؟ لا شأن لك!!).. خرجت هيفاء من غرفتي بعد صرختي وشتيحا، تنبهت على صوت
what is wrong lady?!

لا شيء، متعبة فقط.

wake up lady...!... did you forget your promise?

no, i didn't!

so?

Sأحضر للجامعة في الغد... لا قدرة لي على مغادرة فراشي اليوم يا زiad...

جماعة... فلتغادروي فراشك الآن... وإلا سأطلب من هيفاء انشالك مث... لا لا.. لا داعي لهذا... أراك هناك...

Good girl

قالت هيفاء بحنان: يسعدني أن تخافني مني! أسرعي كيلا

تأخر..

لم أتمكن من القيادة، فقدت هيفاء السيارة.. قلت لها في الطريق...

هيفاء!.. ماذا فعل لو رأيته؟...

لا تفعل شيئا.. تجاهمي!...

مو عيب...؟

أنت حالفة تمترشبي قهر؟!.. شالني عيب..?!.. عيب عليك أنت!

لي تسونيه برود..

تسارعت نبضات قلبي عندما وصلنا، شعرت وكأنني سافقد
نوازني وسأجع على رؤيتي من الجميع... حاولت أن أبدو طبيعية قدر الإمكان. وقع نظري عليك جالساً مع زiad... كنت تتذكر إليّ مباشرة، شعرت وكأن سهماً مسموحاً أصاب قلبي! تجاهللت النظر باتجاهك، وكأنني لم أنتهّي إليه....

همست لي هيفاء: الصهيوني هنا...! لا تنظري إليه...

قلت لها: أعرف....

لا ومن قلة الحياة ينهر بعد...! افتعلت الضحك وأنا أصحبها من يدها، كنا نبحث عن مكان نجلس فيه حينما ارتفع صوت زiad مذنبًا: هيفاء، جمانة! التفت إليه، كنت بجواره... متكتناً على الكرسي تنظر إليّ وفي يدك قلم تعبت به... أتراك تذكر يا عزيز بأنني من أهداك إياء؟ ألا يزال هذا القلم ملهمًا لك؟ قلت لي مرة بأنك لا تجيد الكتابة إلا به!.. وبأن الأفكار تتندفع من خلالي.. قلت لي بأنه ملهمك الأول لكتابة مقالاتك...

حياتكم مشيرة بدي... أشار زiad بيده إلى مقصدين مجاورين: تفضل...

قالت هيفاء... شكرًا زiad!.. لدينا محاضرة...

ظننت بأن محاضرتكما في التاسعة!.. أماكما أكثر من ربع ساعة...

نريد أن نجلس في المقاعد الأمامية...

قال زiad مازحاً: ليس قدم؟!.. عينك على الدكتور؟...

والله كريس يجنن...

أخاف بتعرسين عليه بس!..

قالت هيفاء... لا عيوني.. تحبوني مثل غيري!.. يوم جاء يتزوج لقب أقرب بنية من الشارع!..
لم تعقد حاجيبك غضبًا كعادةك حينما توجه لك هيفاء بعض رسائلها المبطنة ..! كنت كمن لم يسمعها ..

**Good to see you:**

*Jumanh*

**Good to see you too Ziyad..**

قال عزيز بصوت أقرب إلى الهمس: جمان! كيف حالك؟
طبية يا عبد العزيز.. أنت شلونك؟

عبد العزيز!! منذ متى تقولين لي عبد العزيز ياجمان؟
انهرت على الكرسي وأنا أتحبون، كنت أشهب كطفل خائف، خارحت قواي وأحلامي وكل جزء في مقعد قدم وعلى مرايا من العشرات. كنت أبكي غضباً، حزناً.. ضعفاً.. خوفاً... عباً...!

كان بكئي عتيقاً!! كان عتيقاً أكثر من أي شيء آخر.. كنت أسمع صوت زيد وهيفاء وأصواتاً كثيرة.. أصواتاً وكلمات لا أفهم معناها ولا تصل!.. لم أشعر إلا بصدرك، بدفيلك.. ضممتني بقوة إلى صدرك، شعرت بأنه صدرك على الرغم من أنه لم أنظر إليك، لكن دفتاً كهذا لا يمكن أن يكون سوى ذيف بنتي!! بنتي الذي تسلكه امرأة أخرى، صدرك الذي لم تضمني إليه في ذروة حبنا والذي تضمني إليه بعدما سكتته امرأة غيري.. امرأة يطلق عليها (زوجتك).. امرأة قضت أسابيعها الثلاثة الأخيرة بين أحضانك وعلى صدرك.. صدرك هذا، دفتك هذا!! فتحت عيني على بياض قميصك الملطخ بدمعي الأسود.. كنت تهمس بأذني وانت تشددني بقوة (آسف يا بنتي.. يا دنيتي آسف.. والله يابيبي آسف..).

**كنت أصرخ وأنا على صدرك.. ليه.. ليه بس ليه!..**
شعرت بدموعك تبلل جبيني: يا وقع قلبي! روقي ببيبي... روقي!

 كنت مغمضة العينين وأذني على قلبك. كانت نبضاتك صائحة وأنفاسك سريعة. تحيط بي ببديك بشدة وكأنك تخشى أن أغلقت من بينهما. ارتفعت صوت هيفاء وكأنها توقعني من حلم: جمانة!

 جمانة!

 فتحت عيني وأنا أشعر بهما تستعرا. كانت هيفاء شاحبة، تجلس على الأرض أمامي هي وزياد وأنا على صدرك: جمون.

 خلينا نروح المستشفى...

 هزت برأسي وأنا (أتاؤه). لا تتمكن الحروف من أن تخرج من بين شفتي، كان لساني ثقلاً. كانت كلماتي هممات.

 قال زياد: عبد العزيز! خلينا نأخذ البنت إلى المستشفى. لا يصير بالبنت شيء.

 شوي وتهدا. خلها شوي تهدا.

 صاحت هيفاء فيك بغضب: شنو شوي وتهدا؟ ما تشوف.

 أنتم حالتها؟! لا، لم تموت بين يديك يعني علشان ترتاح.

 لم ترد عليها. تجاهلتها وأنت تهمس بآذني: أوووروش.

 روقي ببيبي روقي...

 شعرت بأمان لم أشعر به منذ أسابيع طويلة. فغفوت على صدرك، شعرت بأنني سأستيقظ لأجد كل شيء عاد كما كان.

 كالاستيظ من كابوس، استيقظت في المستشفى لأجدك جالساً بجواري. رفيقاً كم أعرفك كحببي الذي كنت، رفعت يدي لتقبلها.

 فلمعت في خنصرك (دبلا) الزواج!...

 ***
لا أفهم كيف تعتصر أفنديتنا (كلمات)، مجرد كلمات! أظلم حينما (تطغالي) بكلمة أو كلمتين. قد لا تدرك كم هو صعب انتشالي من مزاجي (المل) ذلك يا عزيز... أسرح أخياناً في المحاضرات وأنا أخط اسمك على الورق كمراهقة واحة، مراهقة لا قدرة لها على التفكير سوى بفاض وهمي لا وجود له إلا في خيالها.. غارقة أنا بك!.. غارقة حتى أذني.

عندما نذاكر معاً على الهاتف في ساعات متاخرة من الليل، الساعات التي يستصعب فيها اللقاء.. نبتديء المرارعة سريعاً وتنغمس بدون أن نشعر بحوار بعيد كل البعد عن تلك السطور العلمية الباردة إلى أماكن أخرى.. أماكن عشق دائمة لا يعرف طريقها سواء.. أتعبر كثيراً قبل أن نتنام.. دائماً ما أكون في صحوة منتشرة وتنك في نعاس حالم.. يتعب تاليد الحديث طويللاً على الهاتف، عكسى أنا المرأة التي تقول بأنها (تجديد الغرثرة).. تستسلم إليها محاولات أن تنهي المكلامات في كل ليلة.. فتخريبي بما أود سماعه...

عزيز..!.. أرغب في النوم؟
 جداً، أنا منتهك...
غايالي لننام!..
أنت قمري...
وبعد؟
أنت عمري...
أها؟
تناءبت: أنت روحي،
لا شيء أثارت نسبي

ماذا أيضاً؟

تقول بنتعب وملل: أنت أميرتي.. ونورتي.. وحياتي.. وقلبي...

وعيني.. وفجري.. ومستقبلني!

شوووش! وحدة وحيدة!

جمالان.. أنا متعب.. فلتتم...

قل لي شيئاً أخيراً لننام!

أمام.. أنت حبيبي..!.. أنت البيبي حقي 

دائمً، أنا (لك) دائماً أنا من (حقك).. لا أدري لماذا لا تكون (لي) لا أدري لما لست من (حقي).. قلت لك مرتين: لا يكون مطلع فيني (صبك)?

أجتبي: راح أطلع فيك صك!.. صك الزواج صك ملكي!

تعتبرني من (أملاك) المسلّم بها، بينما أصبح (أقصى طموحني) أن أكون من (أملاك).

أتذكر.. كنا نتسوق معًا، حينما أقترب رجل وسيم لا أدري من Ain جا.. جاملا مغازلاً بلا مقابل.. قلت له وأنت تبتسم try sir, she is mine..

بدت لي جملتك حينها في منتهى الشعريّة.. شعرتً بأنك غارق في محيط الحبّ ذاته، المحيط الذي أعيش في أعمقته منذ أن عرفتك.. لكني أدرك اليوم بأن جملتك تلك (مهينة).. كنت تشعر دوماً بأنني ملكك وبالان لا حياة لي من دونك.. ولقد كنت محقاً .. ففتحت عيني لأجدك جالساً على طرف السرير تقبل بدي.. كانت هيفاء واقفة بجانبي.. وهي تتمم بكلمات لم أتمكن من تمييز معانيها.. قلت لي مرة بعد أن شفيت من وعكة (الأعياد) تلك!
لا أستطيع أن أتخيل أنك لن تسمح لي بدخول المستشفى مجددًا. قلت: لن ترقدي على سرير أبيض إلا لتجبي أطفالي. وها أنا ذا، متوعدة بك.. بك أنت!.. أرقد على السرير الأبيض، بلا طفل ولا طفلة!..

عزيز..
روحه؟
ليه؟
مسحت على شعر وهمست: أوروروش.. روفي بيبى...
ليه؟
حياتي!
ليه؟
جلست على الكرسي المجاور للسرير، شبكت أصابع يديك أمام وجهك وهمست: لأنني أحبك...
صحت فيك: ليه؟
صرخت وأنت تبكي: لأنني حفري!.. لأنني معتوه!... لأنني ابن ستة وستين كلب بس لا تزعلي!..!.. الله يخليلك لا تزعلين...
سألت دموري، فمسكت يدي ووضعتها على خدك المبلل بالدموع: الله يأخذني!.. الله يأخذ عمري عشان ترتاحين.. والله شكي جنتي.. خفت.. والله خفت...
صرخت فيك: لا تتحجج بخوفك، يكفي كل هذا الكذب.. أنا مستعد أتركها.. أعطيني فرصة، خلينا نبتدي من جديد.. أنا وأنت لبعضنا.. مستحيل مانكون لبعضنا..
قالت هيفاء: وزوجتك!..
صحت: أطلقَها. الحين أطلقَها.. الليلة.
قالت هيفاء: والله بالزواج عندك لعبة. تنزوج بمسج وتطلق بسببها.
تجلتها: جمال. أنا عارف أنني أخطيت. بس مصيرنا نكبر ونتزوج ونتضج..
ليه انتظرت كل هذا يصير علشان تفكر نتزوج؟.. ليه ياعزيز؟
صرخت: قلت لك كنت خائفة!..
هيفاء: وتزوجت غيرها علشان تنفك عندك عقدة الخوف وبعدين تتزوجها، صح؟
التفت عليها وقالت لها برجاء: هيفاء تكفين!.. الله يخليلك.
حسى على دمك شوي..
أنا تعبانة.. وما أبي أحكي معك.
لازم تسمعيني.
قالت هيفاء: ماسمعت البنية شفقت؟!...
كنت تنتظر إلي بخوف.. برجاء.. رأيت في عينيك ما لم أره من قبل.. كنت ذليلا خائفة.. مثلي تمامًا..
بخلرك ترتاحين.. ممكن أكلكم غداً؟ لا..
قلت جيني مودعاً.. فاستوقفتك هيفاء..
بو الشباب.
نعم?
لا تنس تغير القميص قبل تروح للمدام، وعليّا!.. يامالها.
بشوف..
لم أكن قد تعافيتي بعد من آثار انهيار الأمسي... حينما وصلتني النسخة الإلكترونية من (المجلة) الأسبوعية التي تكتب فيها. لم تكتب يوماً عندي في مقال ولم توجه إليَّ يوماً قصيدة. لم أجد نفسي يوماً في بيت شعرّلك... لم أقرأ شيئاً عندي من خلالك... ظننت بـ(الحبة) هي مصدر الهام الشاعر لكنني لم أشعر يوماً بأنني ملهمتك. ربما لأنني لم أكن الحبّة!...
 كنت أحرّك المؤشر وان أقلب صفحات المجلة... فوقععت عيني على اسمك. اسم المقال:
(حبتي!)... للكاتب: عبد العزيز القيراني...
أنا محبط... قد لا توفر معني أن يكون المرء محبطاً، لا أحد مثلها يدرك كيف ومعنى أن أكون كذلك، لا أفهم كيف يمضي حياتي من دونها. زرت اليوم الأماكن التي كنت نزورها، الأماكن التي نجِّهها... بدأت مختلفة بعض الشيء وإن كانت تتحمل في زواياها الكثير منها. من حبتي، تظن (هي) بأننا مختلفان، تقول دائماً إنهنا مختلفان لكونا متشابهان لدرجة لا نكاف نفهمها. قد نختلف في الفروع لكن أصلنا واحد، تجهل هي بأن أصلنا (واحد). مقتنة (هي) بأنني لا أعرفها حبّا فانتظعتي بذلك على الرغم مني. اليوم، في المقهى. جلست وحيداً من دونها... أحضرت قلماً وورقة وكتب عنها الكثير، فأجأتني معرفتي بها إلى هذا الحد... حبتي بدوية لا تعرف طعم القهوة! ولا تأكل من نعمةت (البحر) شيئاً. تسكن بـ
حبتي أكثر مما ينبغي

(صوت المطر) وتخاف من غضب الرعد فتنكش في فراشها في كل ليلة يغضب فيها الرعد راجحة إبابي أن أظل معها على الهاتف لأبيها...... (مشتاقة إليه)!

تؤمن بالأبراج والفلكل. على الرغم من أنها امرأة (شبه منطقية). تحت عطور الفانيليا ودهن العود، الفساتين، الغرود، اللؤلؤ، الشكولاته البيضاء، فيثور. وينتمي هيوستن والأغاني الأوروبية و. ترغب في إنجاب ثلاثة أطفال وتواصى (مني)، من أنصار (المرسيدس) على الرغم من أنها تخشى السرعة، تعاني من (فيويا) الأماكن المرتفعة وتوترها المناسبات (المكتبة) بالناس، تظن بأن الأسود يجعلها أجمل، بينما تبدو برأيي كحلم ملاذفي بفستان أبيض اللون. تفضل من الأزهار (الزنيق)، الزنيق بعمومه.

والزنيق الأبيض بشكل خاص (الثمار)، تتحسس من (الثمار).)

البدوية الوحيدة التي تعاني من حساسية (الثمار) في الدنيا هي حبيبي أنا.... تعتقد بأن (اللبصر) و(الرسوم) هما أرقي أنواع الفنون وإن كانت لا تتبع النوعين. كانت حبيبي المفضلة (أحلام مستغانمي) ونحب غازي القصبي في كتاب ورجل دولة... فارس أحلامها الهوليودي (بن أفليك) تقول بأنه يشبهني وإن كنت لا أصدق ذلك!... تحلب نورز وبغداد مما، أن نقضي شهر عسلنا في (مرسيدس) وأن نعيش ما تبقى لنا من عمر في (البندقية)... مخلصة حبيبي لشعراء العراق، الشباب ونازك وبلند الحيدري... يروق لها الحب العراقي كما يبدو. مغرمة هي بالفراشات!... تعتقد أنها أرق مخلوقات الإله، لذا تبدو كفراشة صغيرة ملونة. حبيبي مولعة بالرسائل، بكل أنواع الرسائل.. الورقية منها والالكترونية والرسائل الهاتفية النصية.... تنشد حبا تعبيريا كحب غسان كنفاني لغادة!... ولا
أتعرف بأنك أصبت تكتب مثلما أتحدث!.. أصبت تشبهني بعدما انتهى كل شيء؟.. يقال بأن (العشق) يتشابهون، في ذروة الحب يتشابهون! يتحدثون بالطريقة ذاتها، ينظرون إلى الأمور من خلال المنظور نفسه.. لكنك لم تكن يوماً شبيهاً بي!

تزعم الآن بأننا كنا (متشابهين).. لكننا (أصبحنا) ولم نكن.
أحببتك كثيراً وفعلت من أجلك الكثير، فكيف استطعت أن تهرب مني على الرغم من كل (ذلك) الحب؟ كيف تسربت من بين أصابعي!.. كيف تسربت مني أنا المشتبه بك بكل جوامعك.. أدرك بأنك كقطرة زئبق، ومن الصعب الإمساك بك.. لكنني لم أغفل عنك أبداً فكيف أفتحك!

ليتك تعرف كم هي (منفتحة) أعمالك.. ليتك تعلم لك أكره التأبين يا عزيزي لكوني أكاد ومنذ أن أعتلتني بغياك أن لا أفعل شيئاً سوى تأبين حيننا.. لم يتبق مني سوى (القليل) يا عزيز القليل جداً.. وأمورة مثلي تدرك جيداً بأن ما تبقي منها لن يرضي رجلاً متطلبًا مثلك.. لم تقبل بي حينما كنت أنسى نسامحها وأنيض مغفرة فكيف تقبل بشيوع عذراء قتلت بجريمة شرف ومن أجل معصبة لم ترتكيها!

أدعى بأن كل شيء (انتهى) لكنني أدرك في دواخل بي كما تدرك
أنت بآلنا لم تنته.. دخلت على صفحة التعليق على المقال وكنت بدون اسم.. (قد تفعل)!.. Send...!

***

مأساة الألف عقدة تبدأ بغلطة!.. ولقد كنت (غلطتي) التي تسببت بمشاعر العقد.

عندما أنتجس منك، حينما أحتار بشأنك وفي حالات الظُن، المنهكة تقول لي جمان لن أعبر ولن أشرح (اتعيئ قلبك) يا جمان.. وكنت أتبعه على الرغم مني يا عزيز، وثبتت بفؤاد مشبع بالحب فكيف توقفت النجاة؟ أندري ما الغريب في أمري هذا!.. الغريب بأنني أرى طريقنا معًا وكأنني أظل على خريطة، أدرك ما سئول إليه الأمور أكثر مما تتخيل.. لكنني أتبع قلبي، قلبي الذي يهمس لي بأتي لا بد من أكمل الطريق حتى آخره.. وإن كان يبحثي بأن آخره لا يليق بسنتات حب طويلة لكنه يدفعني للسير فيه حتى النهاية، حتى النهاية التي لا تليل.. قلبي يبحثي بأن طريقنا طويل للغاية ولأن دروبه وعزة وآثرك لن تتكريحت حتى تمهد في وحل إنكار.. أراك أفعالك أكثر مما فعلت أنت، صدقت أقوالك على الرغم من سذاجة أعادها ولا أجري لما فعلت هذا!! كنت كالمحببة! وكأنك نثرت على عتبتين سحرا أسود يستحيل حله.. أنا مريضة.. أدرك جيدا بأنني مريضة وبأن حبي لك حب مرضي بكل تأكيد.. أريد الخلاص ولا أريد.. سألتك مرة: إلى متي سنبقي على هذه الحالة؟
قلت ببُرود: اسمي.. انتهت المكالمة، وأغلقت سماعة الهاتف...!
فجأة، انتهت المكالمة.. قررت أن تنتهي المكالمة (فجأة)
فقطت الخط من دون أي اعتبار (للإنسانية) على الطرف الآخر!
أرسلت إليه لحظتها رساله.. كتبت (لماذا تفعل بي هذا؟)
أجتني: مزاج!
مزاج! كيف ارتضيت أن أقضي عمري بالشكل الذي (برضي)
(men are from mars..women are from Venus)
فأخبرته بأن الكتب الإنجليزية تشترك بالملل.. طلبت لك عن طريق
(الإنترنت) نسخة عربية من الكتاب وسألتك بعدما بشهر إن كنت قد
قرأته فبررت لي عدم قراءته له بفضؤهتمه، فلخصت لك إياه بـ 6
صفحات لكنك لم تجد وقتًا كافياً لقراءتها.. طلبت منك أن تقرأ
الكتاب من أجلنا يا عزيزة، من أجل مستقبل أفضل وعلاقة أعمق
واللذي تفعل وكأنك زادت بعلاقتنا كلها، تبدو لي زاهداً فيها يا
عزيزة!
في كل مرة نقضت فيها من بعضنا بعضًا أهرب إلى الكتب لعلّي
أجد فيها حلاً لخلاصنا.. أكن أحفظ كتب دكتور فيل والدكتورة فوزية
الدريوش وكتاب الأبراج.. تظن أن بنتي ميتوهية! وأؤمن (أحياناً)
بأشياء كذلك!.. لكن (ثقة الحيلة) تجعلني أفعل أكثر ..
في أحد المطاعم العربية تعمل عجوز (كردية) تقرأ الكف
والفنوجان، دعواكم مرة في أحد الأعياد إلى المطعم.. جنث بمعية
زياد ومحمد.. وكانت برفقتي هيفاء.. كنت قد سألت عن العجوز
قبل وصولكم وطلبت منها الاقتراح مما بعد أن نكمل، فوافقنا
بعد أن أعطيتها ما يكفي لأن توافق.. جاءت وطلبت أن تطلعنا على
الطفلة فرضت أن تكون بحجة أنه (لا يجوز لنا ذلك)... قالت لك
هيئة: وهذا بين اللي ما يجوز؟
لكننا ازدتت إصراراً، قرأت أُفْت زيد ومحمد وهيئة. بينما
أبيت أن أقرأ لك كفك.
أصابت العجوز في بعض ما ذكرت حتى تغيرت وجهة الشباب
وهياء، وحينما وصل الدور إليّ جفت! خشي أن تخبرني أمراً
لا أرغب بمعرفته. خشي أن تصاب، أن تثير الشك في نفسى.
ففهمت معنى رفضك، رفضك أن تخبرك بشيء. كنت خائفاً مثلما
خفت أنا! لم يكن لدى هيئة وزياد ومحمد ما يخون خسارته
إلى هذا الحد بينما كانت لدينا (أنا وأنت) حياة نخشي خسارتها،
أو حتى معرفة أننا سنخبرها يوماً! تقول إنك لا تؤمن بهذا
الأمور لكنك وعلى الرغم من هذا ارتحبت!
أي حب هذا الذي جعل مني امرأة بائسة تطرق من بؤسها
وحبتها كل الأبواب لتعرف (فقط لتعرف) كيف سيكون الغد معك
أو من دونك؟ قلبي يهدثني بما سيراد ولن أخصب إليه، تحاول
العرفان أن تخبرني فأمنع على الرغم من أنني ذهبت إليها بقدمي.
مشغقة أنا على حالي، كيف لا تشفق أنك عليها؟
مجرم أنت!...
***
بت أشعر وكأنك تدفعني إلى الرحيل دفعاً، أدرك بأنك عالق
بهذه العلاقة مثلي تمامًا. أشفق عليك في بعض الأحيان، على
الرغم من قسوتك ألا أني أفهم في لحظات (تأمل) قليلة. كم أنك
تعاني!...
عالفان! أنا وأنت عالفان. لا تغري علاقة كلاً منا بنا illegally
رجلًا مثلك ولا ترضي امرأة مثلي. تنشد علاقة جامحة وأتتشد
هدوءًا واستقرارًا. تظن أنك خاني مملة وأظن أنك مشغول! لاتريد أن تغرى
قلت لي مرة بأنك بقيت لآمال من شهر من دون اسم. رغب والدك
بتسامتك ورفضت والدك ذلك، خشي أن تكون حياتك
معني اسمك فظلتلت لفترة طويلة من دون اسم. حتى رضخ والدك
لرغية زوجته المتوجبة. لكنك حملت من اسمك (الآخر) الكبير.
أحاول أن أتخيل أحيانا كيف ستكون لو أنك حملت ذلك الاسم.
لا أظن بأنك تستعينين أكثر مما تفعل. صدقني لم يكن ليغير الاسم
شيئًا. ولدت وفي جنيناتك الكثير من الشقاء ولم يكن الاسم
السبب. كنت على إيمان بأنك نحمل من أسمائنا الكبار. لطالما
كنت مغرمًا باسمك يا عزيز. كنت على قناعة بأن كل عبد العزيز
عتيد. كالموحد. أنا الفتاة التي حارب أجنادها وأعمامها بجوار
الموحد والتي تربت على أن تراه عظيمًا. الفتاة التي ولدت على
بقايا (إمارة) وعاشت لسنتين عيشة الأمواء حتى بانت تظن بأنها
أميرة بدوية، تناصر من أجلها القبائل. وتثور الصحراء دفاعًا عنها.
كم أنا ساذجة يا عزيز. لطالما كنت ساذجة. في إحدى
المحاضرات وفي خضم النقاش. قال لي البرفسور كريس:
(جمانة). تظنين بأن الحياة فراشات ملونة. وشموء معطرة. وأزهر
وردية، وم وسيك رومانسية مصاحبة... لكننا في 2008م. صوت
الموسيقى صوت الشاشات والمذابح التي تدوي في أرجاء
العالم.. فراشاتك صواريخ.. وأزهرار قنابل عنقودية.. وشموعدك
لهب انفجارات.. فاستقظي!...
أنا ساذجة، أدرك بانني ساذجة لكن لا قدرة لي على أن أكون
أمرأة أخرى!.. لا قدرة لي على أن أكون خبيثة، أدرك بأن امرأة
الجانب الأيمن كتبت عليه لبنان والأيسر كندا... رسمت على الأيمن صورتك بصحا فتاة بلباس البحر وعلى الأيسر صورتي بشعري المجعد أبكي بدموعٍ كالنافورة... ألم أخبرك بأنني أرى سير حياتنا لمن نكر هذا... استحق أن تفعل بي كل هذا يا عزيز... لأنني حمقاء، لأنني ساذجة...

***

تذكر اليوم بأنني قد اتصلت بك وقد كنت حينها في إحدى سهرات (مونتريال)... كنت بحالة سُكر لم أشهد مثلها أبداً، كنت مرتفعاً إلى درجة مفرقة! (مرتفع)...!

لا أدرى لما أسألك في كل مرة تتم فيها إن كنت مرتفعاً... لم أتمكن يوماً من أن أسألك أن كنت ثعلباً وكأنني أخشى اللحظة! دائماً ما تحاول تخفيف وطأة الأحداث بكلمات غير مباشرة، وكأن تسمي الأمور بـ (مسمياتها) تجعل تأثيرها أكثر وجوهاً وحدة... كنت تضحك وأنت تترك بحديث لا مناسبة له. قلت: (أنا مع الشباب... تحبني! أنت تحبني على الرغم منك! أنا أفضل من أي رجل آخر. أنا أفضل، من الافهرين بأنني أفضل؟)... كانت أصوات النساء حولك لدرجة تثير الدهشة!...

قلت لك وأنا أبكي: أرجوك. اتركهم واتصل بي من فورتك... ضحكتي: حبيبتي أن لا أفعل شيئاً، لا تظلي بي حبيبي! هؤلاء صديقات أحمد! لا تخشى شيئاً...

ارتقت أصواتهن حولك بكلمات بذلة ممسترة، كنت تضحك
سحبت الهاتف من يده شاتماً إيا وآنت تضحك
حببيتي! حفري هذا الرجل لا يصدقه)
( خويتك!)! بعد كل هذا الصبر ত ক ترف أصدقاءك (السكاري)
بي كـ (خويتك!). لا أفهَم كيف ارتجست أن أتحدث مع رجل
بذيء كهذا!.. لا أدرى كيف تسمح لنفسك بالعيش بمحيط ضحل
كمحيطك!.. لا أفهَم كيف تظن بأنك ساقل بهذا الوضع!.. كثيراً ما
تخليت عنك يا عزيز، كثيراً ما خذلتني.. كثيراً ما زععت بنفسي
الثقته، انتزعت من دواخل (أمراتك) احترامها لك واحترامها
لعلاقتكما. آه لو تدرى يا عزيز كم هي كثيرة ندوب قلبي.. بنَهُأ
أشعر بأن قلبي لا يضخ سوى الألم إلى باقي أرجاء جسدي.. على
الرغم من خذلاني يا عزيز.. على الرغم من تركك إياي وتخلعك
عني وإيهاكك لي.. وأشياء كثيرة!.. كانت تلك الليلة، الليلة التي
خلفت في روحي الرماد شعرت بأنه لم ببقى في داخل روحي لك
 سوى رماد، استعترت حتى فتك اللظى بروحي يا عزيز.. فخمدت
الئار وبيقي الرماد...
أنتدي كم أوقف الحديث عن تلك الليلة؟ قد يكون هذا
الحدث الوحيد الذي لم نتحدث عنه فقط.. لم نفعل لأنه كان
الأصعب، تدرك جيداً بأننا لم نفعل لأنه الأصعب.. قاسي طغيانك
يا عزيزة تجاهمت الحدث وكأن شيئا لم يكن، واستجبت لطلبك لاني رغبت بأن أكون (منفهمة). لا بد من أن تكون (خويتك) منفهمة!... وأبعد كل هذا أكون (خويتك) يا عزيزة!.. لست (بتفسير) سوى مجرد (امرئ) تصاحبك!.. لو تحدثنا بخصوص الأمر لبرت لي قولك (ذاك) بحالة (السكر) تلك لكنك وفي حالات سكرك تكون أكثر صدقأ من أي وقت آخر، يتعنسني هذا!.. يتعنسني ألا تصدق معي إلا في حالات تلما تفقت فيها السيطرة على عنفك وجسدك وأمور أخرى، ظلبت بعدا لأكثر من ثلاثة أيام على عتبة (دوره المياه)... أنتيا ألمًا وياسة وحزنا وقهراً.. كيف تفهمي إلى هذا الحد.. أي قلب هذا الذي تحمله..؟!.. أي جبار أنت؟!..
في أعمالي قهر يقتل، سيقللت القهر يا عزيزة. تدرك بأنني سأموت قهرًا.. سمحت لك هيفاء في اليوم الثالث بزيارتي، أظن بأنها خشيتي أن أمت! جئت، جئت كما ذهبت.. جلست أمامي على الحرف الپء، قلت وأنت تمسح على رأسي: جمان ما الأمر؟!.. قالت لي هيفاء بأنك مريضة!.. لماذا لا تجيبين على مكالماتي؟ أجبتك بوره وعيناي تدمعان: أرجوك.. أرحمني، اعتقني لوجه الله!.. أرجوك، أرجوك.. وقفت أمامي ببسمة وقلت: مللت من هذا الوضع، مللت من تخليك عنى في كل مرة تغضين فيها!.. اتصل بي حينما تهدئين.. ألم أقل بأنك جئت كما ذهبت وكان شيئا لم يكن!.. لا أدرى لماذا تعلقني بحياة أنت.. نفسك - لا تدري إن كنت ترغب بوخودي فيها.. أشعر أحياناً كأنك لم تتحبني يوماً.. أشعر بأنك تحب حبي لك.. أنفهم جيداً بأنك تحب حبي لك لكنني لا أفهم كيف لا تحب امرأة تتفاني من أجل أن تحبها، من أجل أن تمنحها
تقبع الامنة - من الحب... أيّ قدر ظالم هذا الذي يأبى أن يمنحني قلباً استحققه، أستحقك وتربك بأتي أستحقك فلماذا يخلق القدر بمنحني إياك! تتعب من أجل الحصول عليك فلماذا لا أتمنك منك! أشعر أحياناً بأنك لا (تليق) بي لكنني لا أطمع في أن تليق بي... أريدك كما أنت، كما أنت يا عزيز... كما أنت!... ألا يكفي أن أريدك كما أنت...؟

***

بودّني لو حذلت بتيلاً وصبا عنك، لو أخبرتهما عن مدى روعتك وعن حدود قسوتك... وعن أمور أخرى... تؤرقني فكرة أن تمرّ إحدى شققيتك تحكايّة حب مشابهة... أغرب أن أطلق على ما بيننا مجرد (حكاية حب)! مؤمنة أنا بأن لكل شخص فينا ( التجارية) حب، لكن في حياة كل منا (حكاية حب) واحدة لا تتكرر... حلمت كغيري من الفتيات بحب يخلي الأفانس لكنني لم أحلم بحب يكم أنفساني ويخنق في الفرح ويجدج في داخلي ناراً تأكل أهاليه كهذا الحب... أخشى على شقليتي يا عزيز... أخشى أن تواجها (عذرًا) آخر... يخلق لديهما الكابئة ويهول عالمهما الوردي إلى خراب حالك... سفري كان (خطيئة) لن يكفر عنها شيء... خطيئة أوقعتها في زخم خطايا، خطيئة خلفت خطيئة ومن ثم خطيئة فخطيئة، أخطائي تغتفر خطئاي كذلك! سيفغر لي الإله (العظيم الرحيم) حباً لم أنتهك به حدوداً حمراء كجسم وسلوك (بمشيئة الله)!... ستغفر لي عائلتي حباً ووقعت به على الرغم مني بعيداً عنهم، سيغفر لي وطن وثق بي وابتعذني لأنني سأحقق (الهدف) وسأعود من
أجل.. لكن هل أفعّل لنفسي ذلًا إلاّ ارتدت تجرعه وإن كان.. رغماً.. عن إرادتي؟

متعة أنها يا عزيزة، أشعر بك كفيروس شرس يتصداع في أنفاسي.. يصل ويجول ويفتئ في خلاياي المقاومة.. لا أدرى كيف أصبحت مخيفاً إلى هذا الحد.. لا أدرى كيف أفحمت نفسي بهذه العلاقة!.. لطالما شعرت معلق بأنني في منافسة ضارية.. أنا بطبيعي امرأة لا ترضى أن يؤخذ منها شيء!.. لكنني وجدت نفسي فجأة أقات بضرورة لأحظى بك.. كنت على استعداد لأن أخوض الحرب وأن أفورز بالمعارك، معركة تلو معركة تلو معركة!.. تعلمتدرسية وبت امرأة شرسة.. امرأة تقاوم منافساتها ببسالة لوحة منحدثة، لوحة تأتي أن يقترب أحد من حبيبها الأسد، لوحة تنكمش كجعة ودبية أمام الملك وكانتا لم تكن يواماً لوحة!.. يخجلني أن أكون امرأة كهذه التي أصبحت يا عزيزة.. يعترفني أن تجعل مني امرأة شرسة مع غيرك، مطوعة هشة معك.. تدرك مثلما أدرك بأنني لم أكن يواماً تلك المرأة.. تدرك بأن تأثرك علي سيء.. وبأتي بحالة مزرية!..

أتذكر لقاءنا الثاني قبل أربعة أعوام!؟!.. التقتيني في المقهى بعد (مصادفتنا) الأولى يومين.. دخلت المقهى مع هيفاء.. كنت هناك أنت وزياد وكأننا أحضرنا زياً وهيفاء ليكونا شاهدين على حكايتنا هذه، ابتسمت ابتسامة واسعة عندما وقعت عيناك عليي.. أشربت بيدك مرحباً.. التفت زياً إلي وتجهم، لكزنتي هيفاء حينها: ما أملك مع زياك السواف؟!..

همست بذاتها وأنا ابتسم بوجهك: لا أعرفهم! أتعرفين منه؟!
عبد العزيز القيرواني!
بالضبط...

ومن ذا الذي لا يعرفه؟
جلسنا إلى الطاولة المجاورة.. سألتني بسخرية: كيف حالك يا جنية.. أمدركني..?! أنا (سمي) الموحد!
أجيبك: وهل أبدو لك كعجوز خيفة..؟
ابتسمت برقة.. وقالت: تبدين كجنيه! 
قال زياد محدثاً هبهاء: حفاء!.. كيف حالك..؟
كان زياد وهبهاء على معرفة.. وقد كانت هبهاء تعرف عنك بعض الأمور التي لا تسر!..

لم أمنحك ليلتها الكثير من الحديث.. كنت خجلة.. شعرت وكأنني في رأي تقابل خطيباً لأول مرة بحضرة والدنا.. كذلك كنت أتسترق النظر إلي بين الحين والآخر وتشييش بنظرك عنى حينما تنبهت إليك هبهاء أو يبتث زياد.. حينما هممنا بالمغادرة، أشرت إليكمما برأسي موضعة لكنك وقفت قائلةً: وجبنيك يلمع عرفاً: اسمي!..! إحدى الجمعيات الكندية بحاجة إلى فتيات سعوديات للتعريف عن السعودية.. وتصحح نظرة المواطن الكندي عن الإسلام والعرب!.. ما رأيك في أن تشارككي معنا.
لا أدري!.. سأفكر بالأمر...

اخرجت هاتفك المحمول من جيبك وقالت: أعطني رقم هاتفك.. سأتصل بك، سجلي رقمي لتبليغني بقرارك بعد أن تفكري...

نظرت حينها إلى هبهاء التي كانت تنظر إلي بعينين متسعتين محبذة!.. لكي تجاهلتها وأعطيك رقمي وكأني منومة مغناطيسياً.. قلت لي بأنك سترسل لي رسالة فارغة لأحفظ رقمك في هاتفك
انتظرتك أن تفعل.. ألقت علي هيفاء بمحاضرة طويلة في طريقنا إلى المنزل.. قالت لي بأنك رجل لعوب واستغربت من عدم معرفتي بك حتى الرغم من صيتك الواسع في أوساط الطلبة العرب بالجامعة!.. حذرتيني هيفاء من أن أتعرض معي بأي شكل من الأشكال.. يا عزيز لكنني لم أشعر بالخوف منك حينها! كنت وديعاً على الرغم من أن كلمة (اسمي) الآمرة التي استوقفتني بها لم ترق لي.. كنت آمرة منذ البداية.. لطالما لعبت دور القائد في أي تجمع يشملك.. في الرحلات، في الندوات.. في المحاضرات وحتى بين أصدقائنا.. لطالما كانت كمبتلك القاصلة في أي قرار أو مشروع، كنت كمن خلق ليترأس ويتعز ويقود ويأمر.

في مساء تلك الليلة.. تبنت على ضوء الهاتف الصامت وأنا داخل الفراش، أرسلت إلي رسالة جاءت باستحيا: جمامة مساء الخير.. أنا سمي الموحد!.. هل أنت مستيقظة؟.. أرسلت إليك بسخرية: كلا!.. أنا نائمة.. ما أسوأ حظي وما أحسن حظ الملائكة!.. اتصلني بي عندما تستيقظين.. (اتصلي)!

عاودت الأمر من جديد وأمرة مثلي لم تكن معتادة على تلبية الأوامر لم يرق لها الأمر.. بينما كنت معتاداً أنت على إلقائها وعلى أن تلبى أوامرك.. كنت تأملني بمساعدة وكأنك على يقين من أنني سأكون بطيء.. لم تكن تطلب مني أفكاراً يا عزيز، استفزني (الأمر) فلم أرد على الرسالة.. حاولت أن أتفرغ وفي رأسي ألف سؤال وسؤال عن شاب سعودي وسهم.. يشبه (بن أفليك).. ذي صوت وقوير، ونظرة رقيقة وطول شاهق.. كنت قد سألت هيفاء عنك وقد أخبرتي بسراميك أنك سعودي، شاعر وكاتب.. تحضّر
الماجستير في الجامعة ذاتها التي نرتادها.. في الثلاثين من عمرك.. لعوب وأعزب!.. فقط.

نمت تلك الليلة يا عزيز وطيفك يجوم فوق رأسي كملاع كزائر.. وعلى وجهي ابتسامة مضيئة تعكس أضواء الأحلام التي أثارت روحي ليليتها.. استيقظت في الصباح لأجد في صندوق رسائل هاتفني.. أول رسالة وصلتني منك ويا ليتها أضاءت طريقها قبل أن تصل، كنت: صباح الخير.. أي أميرة نائمة أنت!.. كنت لك الرد وآن أنظف أسناني بالفرشاة: أميرة لا تتلقى الأوامر ولا تتصل حينما يقال لها (اتصلي).

أجبه بعد لحظات: أي شرقية معقدة أنت؟.. أذكر بانتي تجللتك.. وبأنك اتصلت بعد ساعة من رسلتك تلك..

في البداية تحدثنا ببخجل.. كنت أتعلعتم كثيرا.. كنت تضحك بحياء لتداري ارتباك.. لكننا وجدنا ننفسنا فجأة (ثرثرة)، تحدثنا كثيرا فانقطع الخط.. عاودنا الاتصال ومن ثم أوصلنا هواتفنا المحملة بالكهرباء لتشحن بطارياتها التي انهارت من زخم الثرثرة، لم نتناول شيئا.. ولم نخرج أبدا.. ولم نتعب من الحديث حتى السادسة مساء، تحدثنا من العاشرة صباحا حتى السادسة مساء، لم يتشننا من نهم الحديث ذاك سوى ألم كاد أن يفتك بأذني.. كنت كمن عاش في جزيرة مهجورة وحيدا وفجأة وجد أمامه وحيدا ثائبا آخر.. تأثركين لم يتحدثا منذ سنوات فغرفة في قاع ثرثرة حينما التقين شعرت برايط روحي يربط بيننا وكأنك تعرف عن كل شيء وكأنني أفهم تفاصيل تفاصلك على الرغم من صعوبتها.. تندري يا عزيز.. لطالما أحببت أن يحبني رجل صعب مثلك!.. رجل لا يرضيه شيء ولا يغريه "أي
شيء"، رجل انتقائي ذو ذوق نادر ومقايس معقدة.. ظننتك هذا الرجل لكنت لم تكن سوى رجل صعب مع من يحب، بسيط مع من يحب ولا أحسبك قد أحبتني!..
كم من السهل أن تحب طفلة "كلنت التي كنت" رجلًا خبيرًا مثلك.. كم من الصعب أن يستمر رجل معقد التكوين مثلك مع امرأة بسيطة التفاصيل مثلي!.. إلهي!.. كم كان صعبًا يا عزيز!..

***

فصول حياتي قليلة وطويلة، مرّ في حياتي فصلان أو ثلاثة.. أبلغ اليوم الرابعة والعشرين، ولم يمر خلال ربع قرنى هذا سوى ثلاثة فصول أو ثلاث حكايات يحكى عنها، لكن لكل حكاية أو لكل فصل طويل، طويل للغاية!.. أفكر كثيرًا في ماهيتي، ماهيتي بسيطة، بسيطة لدرجة لا تستحق الذكر.. فتاة تقليدية الظاهر، شاذة الأفكار وإن لم يتجاوز شذوذ أفكارى عن القواعد سقف جمجمتي الصغير.. أحب العلم كثيرًا لكني لا أسعى للتعلم من أجله.. أظن باني أذكي من أن أتعلم من أجل العلم، يرضيتي النجاح فيه لكنى لا أطمئن لنجاح باهر.. أرضى بالقليل، قليل من هذا وذلك.. يرضيتي قليل من علم، قليل من استقرار.. قليل من حرية، قليل من أمومة، قليل من مال.. قليل من جمال.. والكثير.. الكثير الكثير من الحب!..
تجمع أنت وزياد وهيفاء على أمر واحد فقط.. إنني امرأة مغرورة، تظن أنت بأنه يزيدني جاذبية وطموحني دومًا بأنه لا ضير من بعض الغرور، دائمًا ما كنت تقول بأن قليلًا من الغرور لا يضر.. أصدقك القول في أنني أشعر أحيانًا بآني متميزة.. وجودك
يشعرني بتميزي، تميزي الموجود أساساً بوجودك وغيابك. أدرك بأنني مميزة ولكنك تقص لي لدرجة أنك تجعلني أفثقن عن بدني. لا أفهم كيف ترعنني بكلمة رفيعة إلى السماء السابعة، وكيف تضينني بقاع الأرض السابقة بكلمة أخرى رهيبة؟ كيف تمكنت منني إلى هذا الحد؟ كيف تشترني بلحظة أنني ملكة عظيمة يجللها الشعب ويعشقها الملك. ويخلد اسمها التاريخ. كيف تشترني باللحظة التي تليها بأنني جارية مهانة، يستحقني الملك ويلذي الناس. ولا يعرف لي التاريخ اسمًا؟

كم أكره علاقتنا/ اللغز هذه، كم أكره إذالك لي. وإيناءك إياي ومعفاتك لك وولعي بك. نحن مريضان، مريضة أنا بك ومريض أنت بكل ما يربطك بالدنيا. عرفتك وفي أعمقك تدور ألف حرب وحرب، ولم يكن في داخلي سوى فراشة صغيرة تطوف حول زهرة. كيف يشبه إنسان إنسانًا آخر إلى هذا الحد؟ كيف تجعل مني امرأة بائسة، تحفر في أعمقها آثار حزن وتحترف فيها مزارع الخوف؟!!!

استقبلت اليوم على بريدتي الإلكتروني رسالة غريبة العنوان.
كان عنوانها (رسالة من الماضي إلى الأنسة جمانة). في الرسالة وباللغة الإنجليزية كتب: جمانة. مرحبًا بك. لا بد من أنك قد تغيرت كثيراً.

أنا أنت. كتب إليك في 2004م متمنية أن تستقبل رسالتي في 2008م واتبعت بحالة جيدة. عرفت قبل 8 أشهر رجلاً رقياً يدعى عبد العزيز القراني! لا بد من أنك أكثر معرفة ودراسة به اليوم. وقفت في حبه منذ اللحظات الأولى. لا بد من أنك تحدين هذا ومابلت تذكرين لقاءك به. هو الآن أمامي، نجلس في المقهى. يكتب رسالة إلى مستقبلي أيضاً ويتسم. اتفقنا أن لا نخبر بعضنا.
بما سنكتب، لكننا تعاهدنا على أن نتبادل هذه الرسائل حالما تصلنا ومهمها كان وضعنا حينها، أظن بأننا سنكون معاً. قد نقرأ هذه الرسالة في بيتنا وطفلنا الصغير متعلق برجلي أو رجله! جميل هو هذا الرجل، أطلع به كثيراً. أرغب في أن أكون امرأته، أن أنمو في ظلاله. أن يقترب اسمي باسمي وأن يحمل أطفالي كنيتيه. ينظر إلي الآن ويضحك. لا أدي ماذا يكتب لكن حمرة خفيفة تسربت إلى وجهه السويس ويضحك. يضحك بجد ذكفل. كم أود أن يصبح طفلنا شبيهاً بوالده الطفل الكبير. ستقرئين رسالي في مايو 2008م - بمثابة الله ...! لا بد من أنك على أعطاب التخرج .. لا بد من أن تكوني قد تعرفت على أصدقاء/ صديقات كثر. ألا تزال هيناء تسكن معك؟! ألا يزال عبد العزيز زور أقاربه في مونتريال في كل نهاية أسبوع؟! أدرك بأنك ذكية إلى درجة تمكنت من هذا الأمر ..! ألا تزالين متحابتين ..؟! هل تفكران بالارتباط أم ارتبقما ..! لا بد من أنكما قد فعلتما ..! أعرف بأنه رجل صعب .. لكنني أدرك كأعمهات غنية وكم تغريك صعوبته. هل تشجعت وأخبرت عائلتك عنه أم اكتشفوا وجوده بأنفسهم ..? اليوم ستكتشفين كم تغير عزيز وكم تغيرت، مصببح أكثر نضجاً وستعلق بك أكثر مما يفعل الآن (من اليوم الذي أكتب إليك فيه) وستتفنن أيضاً، ستتفنن به أكثر وستفهميه أكثر ..! سيخف جنون غيرتك عليه وسيزيد اهتمامه بك .. في اليوم الذي تقرئين فيه هذه الرسالة سيكون قد مضى على حبكم أربع سنوات وثمانية أشهر .. تحييني اليوم كثيراً وبعد أربع سنوات ستتحينيه أكثر .. لا تنسى أن ترسلني الرسالة إليه لأنك وعدتك اليوم أن تفعلها ..! أرسلها ومهما كانت الظروف ..!

جمانة، 25/05/2004م.
مقهى MASH Coffeshop
كندا ..
فرت من عيني دمعة.. وأوجعني أن لا يتحقق شيء مما توقعت أن يحدث، فكتبت أن لم تتحقق لي أمنية واحدة في أربع سنوات.. سبذاجتي المرة، أحلاقي الحمقي وأمنياتي الطفولية كلها آلت إلى خرجت من متصفحي لأفادج برائحة منك، كنت قد أرسلتها منذ دقائق.. كانت رسالة من الماضي إلى السيد عبد العزيز.. شعرت بنبضات قلبني تتسارع وبعد قوية تطبيق على عنيقى حتى كادت أنفاسي أن تنقطع، دخلت على رسالتكم بأصبعي مرتجفة.. كتب:

السلام عليكم عبد العزيز.. أنا عبد العزيز 2004م، أكتب إليك لأن حبيبي المجوهرة جمانة.. طلبت مني أن أفعل، هي الآن معي تجلس في المقعد المقابل وفي عينيها بريق عجب.. لا بد من أنها تكتب عنك.. أحبها كثيراً وممتناً أنا لقد جمعني بها.. حونوته هي كأمي.. أعرف أنها تحبيني لكنها مجونة وغبار عملي كثيراً.. لا أقدر أنني شقي قليلاً، لكن أفعتي الشقية لا تتجاوز كونها مجرد "شفاوة".. لا أعرف ماذا يخبِّئ لنا المستقبل لكني أكاد أ 모르 بأنها ستكون معي.. تحبني إلى درجة أدرك من خلالها أنها لن تتركي أبداً ولن تتخلى عنك حباً حباً حباً في لحظة طبَّ وأخشى أن تتركي في لحظة خوف.. وأخشى أن تلعب الأقدار لعبتك تعبدنا كعادتها!.. لحوحة هيفت، قربت بصورة تثير حبِّي لكني ساقي في طبعها السبئ هذا.. أدرك بهذا يا مستقبلي، حبيبي جمانة لا تتفهم، عصبية بعض الشيء وتشكي كثيراً.. كلها أمور أدرك أن تغييرها من أجلها.. ت 있는데 هذه الحلوة كثيراً بشكوكها.. تظنين بي على الرغم من استيانتها إياي لكنها ستفضح بعد حين.. أريد أن تتمسك بها! الألا تدعها تفلت من بين يديك مهما حدث.. إن كنت معها الآن فلتحافظ عليها وإن كانت الأيام قد فرقت بينكما فابحث عنها.
واستردها، أريدك أن تعرف بأنني الآن أسعد من أي وقت مضى...
وأني لم أحبّ امرأة في حياتي بهذه الصورة وإلى هذا الحدًا. لا تفرّط بجمانة. لا تفرّط بها. أرسل إليها الجواب عند قراءتك لهذه الرسالة...
ملحوظة / جمانة. عودي إلى الحروف المرفقة إذا أضعت الحقيقة يومًا...

عبد العزيز القيراني...
05/05/2004م...

 Future Me كانت الرسائل من موقع أجنبي يمكن...

من خلاله كتابة أي رسالة ترغب بكتابتها ليقوم بإرسالها بتاريخ معين للجهة التي تقوم باختبارها. أذكر بأننا قد قمنا بكتابة رسائلتين، قررنا أن نصلنا إحداهما بتاريخ 25/05/2008م والآخرة بتاريخ 25/05/2014م، أي بعد مرور عشر سنوات على تعاوننا...

ظنتنا حينذاك بأننا سنكون معاً لعشرات الأعوام. لكن آمالنا خابت وخلتانا الأقدار فانهارعت علاقتنا بعد أربعة أعوام يا عزيز...
لم نتمكن علاقةنا من الصمود أكثر، لم نتمكن من المضي معًا كما ظنتنا بأننا سنفعل. مررت أعوامنا الأربعة بسرعة فائقة لكننا نسينا تلك الليلة التي كتبنا فيها الرسائل، قرأتها وكأنني أقرأها لأول مرة واستجريت إعادة توجيه رسالتك إلي بعد كل ما مرنا به! أتعلمت مؤخرًا كيف تغي بوعودك يا عزيز؟. لم نتمكن أبداً من الالتزام بعهد قطعته على نفسك، لم تلب بوعودك معي على الإطلاق. وها
أنت...! تفي بوعدك بعد أن تناولت أجزائنا وأصبح لكل منا معان
الأجزاء...
ترددت كثيراً في إرسال رسالتكي إليك، كنت قد وعدتك أن
أفعل. والتزمت أن النزول بالجزء المتعلق بك بعد قوات الأوامر. لكن
مضمون رسالتكي كان مهيناً يا عزيز. رغبتي الصريحة بك بانت
تجربتي! حلمي بأن أكون معك بات شديد الإذلال... لكنني
وعدتك! أيها... إلّا أفي بوعد قطعته لحبيب خائن، لم يف
بوعد البيئة؟! لا أظنك بأن شيئاً سبيسيّإليّ أكثر...

***
لم يكن هناك من مجال لنلتقي في الرياض، كنت أن أدفعك
إلى الجنوبي وقتذاك... كنت قد أعترفنا أن نلتقي في كل يوم قبل
رجوعنا إلى الوطن، وبات لقاونينا محظوراً ما أن وطنا على أرض
المطار! كنت كمديمن أنقطع عن وما كان يدمنه فجأة ويلآ فترة
انصباب... كنت ثائراً عصبي المزاج. تطالب بجروتي ليلياً ونهاراً
حتى بتنا لا نتحدث في موضوع عداه... كنت تطبعي بسيرتك أينما
ذهبت، تنتظرني فيها لساعات لتبعني في طريق عودتي إلى المنزل...
تنزل في كل مكان عام أقصده وتقترب مني وكأنك تخشى أن أهرب
أو أن أفلت منك. كان بيت عمي قريبًا من بيت أهله، في الحي
نفسه. اتفقت معي بعد إلحاح على أن نلتقي في بيته... وافقت على
ذلك خشية أن تفقد صوابك فتقدم على فعل أدرك جيداً بأتي
وتحدي من سدد فثناه، ما زلت أذكر مرورك ذلك... كنت قد تركت

١٣٨
لك باب البيت مفتوحاً، وقتت أنظرتك في حديقة البيت بينما كان الجميع يتناولون طعام العشاء في الداخل. كنت أرتجف يا عزيز، فلم أكن قد اعتدت على فعل ذلك الأمر من قبل. أذكر أنك دفعت الباب برفق ودخلت بقامتك الملموسة بهدوء واثق، وكأنك تدخل بيتك. كنت مرتدية ثوباً ثقيلاً من اللون واضعاً حول عنفتك شالاً صوفياً. كنت ذفتك نامية كما أحبها فزادتك رجولتك لا تضاحيها رجولة، كنت أنظر إليك بجمع حنيناً محاولة إشباع بصري المتعطش لرؤيتك. أتقلقت حولي حنيناً آخر خوفاً من أن يراك أحد. لم أشعر إلا بقبضتيك تطيقات على زندي بقوة، نظرت إليك، وحرارة أنفاسك تلفح ملامح وجهي. أرسلت جبينك على جبيني، وأنت مغمض العينين وأخذت تستنشق أنفاسي بقوة ويداك تعتصران. همست وأنا أرتجف بين يديك: عزيز... يكفي... أرجوك!...
أخذت تزفر بأذني وأنت تهمس: أوووووووش... لا تخافي!...
أخذت أصوات من بداخل البيت تتعالى، كانت أصواتهم تنبئ بأنهم قد انتهوا من تناول عشاءهم وباحتمال خروج أحدهم في أي لحظة، وبرؤيتك. قلت لك بصوت مرتجلف: عزيز...! أرجوك... إن رآك أحد هنا سنقع في مصيبة!...
فتحت عينيك وعقدت حاجيك بغضب مخيف، ازدادت قبضتي بديك تطويقاً لذراعي حتى شعرت بأنهما ستهزمان بين أصابعك. شعرت بك ترفعيني من على الأرض بقبضتي القويتين: اسمعي!...
لن يسمك بشر بسوء مادمت أتنفس... أفهمت...؟
كنت أبحل في ملامحك بخوف واستغراب... كنت تتحدث بحرارة (مخيفة!)...
هزنتم بقوة: أفهمت يا جمان؟
هزنتم برأسي: فهمت... والله العظيم فهمت...لكن أرجوك أن تذهب الآن من أجليا...
قلت وأنت تقسم كتفي بقوة: من أجلك...! أنظر في نظرك!
على استعداد لأن أموت من أجلك...!
أبدعت عني لتخرج: أرجوك... هيا...
قلت وفي عينيك رجاء بنطق: حسناً حسناً...! سأذهب الآن...
قبلت جبيني وأنت تضغط بشفتيك عليه وكنك تكوييه... كنت...
أدعوك فترجع خطوة وتتقدم نحوي بخطوة أخرى...!
كانت في عينك أحاديث كثيرة... وكثير من الشوق...
اتصلت بي ما أن استقللت سيارتك، كنت لا أزال في الحديقة، أحاول استرداد أنفاسي وطرد رائحة سجائر الملتزمة...
بملابسي...
أجيتك وأنا آلهت: أهلا...
قلت بصوت يرتجف انفعالاً: جمانة... أريدك...! أريد أن أتزوجك، أريدك أن تكوني زوجتي... وأن تنجي مني أطفالاً كثراً!...
قلت وأنا أضحكت: من يستمع إلى حديثك الآن يظل بأننا ولا أول مرة نلتقي...
تنهدت بقلب: أنا خائف يا بنت! أخشى أن يأخذك مني...
أحد...
سألتك باستغراب: عزيز.. نحن هنا منذ أيام وسنعود إلى حيث...
كنا معاً.. من أين جأت بهذه الأفكار؟...
قلت بفضل: لا أعرف...! أشعر بالاختناق... بوذي لو أخذتك الآن وعدنا.. تخفقني هذه المدينة يا جمان!...
قلت لك: اهدا الآن وقل لي، ألم يتغير بي شيء؟...
قالتك وأنا أعين بخصصة من شعري: وماذا أيضاً؟
أممم. فقدت بعضاً من وزنك. ما بالك يا حلوتي؟!.
لا. يطمعك الأشرار؟
لا.. أرايت؟! لا يهم بي أحد بغيابك.؟
تنهدت: إلهي! ماذا أفعل بك الآن لأهدا؟! أشعر بوجود في قلبي يا جمان.؟
وماذا أيضاً؟؟
ضحكت: وبيان قطني الشقية "تنفل" عليً.
ضحكت من قلبي وحول رأسي شعرت ببعض الأحب تغرد.
وفي قلبي تفتحت ألف وردة ووردة.?
إلهي يا عزيز.. كم تتعني ذكرى كهذه، تفتحي في حالة حيرة.
لا ينقضني الخوض فيها. متعينة آنا من كل هذه الأحداث!.
تحتعين حلاوة بعضها أكثر مما تتعني مرارة أغلب ما فيها.
سألتك مرة إن كنت تؤمن بوجود تؤام روح لكل منا. أذكر أنك اعتددت في جلستك، شبكت أصابع يدك أمام وجهك وقلت: أممم! نعم.
أؤمن بأن لكل منا تأمم روح.
سألتك: حبيبي! صارحني. أسبق وأن التحقيق بتأمم روح؟
ابتسمت: نعم! سبق لي وأن التقيتها.
أعرفها؟?
قررت خدي بأصابعك وقلت بسرية: كم أنت فضولية!
قلت لك بخصوصي: أستجبني أم لاي؟
قلت وأنت تعبت بقوايل السكر أمامك. أممم!.. لكل منا.
تأمم روح واحد، شخص موجود في مكان ما على هذه الأرض!.. قد نلتقيه وقد لا نتمكن من قلقاه..
قلت: وأنا أرَّب قوالب السكر معك: محظوظ هو من يلتقي بتوأم روحه.

قلت: بل الأكثر حظاً من يحظى به!... قد نلتقي بتوأم الروح لكن قد لا نتمكن من أن نحظى به أو أن نحافظ عليه... الظروف والأقدار تسيرنا في هذه الأمور يا جمال...

سألتك بختى: لم تجنبني عن سؤالي بعدا... من هي توأم روحك التي انتقتها؟...

ضحكت بقوة: أنت مزعجة! لا تتسين أبداً... تعرف أنني لا أنسى...

قلت وأنت تضحكي: أخبرلي بالمناسبة... ما الذي حدث في مثل هذا اليوم؟... 

عبد العزيز! حسنًا... أنت توأم روحي... وممتن أنا لقدر جمعني بك حتى وإن افترقنا...

وما فائدة أن نلتقي إن كنا سنفرق؟...

على الأقل حظينا بلقاء بعضنا بعضاً! ببحث الكثير ولهجات طويلة عن النصف الآخر ولا تنسح لهم الأقدار بلقاءهم، بلقاء توأم الروح...

وقتها حزنت كثيرا يا عزيز، شعرت بكثير من الحزن يتصرف إلى نفسي.. حزنت لأنك دائما ما كنت تشعرني بأن مروري في حياتك يكفي، وأن لقاءنا يكفي! بطبعك رجل يؤمن بأن الحياة قائفة لا تقف.. تسير وتسير وتسير، تمر من الآلاف مرور الكرام ولا تتوقف من أجل أحد... لطالما خشيت أن أتعب فتوتني القافلة، وقد كان لا بد من أن أفهم بأنه سيأتي يوم أن نحك به ويتبعني المسير فيفوتي الركب.
الغريب بأنك كنت تسخر مني كثيراً وتطلق عليك لقب (حدث في مثل هذا اليوم)!
 كنت تخبر زملائنا دوماً بأن زميلتهم البدوية الجذور كالناقة التي لا تنسي! وقد كنت أغضب كثيراً من وصفك ذلك. كنت أرفض وصفك لي بالمرأة الحقود لكنني أعرف اليوم بأنك لم تختيء في وصفي وانتدب أصيب كبد الحقيقة تلك المرة...
 فهماً! انقلب على جمر ذكرياتنا وكانني أعيش الأحداث لأول مرة. الوضع ذاته، الحزن ذاته والكره ذاته. أحاول أن أنسى بعض ما مرنا به ولا أتمكن. أذكر تفاصيل تفاصيلنا يا عزيزphaً.
 ماذا أذكر التفاصيل وكأنها شريط مصور. أو لا تدري كم هي قاسية تلك الذاكرة المختزنة بكل هذه الأحداث. كم أغضب معرفتي بك وتتفاصلك...
 تناديتي بال (اعتز) حينما أعضبك، أصبح (عنزة) حينما نتشاجر.
 (psycho) عندما أظن بك!.. و (طويلة العمر) حينما أشغلك عنك!..
 عندما تنمي المكالمة ب (توصين على شيء) أعرف أنك تخفي أمرًا. وحينما تصرخ (مع ألف سماحة) أعرف بأنك تعني أن أغرب وأن لا أعود الاتصال بك مجددًا. وبأنك لن تتحدث معي لأيام كثيرة قادمة!.
 أهلي كم تولمني معرفتي لتفاصيلك يا عزيز!.. أشعر أحياناً برغبة في أن أهتم رأسي، أن أنيزع عز من دماغي، أن أنشكل من بين الأفكار وأنا أغنيك ببعضه. يعود عن جمجمة يملؤها وجودك فيها. ما أشعر أن تستعمر ذاكرتك! ما أنظر أن تستوطن روحك، وما أتى أن تتسلب الخير يا عزيز، أن تتسلب خイヤتك. بُتُّ أشعر منذ أن استعمرتني بتأني فقذلت التحكم بقراراتي، بانت خياراتي مرهونة برغبتك .. تصرّح لي أحياناً وتتوحي إليَّ أحياناً أخرى وأنا
العبدة استجيب.. أنفذ قراراتك وكأنك ولي عليٍّ.. كيف أذكر كل هذا وأنسي ما كنت عليه؟!.. أنسي بأنني امرأة حرة وبأنني نشأت على أن أكون سيدة قراري! .. قال لي والدي يوماً: لا تنسي أبداً بأنك خلفت لتكوني (سيدة).. ولم أنسى يا عزيز.. لكنك استعبدني قساً، علموني والدي كيف تعش السيدة.. ولم يعلمني كيف تقاوم الاستعباد.. ويا ليه فعل!..

***

دائماً ما يقال بأن الطفل (الأوسط) يظل دوماً ويهضم حقه لكنني لم أظلم في عائلتي أبداً .. ولدت كالحذ الفاصل.. يكبرني رجال وتصغيرني جميلتان.. يظن بأن نصيب الطفل البكر من العناية كبير.. كما ينال الطفل الأخير النصيب الأكبر من الرعاية والدلال.. وعلى هذا الأساس كان من المفترض ألا أن نشأ شيئاً على الإطلاق .. لكنني وعلى النقيض نشأت مدة من قبل والدي .. شفقت عليَّ أمي كثيراً، تظن بأن حظي في الدنيا قليل .. فتهاول أن تعوضني عن بعض الحظ بكثير من الحب .. تدافع عني أمي دوماً أمام أخواتي الرجال الذين لا يسعني ألا أن أتلهى بهم على الرغم من بعدهم عنني وبعدي عنهم .. قلت لي مرة حينما كنت أحدثك عنهما: غريبة أنني حينما تتحدثين عن خالد وسعود.. تقولين أخوتين (الرجال)!.. وماذا في ذلك ..؟
لماذا نحن (أولاد) وهم (رجال) ..؟
قلت لك بسخرية: ظروف!...
أخيتي.. ما الفرق بيننا؟...
لا أدرى!!.. لكن أخوتي لا يطلق عليهم (أولاد) أبداً!!
أعرف يا عزيز.. أفكر أحياناً في شقيقي (المناضلين)، أفكر
في إمكانية أن يصبح أحدهما صديقك!! أعرف بأنك لا تحب
خالد.. أشعر بهذا وأنا كنت تتحفظ بمشاعرك تجاهه خشية أن
أحزن.. تدرك جيداً كم أحب هذا الرجل، تدرك بأن في أعمقني
حبًا خالصاً لأخي خالد على الرغم من خلافاتها التي لا تنتهي...
أعرف أن أسلوب خالد معي لا يرضيك.. ترى في تعامله قسوة لا
يحق له بها، لكنه أخي الأكبر يا عزيز، تجري في عروقي دماؤه
النبيلة.. أعرف أنك ترفض أن يقسو عليّ رجل غيرك، تظن بأنك
وحك المخول بهذا الحق ويخيفك الشعور بأن خالد هو الوحيد
القادر غيرك على التحكم بقرارات حياتي.. سبق وأن أخريتي بأنك
تخشي أنك بزوغنا خالد...
سألتك حينذاك: ولماذا لا يفعل..؟
أجبتي بتردد: أممم.. تعرفين أن في سلوكياتي بعضاً مما
يرفضه...
ضحكت: إذا فاقت تعرف بأن في سلوكياتك ما يعجب؟
قلت: لا يهم!!.. المهم الآن أن خالد تأثيره القوي على
والدك.. وبأنه يملك القدرة على حرماني منك..
قلت: تعال.. وبعدها تنصرف!...
أشحت وجهك وتضحك.. وعلى ملامحك آثار ضيق...
أشعر أحياناً بأنك كنت متردداً في طلبي خشية الرفض يا
عزيز، أشعر بأنك عشت على أمل أن تنزوغ لكن الأقدر خذلك...
أعشقتك امرأة مثلي يا عزيز!!.. امرأة تختلق أعدار خذلانك لها ..
أعتدت على أن تخذلني! بُتْ أنهم الآن بأنك اعتدت على أن تخذلني، تخذلني في كل مرة من دون أن تخشى العاقبة، لا أظن بأنك قد فكرت يوماً في وضعك عند خسارتي لأنك لم تلتزم خسارتي أبداً. أنت ذكي إلى درجة تفهم فيها بأن امرأة متشبعة بحبك إلى هذه الدرجة لا قدرة لها على العيش بعيداً عن محيطك وحدودك لکنني مللت هذا الخذلان يا عزيز.. ما عدت أحتمل كل هذه الخيبة..

قلت لي ليلة محدراً: جمانة.. لا تجرحني كي لا تضطر للعقم جراحي..

شعرت ليلتها بالمهانة ولا شيء غيرها، تعرف بأنني مضطرة للإعاق الجراح سواء أني كنت الجارحة أو المجروحة، اعتدت على ملحة جراحنا. اعتدت على طعمها. أصبحت كالسماكة التي تنفس الأوكسجين الذائب في الماء المالح بعد أن اعتدت على العيش في ملوحته. السمكة التي تموت حالما تنفس هواءً نقياً خارج تلك الملوحة.

ذكر بأنك أغضبتني مرة فصرخت في وجهك: عبد العزيز!..

أنت لم تشترتي من (أبو رياين) لتفعل بي كل هذا.. كنت تقرأ الجريدة وبين شفتيك سيجارة، أذكر كيف قلبت الصفحات بسرعة.. وسحبت نسخاً طويلاً وقلت: بلى!..

أذكر كيف وضعت رأسى على الطاولة وأخذت أبيك كطفلة معاقبة... لكنك لم تكتثر!..

لا أعرف كيف تهنج بتذديبي يا عزيز.. لا أفهم كيف تتمكن من رؤيتي وانا أنتفضت أمامك من شدة القهر كطير يحتضر ولا يرفي لك جفن، رفعت رأسى نحوك وسألتك: لماذا تفعل بي هذا؟

صرخت: لماذا تفعلين أنت كل هذا!..
ومشيئي......!

أتدرى يا عزيز، أعلمني كثيراً أنني حاولت ولفترات عديدة أن أثير شفختك علي، دفعك الخوف من أن أخسرك لأن أحالك، لأن أحالك لأن أثير شفختك!...

أتذكر كيف كنت تلمحو على حالي، وأن ترحم حاجتي إليك فتلطف بي، وقد كنت تفهم هذا فأزدادت طغيانًا وقسوة، وازدادت حالتسي سوءًا، صدقني يا عزيز لقد تسبب لي بكل أسباب البقاء ولقد جربت أنا بسبيك كل أنواعه.

ثق بي يا عزيز، لا شيء يؤلم كدموع القهر، دموع القهر أكثر ملوحة من سواها!...

وقت بامرأة اعتدت على الملوحة كما لو أنها عاشت طوال حياتها كسمكة.

***

كنت قد نسيت في حضور إحدى المحاضرات لأعرض عليك إحدى محاولاتي الشعرية...

كنت سعيدة بما كنت...

قلت بعد أن قرأتها بتمعن: جمانا! حاولي أن تكتبين بهدوء...

دائمًا ما تشعرني بصيتك في قصائدي، تخيلت بأن القلم قد أنكسر بيدك من فرط صيتك خلال كتابتك لهذه المحاولة...

لكنني كتبتها بمزاج جيد!...

قد تكون بعض الروايات، المهم أن صيتك جليلة في كلماتك...

لم تخبرني يوم ذاك، إن كانت قصيدتي جيدة برأيك أم أنها لا ترتقي لأن يطلق عليها (قصيدة). دائمًا ما كنت تتجنب إبداء رأيك في شعري!...

حتى بث أؤمن بأنك لا تؤمن بما أكتب، شعرت...
بحبـيـة أمـل، فـحـاوـلـت أن أـعـِـبر الـمـوـضوـع، سـأـلتك: اتـصـلـت بـك لـيلة
أمس وـلم تجني، أين كنت؟
قلت بـسـخـرـيـة وـأـنـت تـتـنـاءـب: نـمت عـنـد صـديقتي سامـثـا!
سـأـلتك بـتـهـكـم: عـزيزـاً! أـنـت تـعـرـفـي عـلـى حـبـيـبـتـك سامـثـا؟!
تـخـيـرـي عـنـا منذ سـنوات وـلم تـعـرـفـي عـلـيـا بـعـد! أخـشـى أن تـحـرـضـيـا عـليـاً، لا أرـيـدها أن تـفـسـد، سامـثـا تـحـبـيـ،
تـدـلـلـي، تـلـبـي طـلـبـاتـي، تـنـق بـي وقـنـوـعـة،
ماذا عـنـي؟
قلت وـأـنـت تـعد عـلـى أـصـابـعـك: أـنـت؟!... أـمـم، طوـلـي لـسان!
مـتـلـبـة، عـصـيـة، غـيـرة وشـكـاكـة،
سـأـلتك: وـلـمـاـذا تـحـبـي؟
الشـكـوـرـي لـله، أـحبـك!
قلت لـك مـسـتـفـزا: عـزيزـاً، ما رأـيـك فـي أـن تـعـرـفـي عـلـى شـقـيق
سامـثـا لـتـرـتاح مـنـي!
رفعت حاـجـيـبـك وـصـحـت: أـلـيـخـانـدـرو؟
اسـمـه أـلـيـخـانـدـرو،!... لا بـأـس،!... عـرـفـي عـلـيـاً!
بـنت،! عـيـب عـليك.
أليـس بـد،! عـيـب عـليك،! أـيـضاً،!
لا، أنا رـجـل،
لا فـرـق بـين رـجـل وامرأة في هـذه الأـمـور يـا عـزيزـاً
اتـكـات عـلـى الـطـاـوـلـة واقـتـرـبـت مـنـي: بلـى!.. هـناـك فـرـق، فـرـق
شـاسـع يـا حـلـوـتو،! بـإـمـكـانـي أـن أـحـبـك! وـأـن أـقـيم عـشـرات العـلاـقـات
مع غـيرك لـأـنـي رـجل، لـكـنـ لا تـسـطـيـعـين فـعـل ذـلـك لأـنـك فـتـاة،
قلت لـك بـتـحـيـة: أـنت مـسـكـين إن كنت تـؤمن بـأنـه يـحـق لـلرـجـل.
ما لا يحقق للمرأة.. الخيانة خيانة سواء أكان الخائن رجلاً أو كانت امرأة.. بل أنت المسكينة أن كنت تظنين بأنهما سواء في مثل هذه الأمور!.. على أي حال سألت لك نظريتي بمشيئة الله.. يا سلام!.. وكيف ستثبتها.. أستحب غيري؟ لا..! سأتزوجك يا ببي، سأتزوجك وسأزوج عليك ثلاث نساء!.. كل امرأة منهن أجمل من الأخرى.. ومن سيسمح لك بأن تزوج عليّ؟.. الشرع والقانون وأنا.. أظن بأن امرأة مثلي تستمر مع زوج يتزوج عليها؟ في العادة لا تستمر امرأة مثلك مع رجل يتزوج عليها لكن في حالتنا هذه ستستمرين معي.. يحدث هذا في أحلامك فقط يا حبيبي.. قلت وأنت تلمس طرف أنفي بسبايكته محارلاً استفزازي: ستستمرين رغمًا عن أنفك الجميل هذا.. أبعدت يدك عن وجهي بقوة، قلت وأنت تضحك: لما أنت غاضبة؟.. ستكونين زوجتي الأولى.. الغالية..! ارتفع صوت هيفاء خلفي فجأة فأنزعنا: لا يكون ماد إيه على هذا..! قلت أنت: بسم الله.. من أين جاءت هذه؟.. قالت وهي تسحب مقعدًا لجلس معنا: هبطت من السماء!.. أجيها: لا أعتقد.. فملك يخرج من تحت الأرض يا هيفاء.. سألهنها وأنا أjabك: هفوه!.. كيف كانت المحاضرة؟.. ممتعة!.. هل جئت في وقت غير مناسب؟.. قلت لها: أنت هيفاء!.. أسمعت في الأغاني عن العذول؟
قالت باستفراز: لا.
أجنبتي: لا بد من أنك سمعت عنهم يا هيفاء... حاولي أن تذكري!

قالت بعناد: لا... لم أسمع بهم!... ماذآ عنهم؟
قلت وانتشرت قهوتك: أبداً... سلامتك.
قلت لها مشتككة: هفوش!.. عبد العزيز سيتزوج علی.
قالت هيفاء: ماهما الله!... ستتزوج عليها قبل أن تنزوج منها؟
قلت: وما دخلت هيفاء؟... أمها أنت?...
وهل تظن بأنك سأتزوج يوماً ابتني?...
قلت: وهل تظنين بأنك سأتزوج يوماً امرأة آنت أمها؟...
كنت أضحك عليك كما كثيراً، لأدرى كيف لم أشعر بالغيرة يوماً من هيفاء عليك... كانت هيفاء تجلس معنا دوماً وتخرج برفقتنا كثيراً ولم أخش منها أبداً... على الرغم من أنني امرأة شبه مجنونة وأغار عليك من طيف امرأة!
كنا في بيت باتني وروبرت، حينما تشاجروا بسبب غيرتي (غير المحتملة برأيك)!... قلت لي يوم ذاك وأنت تصرخ: أنت مجنونة!
تغيرين من خيالك عليه!
صحت فيك: هذا غير صحيح، لو كنت كذلك لما اصطحبت هيفاء معنا إلى كل مكان... لو كنت مجنونة إلى هذا الحد لما جعلتها تتابعك وتجلس وتخرج معك.
قلت وعروق رقيتك تكاد أن تنفجر: وهل تعدد هيفاء امرأة؟؟
صرخت من دون أن أشعر: معك حق!... هيفاء (أرجلُ) منك ألف مرة!...
اذكر كيف أحمرت عيناك كمارد غاضب، كيف تضخم كل ما
فيك حتى شعرت بقلمتي تتضاءل من شدة الخوف أمام ضخامتك، قدنت ولاعتك على الأرض وصرخت بصوت مبجوج من شدة الصراخ: تزوجها إذا! هرعت إلي باتي ما أن سمعت صوت ارتطام الباب عند خروجك: جمانة ما الذي حدث؟ قلت لها وانا أبكي من شدة الغضب: إنه لا يفهم! هذا الرجل لا يفهم!... سحيقي من يدي وأجلسني: جمانة.. لا بأس...! أنا متفهمة لغضب عزيز...
لكنه يغضب من كل وأي شيء يا باتي... قالت لي وهي تبحلق في وجهي من خلف زجاج نظارتها السميكة: جمانة!! أنا أتفهم عاداتكم وأحترم محرمات دينكم... لكن الجنس من أقوى ركائز الحب يا جمانة... قلت لها بخصوصية: باتي أرجوك!!... لا تخلطي الأمور ببعضها... لا شأن لهذا بخلافنا...
قالت وهي تمسح على ظهري: جمانة!! أنا امرأة طاعة بالسن ومررت بتجارب جعلتنى أفهم رغبات الرجال... جمانة.. لا تتصدقي بأن رجلاً عاشقاً لا يرغب بامرأته التي يراها أمامه في كل يوم... حتى وإن كان دينكم يمنعكم من هذا.. لا تخيلي ألا يكون عزيز بحاجة لأن يستمتع بك!...
قلت لها: باتي ما الذي تسعي لقوله؟ قالت: أن تتفهمي غضبي!! ان تقدر تنازله عن أمور أساسية من أجل حبه لك...
دخلت حينها عينين صارمين.. نهرت باتي ما أن أغلقت الباب: عزيز!! كدت أن تكسر الباب قبل قليل!!
قلت وأنت تشير بيدك إلي: سأكسره في المرة القادمة على رأسها!

قامت وهي تنتمي مبتسمة: يا لكم من سخيفين!
جلست أمامي. قلت وأنت تعبث بمفاتيح السيارة: لو كنت
أعلم أنك ما زلت هنا لما عدت!
لم أكن بانتظارك، بقية لاتتحدث مع باتي...
فيما كيفنا نتحدثان...؟
في أمور...
ألا تعرف هذه الأمور باسم...؟
بلى!! أمور مخلة...
رفعت حاجبتك بدهشة: أمور "قليلة أدب"...؟
شيء من هذا القبيل...
السيدة باتي!.. كنت متأكدًا من أنها قليلة أدب.. لا تجلس...
معها أبدا... تفهمين...؟
أنت من تركني لوحدي معها...
نظرت إلي طولا وابتسمت بروقة، أشرت بيدك: تعاليا!! قبلي...
رأسى وقولي "أنا آسف" يا حبيبي...
أشرت بأصبعي أمام وجهك رافضة...
قلت: تعاليا قبل أن تتلمسني الجنية فاغضب وأكسر إصبعك...
الجميل هذا لا صنع منه ميدالية أعلقها على مرآة سيارتي!!
طيت لك قبلا في الهواء.. قلت لي بسخرية: هذي وين
أصرفها...؟
قمت وقبلت جبينك واعتذرت، من يرى وجهك حينذاك لا
يصدق بأنه الرجل نفسه الذي كان يقلع الباب من الجدار قبل
دقائق!!..
قلت: اسمي... 'تعوذي' من إبليس وابدعي عنك الأفكار السوداء. أنت في حياتي مصيبة، مصيبة واحدة تكفيني. لست بمجنون لأجل لحيتي مصيبة أخرى!

قلت لك بتعاذ: لكنك تحب المصائب...
قلت بنغز صغير: لقد كرهتني بكل ما هو منته.. أرجوك ارحميني...! لا تخسرني بشكوكك يا جمان...
لا باس يا عزيز. سأحاول أن أكون أكثر هدوءاً...
أشرت بسبابتك مهداً: هناك أمر آخر. هذه آخر مرة أسمح لك فيها أن تهيني رجولتي...
لم أكن أقصى. كنت غاضبة.
ابتهى يا جمانه. لن أسمح لك بجرح رجولتي مرة أخرى حتى وإن كنت غاضبة. أفهمات؟
أجتبت يخوف: فهمت.
صمت قليلاً وابتسمت: بالمناسبة. أكان في حديثك وباتي أمر يخص رجولتي؟!
كيف عرفت؟!

ضحكت: باتي الفتاتاً!.. اسمي.. أعرف عن أي أمر تتحدثما، سبق وأنا تحدثت معك في الموضوع ذاته. دعك منها، لا تجعلي حديثها يقلقك.

إلهي يا عزيزاً... كم كنت رقياً حينذاك، كان في رفك صخب رجولة أغرى سكون أنوثتي.. شعرت حينها بأن قلبي يخفق بقوة حتى تهوي لي سماع نبضاتك تدوي كفرع الطلول. تشعرني أحياناً وكأنني يمامية ببلاء تحيطها بكفيف القويين، تقذفها عاليًاً لتحلق في
السماء وقُلَّبها يخفق من السعادة والحب وحرية.. لا أعرف كيف تذفني بكلمة أو كلمتين إلى أبعد سماء يا عزيز.. لكني أعرف كيف توصلني لنشوة التحليق!.. إلهي يا عزيز.. ما ألقها من نشوة!..

***

يحفظ والدي المتحضر/البدوي بالكثير من طباع الدو التي أحبُ بعضاً منها وأكره بعضها الآخر!.. يشع الحادي الصقور، يربي الخيل ويصطاد الغزال في رحلتي صيد يخرج إليهما في كل عام.. من سوء حظ والدي أن لا يشترك معه أي من شقيقتي بهوياته تلك، على العكس مني أنا التي أذوب حبا بالخيل منذ نعومة أظفارتي.. كنت أرقب والدي وهو يقطع المضمار بخيله كفارس عربي من عهد قدام.. يجتاز حاجزا ويحلق فوق حاجز وروحي تحلق معه بولع ويرغبة كنت أدرك بأنها لن تتحقق يوما!.. منعني نقص فيتامين دال (الوراثي) من أن أصبح (فارسة) كوالدي.. فعادت منذ الطفولة من نقص خطير فيتامين دال، جعل نسبة احتمال أن ينكسر أي شيء في جسدي عالية.. خاصة أنني لا أتناول الدواء حتى يوما هذا، وذلك لعدم قدرتي على بلع حبوب وكيسولات الدواء.. ولا أعرف كيف يتمكن الناس من اكتلاج جسم صلب كهذا من دون مضغ!..

كنت أرجو والدي في كل مرة ننزل فيها إلى المزرعة بأن يسمح لي بركوب الخيل، لكن رغبي تلك لم يقابله سوى رفض أب حريص وأم خائفة.. كانت حيرة الأطباء كبيرة في صغيري لأنّ نقص الفيتامين كان بمستويات لافته.. وعلى الرغم من هذا لم أتعرض إلى أي كسور أبدا!.. أذكر بأن طبيبا قد قال لوالدي بعد
إجرائي لبعض التحاليل الدورية: (سيدتي إما أن التحاليل خاطئة وإما أن انتهتك هادئة كملاك.. من النادر أن لا تكسر فتاة تتفز وتلعب بحالتها هذه). والحق بأنني نشأت طفلة صامتة كنت أقضي يومي بين الدمى بعيداً عن ضجيج ولدين يكبرانني بسنوات، ولدين لا بروق لي صخب وعنف ألعابهما ولا يروق لهما برود وهدوه ألعابي...

ولدت في جيل من الأولاد، كان هناك جيش من أبناء عموتي وقد كنت الفتاة الأولى في فريق كرة القدم ذاك! مجموعة كبيرة من الأولاد يكبرونني بعام ويصغروني بآخر.. وقد كنت الينت الوحيدة قبل أن تولد شقيقتي في بالإضافة إلى فريق كرة أخرى للإناث جاء من بعيد وزاد من رصيد فتيات العائلة!..

أذكر كيف كان يتشاجر أبناء عموتي من أجل اللعب معي وكيف كنت أنظر إليهم باستياء الفتاة الوحيدة الممثلة.. أتذكر الرسائل والصور التي أحضرتها لك معي بعد زيارتي الأخيرة لسرياس يا عزيزة.. قرأت لك العشرات من رسائل الحب الطفولية المرسلة من قبل فتيات العائلة.. الحق يقال بأنهم كانوا "مظمرين" على حبي، حيث لم يكن هناك من فتاة غيري وقتناك.. لكني غفلت عن ذلك هذه النقطة لك، أو فلنقل بأنني فضلت أن أتجاهل ذكرها لغرض أنتوي في نفسي!.. قرأتها حينذاك وقلت: وعج!

لم تكن سوى مجرد أطفال..

التفت إلي وقلت بغيزة: كنت أطفالاً، كنتي هو فعل يحمل دلالة من الماضي!.. أصبحت الآن امرأة وأصبحوا رجالاً.. أصبحت وأصبحوا هما فعلان يحملان دلالات من المستقبل..
قلت لك ضاحكة: لا تقلق يا حبيبي.. لن يفكر رجل من عائلتي بأمرأة متمردة تقيم لوحدها في الغربة.
قلت لي: وما أدراك؟!.. قد يفعل أحدهم.. عزيز لا تخف، أعرف كيف يفكر شباب العائلة!.. لن يرغب بي أحد.. ولا يهم إن رغب بي أحدهم، المهم هو بمن أرغب أنا!..
قلت وفي عينيك جدل: وبن ترغبين أنت؟.. سألك مبتسما: قل لي أولاً: بمن ترغب أنت؟.. أرغب بك!!.. أرغب بك أنت.. أرغب بأن تنجبني لي طفلة جميلة تشبهك.. يكتب لها أبناء أخوتي وأخواتك رسائل حب فأصلبهم على باب بيتك عبارة لمن لا يعتبر.
قلت وأنا أضحك: حرام!
قلت: أنا رجل لا يرضى بأن يغزل ابنته أحد.. ماظا عن الأولاد؟!.. أولادنا؟.. أتقصدين أبناءك الشباب؟!.. أمم أولادنا فاسدون إذن الله!.. سيعتون في الأرض فساداً!
وضعت يدي لأمتنيك من الحديث وأنا أستغفر الله.. وأنت تضحك.
أبعتت يدي عن فمك وقلت: ما بالك!!.. ما المانع في أن يعيش أبنائي حياتهم بحرية؟!!.. دعيمهم يتمتعون قبل أن يأتي يوم يتعرف كل واحد فيهم على امرأة جميلة، تتقمع.. تسجعه و"تطىين عشيته" كما تفعلين معي الآن. حاولت وقصدت أن أنجحيل حديثك لأنني كنت أدرك بأنك ستحاول استفزازى أكثر فأعطتك صوري التي طلبتها.. كنت قد طلبت مني بعضاً من صور طفولي لتطمن على "إنثاجنا" على حد
قولي.. كانت أغلب صور أعياد ميلادي في مخيمات العائلة أو في المزرعة.. حتى أنك أستميتني ووالدي يوم ذاك (وضحي وابن عجلان).

كنت مستغرباً من أن تقام حفلة عيد ميلاد في صحرا، وأن يكون كيك العيد خروفًا ينحر.. كنت تضحك كثيراً على تناقض عائلتتنا المتحضرعة البدوية، البدوية المتحضرعة.. كانت أغلب صور طفولتي مع والدي، والدي الذي يفقير بي أكثر مما يفقير بشقيقي، يختار والدي في كل مرة أدخل فيها إلى مجلسه بحضور أعمالي، وهو يرحب بـ (المها) التي جاءت.. في عيد ميلادي التاسع عشر.. أهدياني والدي طاووساً، يأخذني أبي لرؤيته في كل مرة أعود فيها إلى الوطن ليذكرني بأن امرأة مثلي لا بد من أن تحيا كالطاووس.. أذكر كيف كان والدي ينشر أخوتي الكبير عندما كانوا يأمرونني بأي شيء في صغرى..

تذكر اليوم الذي أجلسني فيه في حضنه وأنا طفلة وقال: جمانة!.. اسمع الذي سأقوله لك ولا تنسيه أبداً.. جمانة لا تقบلي بأن يامررك أحداً!.. لا تحنيي رأسك لمخلوق على وجه الأرض.. أنت فتاة طويلة العنق وطولية العنق تحيا شامخة.. لا تنسي أبداً من أنت وتذكرني أنك بالنسبة إلي، سيدة قومك..

أعرف يا عزيز.. أنتفاض أحياناً حينما يخطر في بالي احتمال أن يعرف والدي بتفاصيل ما بنيتنا، بل إمكانية أن يعلم بما تفعله بي.. فكرت كثيراً في كيفية أن يرضي والدي على أن يزوج ابنته الشامخة سيدة قومها (برأيه!) لرجل لا يجيد في حياته أمرًا كاذاللها.. كيف يقبل والدي بك يا عزيز؟!.. كيف يعطيك الملكة لتسحق جلالتها؟!

157
في إحدى زياراتي إلى الرياض حدثني أبي عن خاطب جاء
على وصف واسم وسومة (عائلة)!
قال لي والدي حينذاك: جمانة.. أنا لا أعطي (المها) لأي
أحد.. ابنتي التي أحبّت الشامخة، طويلة العنق لا يتزوجها أي
رجل ..
حدثتك ليلتها عمّا جرى بسعادة وفخر، صمت قليلًا وقتل
بإحاطة: أفأ!..
سألتك بدهشة: ما الأمر؟
يبدو أن والدك سيتعيني معه.
كررت عليك الجملة التي لطالما كرتها عليك في كل مرة
يطرح فيه موضوعنا ذاك، قلت: أنت تحال وصير خير.
قلت بعد تفكير: أندرين يا جمان.. حينما أجلس مع أمي.
أشعر أحيانًا برغبة ملحة في أن أخبرها عنك، أن أصفك لها.. أن
أسمعها صوتك، أن أغرز بك حتى تغضب وتنهرني قائلة: عبد
العزيز أنت قليل جياء!.. كنتي لا أعرف لماذا أخف فلا أفعل.
قلت لك بعنداد: أنا أعرف!
سألتي بصبرة وكأنك تعرف الإجابة مسبقاً: لماذا يا عفرية؟
لأنك لا تجني!
صحة محترماً: جمانة!
سكتت خوفًا من غضبك ومن أن تلبسك الجنية على حد
قولك..
وطيف أبي يتراءى أمامي.. متحسراً على شموخ وكبرياء ابنته
الحبينة، المها.. الشامخة، سيدة قومها.. طويلة العنق..
أذكر الآن ما كنت تفعله بي يا عزيز، فنصيحي الحيرة!...
لطالما حاولت أن توصلني إلى ذروة الغضب والقهوة والحزن...
لتأتي وتعلق حزني وقهري وغضبى وكأنك تستمع بتطبيقات جراحى
بعد أن تحققها... تبكيين دوماً لتمسح دموي برقة وحنان بالغين،
تستمع بإذلالى... لتلتنى وكأن الله لم يخلق في الدنيا امرأة غيبر،
تدهشني ساديةك يا عزيز. يدهشني فيك اغتصاب كل ما ترغب
بالحصول عليه مني وكأنك لا تجد في الحصول عليه طواعية أي
لذة أو متعة! لا تتلذذ بشيء كما تتلذذ باغتصاب كل شيء يا
عزيز. مريضان! نحن مريضان. مريض أنت لأنك تهوى تعذيبى،
ومريضة أنا لأني أُعذب بك إياى وكأني مجبرة، مريض أنت
بسانيدك ومريضة أنا بمازوشيتي. فكيف يعاقب القدر المريض
بمرض آخر وكأنه لا يتكفى. وكأنه بحاجة إلى علة أخرى...
لقد كنا مدمنين يا عزيز. أدمنتا ماناكة بعضنا بعضنا فيلم نصل
إلى أي نتيجة. كنا مشرين للشفقة، لكننا لم نشفق على بعضنا
وظلنا نمارس طفوة الإدمان على الرغم من كرهنا له وتدميره لنا
وتعذيبه إياك! لم أكن سيئة إلى هذه الدرجة يا عزيز. لست بسيئة
لدرجة أن أستحق رجلاً مثلك فلماذا ابتنت بك يا عزيز. لماذا
ابنت بك؟ لماذا ابتنت برجل يدمن إغراضي! لا أفهم لماذا
تشتاق لإغراضي. أذكر بانتا قد تشارنا مرة حول سلوكي! قلت
لي: اصبري. سيديني الله يوماً...
قلت فيك: متي؟! متي سيديك الله...؟
قلت وعرق الغضب يكاد أن ينفجر في جبينك: وما أدرائي
أنا؟! لماذا أحببتني إن كنت غير قادرة على تحمل؟
لو كنت أدرى أنك بهذه النذالة لما أحبتك، لكنني للاسف لا
أعلم (البغ)....
بيغ! تعلمي كيف تتكلمين أولاً؟
أنت من سيموني الكلام؟؟
وضعتي يديك حول وسطك وقالت: لماذا أشعر بأنك لن أتذكرني معك إلا بعدما أخذ ييدي لمعاقتك؟
صرخت فيك: أنتِ بديك على امرأة يا قوي؟؟! أندري! في كل يوم أكتشف فيك ما (يمعاني).
رفعت راحة يدك في وجهي قائلة: لحظة لحظة!.. يصعبني من الصعبة أو من الصعب.
كانت ملامحك في منتهى الجدية.. و كنت أنا في نوبة غضب حادة، دائماً أتعلم وتختلط حروف وتصدعها ببعضها ببعضاً في نوبات الغضب تلك، وهذا ما ينهي حوارنا دائماً بعكس ما ابتدآناه.
ضحكت بقهر: لماذا تصر على قهر؟.. قلت: لا رغبة لي بقهرك.. لكني أحتاج إلى مترجم لأنهم ما تقولينه لي.. كيف أرد عليك إن لم أفهم ما تقولينه؟؟.. هااااااااااااااااج.. كيف؟
تذكر أنني أنهرت على الأريكة وأنا أضحك، استندت إلى الأريكة وأنت تتأملني مبتسماً.
قلت: عبد العزيز حرام عليك..!.. ارحم عقلي وأعصامي..
أقسم بأنني سأجن..!..
قلت بسخرية: لا تقسي بشيء وأنتم لا تعليمين البيغ.
ليست إلا غلطة لفظية.. فلا تقلني بسبيها..
سألتني وأنت تسح على شعري: زعلانة؟؟.. إيم..
أنت عصبة؟؟..
أجبت باضطراب: لا..
طيب، أنت حلوة؟
رغمًا عنك...
قلت مستفزًا: طيب لا تبكي!
ضحكت قنها: أنت مريض على فكرة...
حسنًا أنا مريض، المهم أن توقفي عن البكاء!
صراخت في وجهك: أتراني أبكي؟
أجبتني بسلاسة: المهم، لا تبكي...
أذكر أنني رجعت رأسي إلى الوراء، غليت وجهي بدمي وأخذت أبكي من القهر، شعرت بك وقد جلست بجواري وأنت تضحكت بصوت مرتفع، حاولت أن تضع بك على شعري لكنني أبعدتها بقوة وأنا أشقها...
قلت وأنت تضحكت: أنا آسف يا، لن أمزح معك بعد اليوم...
أنت مريض!
هيزت بكنت فيك ببراءة وقلت: أيش أسوي!.. أحبّ شكلك وأنت معصبة!...
مسحت دمي وانت تسّر بك على شعري: عندما تغضب الـ
"بيبي" تصبح كالإعصار!...
التفت نحوك ورتمتك بنظرة غضب، فانفجرت ضحكًا: خلاص يا بيبي خلاص، أمزح معك.. لا تعصب يا كيكوت يا شرس!...
رأيت في عينيك يومها سادية مخيفة!.. نظرة أعرفها وأكرهها وأخشواها.. نظرة ترمتي بها بين الحين والآخر.. في حالات لا تقدر فيها على أن تكبح جماع سادتك...
ما زلت أذكر النهج الذي كدت فيه أن تكسر ذراعي
"عمادا"!.. انحنيت لالتفلق القلم، رأيت في عينيك الغضب حينما اعتدت، سحبتني من ذراعي وأنت تضغط بقوة من يريد إدئالي!..
قلت لك وأن أحاول سحب ذراعي من بين أصابعك الفولاذية: ما الذي فعلته؟! ستكسر ذراعي يا عزيز!.. قربت وجهك من وجهي وقتلت وأنت تخسر على أسانك: لا تنحنى أبداً كما فعلت للتو.. أتعرفيين كم من رجل تمكّن من رؤية أسفل ظهرك حينما اكتشف؟.. قلت لك وأن أحاول تخليص ذراعي: لم أشعر بهذا!.. لأنك غيره!.. قلت لك مهدها: صدقني إن انكسرت ذراعي بيدك لن يحميك من شقيقي أحد.. أخذت تضغط بقوة معانداً: حقاً.. ما رأيك أن نجري.. فلن أذكر ما سيفعله أخوتك الذين تهدئتي بهم!.. كنت أحاول سحب بدي من بين أصابعك وكأنها قد التهمت بها، دعت عيناي من شدة الألم لكنك لم تتراجع.. صرخت فيك من بين دموعي: يكفي!.. قلت بإبتسامة: قوللي، سأتوبي!.. صحت فيك: أنر..!.. أبعد عني.. قلت وانت تضغط أكثر: قوللي لن أهدئك بشقيقي.. ردت ورآه ما قلت، فأفلت ذراعي مبتسماً.. غضبت منك كثيراً وقنتذاك.. تركتك خلفي وهربت إلى سيارتي.. بررت لي قسوتك بعد ذلك بأنها لم تكن سوى مزحة رجولية عنيفة.. لكنني رأيت في عينيك متعة إينانك إياي!.. قلت لي مرة: تطلبين مني أن أبقى بجوارك طوال الوقت وأنت لا تتقبلين طريقة لعبي ومزحية.. أجبتك: لا بأس في أن نلعب معاً، لكن لا بد من أن تفرق بين رجل وامرأة يا عزيز.. أنا فتاة، ليست بزياد ولا بمحمد..
قلت: أنت من تدعين هذا...! لطالما قلت لي بأنك صديقتي قبل أن تكوني حبيبيتي... وبأنه لا بد من أن أتعاملك على هذا الأساس... ألعب وأمزج مع أصدقائي بهذه الطريقة يا جمان...!...
فلما الغضب؟... صحت فيك: لكني لست أحد (الشباب)... كما أنه طلبت منك أن تتعاملني كصديقة لتصارحني بما يجري معك لا لأن تهشمني!...
قلت بببخت: جميل، لا تحاولي خداعي بذكائكم!... إما أن أتعاملك كحبيبيتي فقط بما فيها من مميزات... وإما أن أتعاملك كحبيبيتي وصديقتي فنتقبلين مزحك مهما كان عنيفاً، اختاري الآن)... واخترُ بوما أن تحمل الألم... وأن أظل الحبيبة/ الصديقة على الرغم من الكوارث التي كنت أدرك بأنها ستلحق بجسدي ثمنًا لصداقتك رجل عنيف مثلك... بعدا بببخت، كنت معاً... كنت تحاول كتابة مقالتك الأسبوعية وأنت تدخن (النارجيلة)... جلست أمامك بضجر متظترنت أن تنتهي مقالتك فتتصور لي بعضاً من وقتك...
قلت لك: عزيز...! ألمست بحبيبتك؟...
أجبتي وأنت تكتب ومن دون أن تنظر إلي: بلع... ألمست بصديقتك؟
قلت من دون أن ترفع رأسك: جميلان!.. فولي ما عندك بلا مقدمات...
قلت لك بببخت: عزيز...! أتعرف بأنني لم أدخن يوماً النارجيلة على الرغم من أنك وهيفاء تدخنها...
رفعت رأسك ونظرت إلي قائلاً بدهشة: أكملني...
قلت بخوف: لا شيء...
اعتدلت بجلستك، ورميت خرطوم النارجيلة فوق الطاولة.
وقلت: خذني...
ماذا أفعل بها؟
هزت كتفك وقالت ببساطة: دخني!
سأّلت: حقًا...
حقًا...
سأّلت: ألن تغضب؟
قلت: لا، لن أغضب! سأطفئ جمرة في راحة يدك الناعمة لأحدث فيها ثقبًا صغيرًا تذكرتين من خلاله اليوم الذي دخنت فيه النارجيلة لأول مرة!...
عزيزي! ألا تلاحظ بأنك دائماً تهددني بأنك ستحرق بيدي، وتكسر إصبعي... وتنزع شعري؟
سأّلتني: وماذا في هذا؟ فيه الكثير!.. تشعرني دوماً بأننا في أحد مشاهد (صمت الحملان).
أشرت إلى بيدك لأسكت، خلاص!.. أحتاج إلى صمتك لأكمل مقالتي.
قلت لك بسخريّة: أنتذهب؟
رفعت الملعقة في وجهي وقالت: أتصمّمت أم أقطع عينيك بهذه الملعقة وأقلبهما على نار شمعة؟
غرقت في نوبة ضحك.. وأنا أتاملك، أنا مجمل سفاحي الوسيم بحب ورغبة.. على الرغم من سادتيك.. وقوسيك!...

***
أهلاً زياد!! صباح الخير...
كيف حالك الآن؟
الحمد لله...

Do you feel better now?

أفضل بكثير...
أتقبلين دعوتي على الإفطار أنت وهيفاء؟
سألته بخوف: لماذا؟!! ما الأمر؟؟
وهل أحتاج لأسباب تدفعني لدعوة زميلتي؟
أجبته بخشية: لا، لكنني متعبة الآن.. قد نلتقي في يوم آخر يا زياد...

جباتا.. لا تنتصلي!! سأنتظركما في المقهى بعد ساعة.. أرجو أن تحضران.. سأكون بالانتظار...
أغلقت مع زياد وركضت إلى غرفة هيفاء لأطلب منها أن تتصل بزياد لتغتنثر عن الدعوة وهكذا لا نذهب...
كانت هيفاء مستعدة للخروج، قالت لي ما أن رأتني: جمون!
ألم ترتدتي ملابسك بعد؟
إلى أين؟؟
سنفطر مع زياد.. ألم يتصل بك؟؟
بلإ!! لكنني لم أتوقع أن تقبلين الدعوة!!
ولما أرفض..!! هذا زياد السوفاء.. الله خلق وفرق!!
هيفاء!!
البسي بسرعة، ستتأخر...
في الطريق، قلت لها: هفوش!! سباحان اللي مهديك على زياد.. لا يكون تحثيه..
قالت: لا حبيبي أنا ما أحبّ سعوديّ!
ليس هفوف؟ خليجنا واحد...
خليجنا واحد وعزيزنا واحد...
توك في البيت تقولين لي عن زياد الله خلق وفرق!...
يبه أكذب عليك! لا يكون منعوا الكذب بهالديره؟
استرسلت وهي تركن السيارة أمام المقهى: عيوني أنا مقتنعة
أن كل الرجال بالحبّ عزوز.. على وزن كنّا بالهم شرق!
دخلنا المقهى وأنا أضحك، كان زياد يجلس إلى الطاولة التي
اعتدنا أن نجلس إليها.. وقف مبتسماً ما أن رأنا، صافحتنا بحرية
لم أعتقد من زياد الطبيب الخجول الذي لم يتواصل معي بصريّاً
طوال الأربع سنوات لأكثر من دقيقة من شدة خجله.. مّد إلىّ
كتاب ما أن جلستنا.. قال: اتفقنا أنا وهيفاء على أن يهدّيك كل
واحد منا كتاباً، اختترت لك هذا الكتاب من أجل حياتك الحديثة
ومن أجل حب جديد أنا على يقين من أنك ستصادفته يوماً.. اسم
الكتاب.. The book of love answers!.. تقليبي
صفحاته من دون أن تنظري إليها حينما تكونين في حيرة من أمرك
بشأن أي سؤال عاطفي يدور في خلدك!.. وأن تقفي عند إحدى
الصفحات حينما تشعرين بأنك تستمرين في تلك الصفحة...
ستُجنّين في كل صفحة من صفحات الكتاب جملة قد تلهمك...
أخذهت بيد ترتعش من شدة الارتباك: كم أنت لطيف يا زياد!...
شكرًا جزيلاً.. أحبّت فكرته!
قالت: نيفاء: أنا أيضاً أحضرت لك كتاباً، أعطتني كتاباً
بعنوان: A hundred ways to destroy men
الكتاب لكي تتجنبي أخطاء الماضي!
أنفجّر زياد ضحكاً حتى أخذت عيناه تدمعان من شدة
الحبكة أكثر منا يدغى

الضحك.. قال: يا الله!.. لا أعرف كيف أصبحت صديقتين!.. أنتما مختلفتان للغاية.

قالت هيفاء: وهل تشباه أنت وعوز؟.. لم نحضر إلى No, we aren't!.. anyway.

نظر إلي زيد وابتسم: هنا نتحدث عن عبد العزيز!.. حضرنا هنا لنتخفي بحياة جمال...

الجديدة.. أليس كذلك يا جمانة؟.. أجبته مبتسمة: بلى.

قال: هيا.. فلتخرجني كتابي.. رددي في نفسك أي سؤال تحيرك الإجابة عليه.. وقلبي صفحات الكتاب.. لا تتوقف حتى تشعر

بأنك ستجدين الإجابة في تلك الصفحة.

قالت هيفاء: لا بد من أن تخبرتي عن السؤال.

قال زيد: جمانة دعك منها، فقط أفرح لنا الإجابة.

أغلقت عيني.. وأخذت أقلب صفحات الكتاب كثيراً.. توقفت عندما سمعت صوت هيفاء.. وهي تبكي: جمانة شنو قاعدة

شعودين!.. يا عادا!

it will harder than you thought

رفعت الكتاب في وجه زيد وقالت: لم أقل شيئاً يا زيد,

الكتب القائل هذه المرة.. سحب زيد الكتاب من يدي، انسي موضوع الكتاب.. اعتبري

كتاب هيفاء هدية منا نحن الاثنين..

قالت هيفاء: ضحك زيد: هيفاء أوجك!.. لا تردد في اسمه!.. ضحكته مع زيد وصدقى سؤالي ما زال يتردد في رأسى!.. هل أنتي منك؟..؟

A hundred ways to destroy men
it will harder than i thought!

أصعب بكثير...

***

كنا نستمع لـ Roxette في طريق العودة إلى البيت... كل الأقراص الغنائية في سيارتي وفي البيت وفي سيارة هيفاء. اختبرناها أنت وآنا، اشتريناها معاً يا عزيز.. كان من المفترض ومن المطلوب ألا أفكر بك .. وكيف لا أفعل يا عزيز فانأ لا أفهم كيف يطلبون متي هذا.. لا أفهم كيف يتوقعون متي ألا أفعل، لا يدرك زيايد ولا تدرك هيفاء. بانتنا تعابينا لدرجة أنتنا لا نتمكن من أن نتفصل.. مضحكة أنت لأنتي أتحدث (عنا) بصفتنا (نحن)! على الرغم من أنك فضلت أن تكون (معها).. لا (معي)!.. فضلت أن تكونوا (انتي) على أن تكون (نحن)...

It must have been love, but it's over now
It must have been good, but I lost it somehow
It must have been love, but it's over now
From the moment we touched till the time had run out

نحن نحبها، نحب هذه الأغنية ونحب ذلك المقهى... ونحب أن تكون معاً على الرغم من شجارنا.. كنا في الحب.. لكنه انتهى!!! أضعبنا بطريقة ما.. كما في أغنية الموجعة.. قلت لي مرة Roxette بأن حبنا ورغبنا ببعضنا بعضاً لا يكفيان إن لم نتفق! لكنني لم أؤمن بذلك البتة.. كنت على يقين بأن حبنا يكفي و بأن رغبنا
لحبتي أكثر منا ببنغالي.

تكفي، تكافئي لأن تكون معاً وأن نعيش بسعادة. لكنهما لم يكونا مقتنعين بالنظرية إليه. كنت تطمع بال.Mon نجح في الحريتك كأنك (أضحخ!!) بكثير من احتجاجك إلى الرب. بينما كنت على استعداد لأن أتخلي عن كل شيء لأكون معك. لأن أتنازل عن كل شيء فقط لأصبح لك ولتصبح لي. لا تعرف هيفاء ولا يعرف قيض بأنك من اختياري لهذه الكتيبة وبأنك من اتبع لي هذا (الجينز).

(الدبلي) التي تتقلل من السلسلة على عنقي هي دبلي خطوبتي المؤجلة. أتذكر! أتذكر اليوم الذي اشترتنا فيه الدبلتين!! أتذكر ذلك كدبلي وocrat لي دبليتي. علقناهما بسلستين من الذهب الأبيض، لحين ما يأتي يوم أزين بدبليك إصبعي. وترضين إصبعك بالدبلي التي اخترتها لك. عندما كنا في المستشفى ورفعت يدك لتقلب بدي. رأيت في أصبعك دبليتي، الدبلي التي اخترتها والتي اشترتنا معاً. فكرت وقتذاك بأي سافل هذا الذي يتزوج بدبلي اختارته له حبيبتي السابقة؟!! أي رجل هذا الذي يخون زوجته منذ لحظة زواجهما الأولى! لم تكن وفاً لي في علاقتنا با عزيز، وأدرك بأنك لن تصبح وفاً لها في زواجكما!! مؤمنة أنا بذلك أكثر من أي شيء!...

قمت بتشغيل (كمبيوتر) المحمول عندما وصلت إلى البيت. كنت أرجو أن تخونها، أن ترسل إليّ بأي شيء. أن تكتب أي شيء، أي شيء يبنيتي بأن ما بيننا مستمر وابنأس لن ننتهي. لم أكن على استعداد يا عزيز لأن ننتهي. لا أفكر بكما معاً. لا قدرة لي على أن أفكر بكما كزوج وزوجة! في داخللي إنكار حاد للحدث وللمصورة، في داخللي وقع عظيم. في أعمامي قهر وحزن وخوف. شعرت وقتذاك بأنك جرحتيتي وبأن جرحني كبير وبأن...
لهني لم أتمكن من أن أشعر بالألم خذلانك لي، وتركك إياي وزواجك منها في كل لحظة أحاول أن أصل إلى تلك الصورة.. صورتكما معاً. يتلائشى كل شيء ويتشتت ذنبي وكان عقلي يتأمل أن يرسم الصورة!.. متمسكة أنا بفكرة أن يكون في الأمر خطاً، سوء فهم، ليس.. أي شيء. جداً أن يكون الأمر حقٌّاً وأن يكون أمرنا قد انتهى. أرفض أن أصدق بأنك ستكون معها هي، لا أن تكون معي أنا. لم أكن على استعداد لأن أخرك يا عزيز، ليس بعد كل ما جرى بيننا!.. كنت على استعداد لأن أتحمل كل شيء، أن أفهم كل شيء إلا أن تكون قد تركنتي من أجل إمرأة أخرى لا يحق لها بشرة من جلد رأسك.. استحقاقك يا عزيز، استحقق كل ما فيك، استحقق بصري ومبهج وبتضحيات سنوات مضت.. لماذا لم أحصل عليك؟

دخلت بريدي لأجد في صندوق الوارد.. رسائلين منك من دون عنوان.

كانت الأولى محملة بأغنية (تصدق الأحلام!) لعبد المجيد عبد الله، حملت الأغنية وأنا أقرأ رسالتك الأخرى التي كنت فيها:

(مساء الخير، كيف حالك يا جماع؟..)

أدرت أن أطمئن عليك، خشي أن أتصل ففضلت أن أكتب رسالة.. لطالما أحببت الرسائل في داخلي الكثير للكتاب ويفال ويشرح لكني أشعر ولأول مرة باستعراض الكتابة.. أشعر وكأنني فقدت القدرة على أن أكتب، أخبرتك قبلًا بأن سرك (عظيم)!!.. هنا أنا ذا فقت كل شيء منذ أن أغضبتك وكان لنعمة أصابعني .. أقول هنا منذ أن أغضبتك، لا منذ أن خسرتك لأنني على يقين من أنني لم أخسرك بعد.. على الرغم من خطيئتي ومعصيتي بحق الحب وبحق إلهة الحب أنت.. قد ترين في قولي وقاحة!.. أرى في قولي
أكثر من هذا لكني أعرف بأننا لن نخسر بعضنا بهذه (الصعوبة)!!
لن أدعى سهولة ما جرى وأعرف بصعوبته عليك وعلي!! على الرغم من اختياري ومن حماقي لكبدك ضعفك لأن تقبلت بما حدث!! ضعفت أن أندم كثيراً عليه!! لن أدعى نقائي ولن أحاول تبرير فعلتي!! أبدأ يا جمانة!! لن أفكر بفعل هذا أبدا!! أعرف الآن وعلى استعداد أنا للاعتراف أمام الدنيا بما فيها بتأتي أخطأت وآ بنامك كملي يذاك لا يغفر!! لكني أعرف وعلى الرغم من اعتراضي الذي لن يقبل به أي ناسك في الدنيا بأنك ستسامحني!!
ستسامحني من دون رغبة منك بالسماح!! ستسامحني ضعفك، مجرة ومغصوبة!! لأن قلبنا واحداً يجمعنا! نصفه في صدري ونصفه الآخر بين أضحك!! جمانة!! تزوجت غريب، تزوجت ياسمين!! أعرفها منذ ثمان سنوات!! منذ أن كنت طالباً في مونتريال!! كنت وقتذاك أدرس البكالوريوس كما تعلميين!! كنت في السادسة والعشرين وكانت في الثلاثية والثلاثين من عمرها!! قد تستغربي من أن أتزوج امرأة تكبرني بست سنوات!! لكنه دليل بسيط على أن علاقتنا تلك لم تكن يوماً منظفية!! لم تكن علاقتنا عاطفية أبداً يا جمانة!! لم يربطنا ببعضنا سوى جسد!! يلزمك هذا!! أدرك بأن فولي يلزمك لكني أحتاج الآن لأن أصدق معك!! لا أذكر عن بعض ذنبي وإن كان عظيماً!! أحتاج لأن أصدق القول معك!! أوجعك بالحقيقة وهذا أفضل من أن أوجعك بغيرها!! أعترف بأنني كنت أهرب إليها في كل مرة تغضبني فيها!! كنت أنفس عن غضبي منك بخيانتي لك وبعائلتي بها!! حقرر، وقع، خائن، كاذب، ومريض!! فولي ما تقولينه عني!! سأختصر عليك الدرب لترتاحي وسأقول لك بأنني كل هؤلاء!! لكني أحببتك منذ أن التقينا في المقهى لأول مرة.. ظنتن بتأتي سأفقد هذة الإحساس بعد مرور الوقت وسألتي
بالنسبة لأمرك، أنا أشعر بهذا أبداً، كان حبي لك يزداد في كل مرة أراك تبتسمين وفي كل مرة تعبسني. قد لا تدركين كم أحب صراخك في وجهي، كم أحب بكاءك بسيربي! كم أحب غيرتك وعندك. يزداد حبي لك في كل مرة تعقدين فيها حاجبك ظناً وحاولين استدراجي بأسبلة غيبة. أعشق تأملك وأنت تسحبين شفتك السفلى بأظفارك حينما تفكرين بما أقول.

أحبك يا جمان، أحبك وأشهد الله على حبي لك. لو كنت الأمامك الآن لسألت.. لماذا أخونك إن كنت فعلًا أحبك! ستسأليني إن كنت قد شعرت بالذنب خلال خيانتي لك؟.. وسأصدق القول معك هذه المرة.. لأنه لم يعد لدي ما أخشى انفضاحه، خنتك لأنني اعتدت على فعل هذا.. أدمت الأمر.. أدمت على أن تكون في حياتي امرأتان، امرأة يعرفها جسدي وامرأة يحققها قلبي. اعتدت على أن أفعّل ما في قلبي لأمرأة طاهرة، في جسد امرأة عاهرة.. لا تلوميني.. كنت بعيدة على الرغم من قربك مني.. تدركت ما أعني يا جمان، قاسي حديثي هذا.. أدرك بأنه صعب عليك قراءته لأنني أشعر الآن كم هو صعب أن أكتب.. الذنب ليس ذنبك، يقتليني أنك لم تذنبي في هذا!! لكنني لم أتمكن من أن أتخليص من أمر اعتدت على القيام به.. جمانة.. ابتعدت لأشهر عن ياسمين، خفت.. خفت أن تكتشفي الأمر فتكرتني، كما عذبني إخلاصك لي فابتعدت عنها.. لكنني لم أتمكن من الاستمرار وفياً.. حينما سافرت وحيداً إلى الرياض وانشغلت عنك وقانتاها.. فتك بي الشوق والشك، كان لا بد من أن أتقم من ظنونك.. كان لا بد من أن أعاقبك على انشغالك عني.. فقدت إليها ولغيها!! أعرف بأن عودتي تلك جعلت من تأنيب ضميري سوطاً أجلسك به.. أخذت أعاقبك على دفعك إياي لخيانتك.. أسأت معاملتك لأنك دفعتني

172
إلى الخيانة... وعليه ازدادت حدة وازدادت عنادًا. فازدادت شجاراتنا وكذلك خلافاتنا وبات خيانتي كعصاب يرضيني أحباني ويشعرني بالسوء أحباني أخرى! جمانة. زواجي من ياسمين لم يغير في الأمر شيئاً. كنت خائناً منذ البداية، بزواج ومن دون زواج. تزوجتها فقط لأوجعك. لتعري بأنني قادر على أن أتزوج غيرك، ولتشعر بأنني فضلت امرأة عليك. أتدرى ما الغريب في الأمر يا جمانة؟ الغريب بأنني لم أسمها منذ أن تزوجنا. رغبت بها بالحرم ولم أرغب بغيرك بالحلال مثلكما لم أرغب بك بالحرام أبداً. دائماً ما كنت أراك كحورية لا يستحق أن يذكروها بشراً. كنت تحبتي حينما كان يربطني بسليم حسن. انكنتيني الآن بعدما أصبح الرابط مجرد ورقة؟! جمانة. أدرك وتدرك ياسمين بأننا لن نستمر بزواج كهذا. كنا محتاجين إلى تلك الورقة. احتجت إليها أنا لأاعفوك واحتاجت إليها هي. لتحمل اسم مطلقة. مطلقة أفضل بكثير من امرأة في الأربعين لم تزوج بعد. هكذا كانت الصفقة يا جمانة وإن لم تصرح بها.

جمانة. سأطلق ياسمين في اللحظة التي تطلبي مني أن أفعل. ستكونين لماذا لا أطلقها الآن إن كنت جازمة على أن تنفصل، وإن كنت صادقة في أن لا شيء يربطني بها. سأطلقها يا جمانة فور ما تطلبي مني فقط، لأنني سأعرف عند طلبك بأنك ستعدين إلى وبيانا سنستأنف ما بدناه معاً، أدرك بأنني أخطأت وبأي خطأ عظيم لكي أدرك أيضًا بأنني قادرة على أن تسامحي وعلي أن تحبتي أكثر! يا جمانة! أنا لست إلا كما قال نزار (طفل عابث بملؤه الجروح) (فكيف تنتمي الطيور من صغارها) يا جمانة!.. ها أنا ذا أسئت وأسأل المغفرة يا حبيبي. أدرك بأن طليبي صعب. أدرك بأن قربى منك الآن صعب عليك لكي أدرك أيضًا بأن بعدي
سيقتلك مثلا سيقتلكي البعيد.. جمانة.. لا أطلب منك أن تكوني حبيبي فطالما كنت الحبيبة.. أرسل اليوم طلبي لأطلبك زوجة.. أريدك فعلًا.. أريدك حقيقة.. ما عادت تشبعني أحلامنا المؤجلة.. أريدك الآن.. أريد أن نتزوج.. أن أطلبك من أهلك.. أن تزوجيني.. وأن نقيم معًا لتنكمل ما تبقى من دراستنا.. أريد أن أستيقظ بجوارك كل يوم.. بدلاً من أن توقتي على الهاتف في كل صباح!.. أحتاج لأن تحضرلي لي قهوتي في بيتك قبل ذهابنا إلى الجامعة بدلاً من أن تلتقي في مقهى الجامعة لنشرب قهوتنا معاً.. أحتاج لأن أفتح خزانة ملابسنا لأختار لك ما ترتديته بدلاً من أن تصفلي لي ملابسك على الهاتف فأختار ما أتخيله جميلاً عليك.. أريدك أن تنامي على صديري ونحن نتابع برامجنا على التلفاز يا جمانة، ملتة من أن نتابع التلفاز على أريكتين متلفشتين.. أريد أن أقبلك.. أن أشعر بشفتيك تذوبان داخل فمي، تعبت من تقبيلي إياك على الهاتف.. أريد أن أتزوجك يا جمانة!.. أن تكوني لي.. ألم تفكر يوماً بمعنى اشتغالي حينما تتحدثين عن أطفالنا؟.. في كل مرة تتحدثين فيها عن طفل يجمعننا.. أشعر برغبة حارة في أن أتحسس بطنك، في أن أمسك يدي أطفالك بيدي.. تظنين بأنني قاس وبأتي بارد المشاعر لكني أستير في كل مرة أراك فيها وإن كان خوفي عليك أكبر من أن أستك بنظرتك، جمانة.. تزوجيني، تزوجيني يعوبتي وذنبي كلها!.. تزوجيني لتجعلني مني قديساً.. تزوجيني وكوني امرأتي.. لن أعدك بشيء لأنك لن تصدق وعودي، أريدك أن تأتي بقلبك الذي أحبي.. أريدك أن تشبعي هذا الحب الجائع قريباً.. ليست عظيمة لاستحقاك لكني أعشقك، أنت تفسد.. وأتشربك بما يكفي لأن تكوني لي.. أطلب مني أن أطلقها حينما تقبليني بي زوجاً يا جمانة، حينما تطلبين مني طلاقها سأعرف بأنك قد قبلت بي.
وسأطلبك حينئذ من أهلك.. جمانة.. ارحمي قلبي وقلبك ولتنزوج..
(فانت في حياتي الهواء وأنت عندي الأرض والسماء) كما قال قباني!..

عبد العزيز

قرأت رسالتك تلك مراراً يا عزيزي، قرأتها حتى حفظت كل
كلمة فيها.. كنت أحاول استيعاب ما كتبت.. لم يبدُ لي شيء فيها
حقيقياً!.. لا أقصد مشاعرك بل حكاية (المرأة الأخرى) تلك...
الحكاية كلها، كل الحكاية!.. شعرت وكأننا في حلم، في أحد
مقالبتك السخيفة أو في كنيزة أبريل متاخرة .. أي شيء سيقنعني عدا
أن أكون غيتو إلى هذا الحد.. لن تأتي بعد كل هذه الحب المتهب
لتخبرني بأنك كنت ولأربع سنوات وثمانية أشهر معي ومع غيري..
لن تقنعني بأنني في كل مرة أودعك بها في المطار تستقبلك في
مطار آخر امرأة أخرى!.. لن أقبل بهذا يا عزيز، لن أقبل بهذا..
لطالما شعرت بأن اتصالاتك الكثيرة مربة!.. سرك المتكرر وحيداً
إلى مونتريال ليس بأمر طبيعي.. إصرارك على أن لا ألبس هاتفك
المحمول يؤكد بأنك تخشى اطلاعي على ما فيه.. حاجتك الدائمة
للمخمر، سهراتك مع النساء، احتفاؤك فجأة لميلان عدة كلها
إشارات تؤكد على أنك لعوب، أدرك بأنك لعوب.. لكني أدرك
أيضاً كم تحبني.. أخبرتني مراراً بأنك تسهر وتشرب وتجلس
السيارات!.. لكنك لم تخني أبداً.. أقسمت لي بأنك لم تفعل
قلت: سهري وشربي شيء.. وخيانتي لك شيء آخر!.. أخبرتني
بأنك شاب كغيرك، من حقك أن تتمتع ببعض الحرية طالما لا
تخطئ بحقي.. قلت بأنك ملتزم بي ومعي، قلت بأنك تحبني إلى
درجة لا تمكنت من الاقتراب من غيري.. واتن تدرك بأنك أن فعلت سياصنيك الله بخيانتي لك بعلمك أو من دون علمك...
كنت أعلم بأنك تكذب كثيراً، وبأنك مفرط في استغفالي.
كنت أعلم بأنك تخفي عنى ما يغضني وما لا يرضيني.. للكن لم أكن أعلم بأننا كنا أكثر من اثنين، لم أعلم بأننا كنا لما يقارب الخمس سنوات أنا وأنا وهي ويعتبر نساء.. على الرغم من أن كل الإشارات كانت تدل على أنك تومن بالأطراف المتعددة!
اذكر بأنني قد كبرت في أحد الصباحات المزدحمة من الريف، كنت أقف حينذاك على بوربة الحي الدبلوماسي في صف طويل من السيارات.. كان الشتاء قارساً، جافاً كعادة شتاء العاصمة، جلست خلف السائق وأنا متكورة من شدة البرد.. معتارة الإيداع لي بالمرور إلى السفارة الكندية وأنا شبه متحجدة.. كانت الساعة تقارب السابعة صباحاً.. ذهبت باكرًا لأنتمكن من الوصول في الوقت المحدد خاصة وأن نقاط التفتيش الأمنية هناك (تنخيل) السيارات نخلاً قبل السماح لراكبيها بالمرور، وقد كنت معي على الهاتف، تحاول أن تبكي في بعض الدفء.. التفت نحو السيارة المجاورة، كان السائق شاباً صغيراً.. يكبرني بقليل أو قد يكون في ذات عمرتي.. كان يتعلق عبر الهاتف بسعادة، يضحك بخيل نجاها.. ويحمى وجهه قبالة.. وابتسامة جميلة تعلو ووجهه...
قلت لك: عزيز، بجواري عاشق!
ساليتي؟ وكيف عرفت؟
لن تفتحاني بأن شاباً سعودياً يقف في صف طويل منذ أكثر من نصف ساعة.. ينضم بكل هذه الرقة في السابعة صباحاً بسبب زميل عمل أو أحد أفراد عائلته!..
قلت: ربما يتحدث مع شقيقته ..
أجبتك بعناد: لا يتحدث شباب الرياض مع شقيقاتهم في هذه
الساعة من الصباح بكل هذا اللفظ... أسامي أنا!
قلت: قد يتحدث مع فتاة، لكن هذا لا يعني أنها حبيبته...!
قد تكون صديقة.. معرفة.. أي شيء!
تعلم ابتسامة حب وجهه يا عزيز!
دعك من الأفلام الهندية يا بيبسي.. قد يعرف الرجل في حياته
ثقة امرأة.. لكن هذا لا يعني بأن كل امرأة مهنية حبيبته.. يحتاج
الرجل لأن تكون في حياته أكثر من امرأة يا جمان...
لكنها خيانة...
لن أناقشك في هذا الآن.. لكل منا قناعاته!
صمت وقذفك وفهي قلبي خوف كبير من (قناعاتك) لكني وعلى
الرغم من كل البوادر.. لم أظن يوما بائك ستفعل بي هذا.. ظنت
بائي سيدة قلبي كما تدعي!!.. لم أظن بأتي لست سوى امرأة من
مجموعة نساء الكثير.
أغلقت صفحة البريد الإلكتروني.. ودخلت تحت طاولة
المكتب.. أخبرتها يوما بأنك تنزوي تحت مكتبك في كل مرة تشعر
فيها بالوحدة، تدخل تحت مكتبك حينما تحتاج لأن تبكي.. ظنت
في البداية أنك تفعل هذا لكونك رجلا شريقا لم يعند البكاء في
الضوء.. إلا أنني فهمت بعد ذلك بأن الأماكن الضيقة تحتوي
أوجاعنا.. وتعلمتها بإطار ضيق ومساحة صغيرة. لتجعلها أخف
صخب واقل حدة!
كان صوت عبد المجيد (الذي نحبه)! رقيطا كعادته وهو يغني
الأغنية التي (تعشقها)!!
يا نجومها.. والله بعيدة نجومها..

177
يا همومها... وش كثر أحبت همومها...!
حبني بس...!
خليني أحس
أن الهوى ما هو كلام...
وأن الأمل ما هو كلام...
وتصدق الأحلام...!

دائمًا ما كنت تغني لي أغنية عبد المجيد هذه... كنت تختار الأغنية بعفوية تحيرني... شعرت بوجع في صدري وعبد المجيد يشدو: تصدق الأحلام... أن اللي بنتظرك عمر... وأنت اللي بصح لك وأنا...

أخذت أفكار بالعمر الذي يتحتم على انتظاره... بأيامه، وأسابيعه وشهوره وسنواته ونتيجته! لا أظن بأنني سائق بك بعد كل ما جرى يا عزيز... لن أثق بعمر انتظرك فيه لأنني لطالما انتظرتك ولأنك لطالما خنتني...

لم يعد هناك... حلم يجمعنا يا عزيز!... لم تصدق الأحلام...
قلت لك ليلة بأنني سأحدث أھفادي عنك كثيرًا... سأحلكي لهم عن حكايتنا العظيمة... وكم أحببت وكيف أحببتني!...
قلت لي وآنت تضحك: وأنا أيضاً سأفعل... سأحدث أھفادي عنك... سأبحث عنك وسأزوج أفضل أھفادي لأجمل حفيداتك!...
انهمرت دموياً بحرقة... شعرت وكأنك قد لطمتي على وجهي بكل ما أوتيت من قوة...
صحت في وجهي: ما الأمر يا جمانة!... ما الذي قلته وأغضبك هذه المرة!?
قلت لك وأنا أنشحب محاولة إبلاع مراتي: أرجوك.. أريد أن أغلق الهاتف الآن!.!
صلخت في: ما الذي حدث يا مجنونة..?!
صلحت في وجهك: ألا تفهم..؟!.. لا أريد أن أتحدث معك الآن.
صلخت بغضب: مع ألف سلامه!.
رمت سماعة الهاتف وأنا ألمعك كثيراً، ألمع القسوة التي خلت منها، ألمع أحلامي وفتاهتي ووقاحتك!.
أمسكت هاتفني وأرسلت إليك: كنت أتحدث عن (أحفادنا).
أحفادنا يا عزيز، أحفادي أنا وأنت.. أحفادي منك!
أجيتي بعدها بدقائق: خفيف من حدتك لأنني ملتها!.
تجاوزت كل ما بدر منك.. لتطلب مني بكل بساطة أن أخفف حدتي!
وبقيت أسترديك لأيام بعدها من أجل أن لا تغضب، فأخبر أحفاداً أعرف الآن أنهم لن يعودوا أبداً.. لم تصدق الأحلام يا عزيز.. ولن تصدق يوماً!

***
اتصلت بزياد.. كنت بحاجة لأن أسمع صوته.. لطالما اعتنى بي زياد في أوقات خلافاتي معك يا عزيز.. لطالما كان رقيقةً معي.. يطلب علي بحنان ورجولة.. يستمع إلي بكل جوهره وأنا أشتكك.
Hello lady! Lsavates وساعات، من دون أن يشعرني بملته أجانبي!!
قلت بحروف ترتبت من البكاء: زياد.. مساء الخير.. أستطيع أن أتحدث معك؟
Sure Jumanh!. what’s wrong lady!. you are crying...
لمحبيتك أكثر مما ينبغي

 كنت أشعر بشقائقي تخرج من بين رتني كسكاكيين حادة: زيد...
روحنا تنزف...
جمالك. لا بأس، أعرف بأنك متعبة. أنا معك. أعدك أن آعتني بك حتى تعودي كما كنت. ألا يكفيك هذا الوعد؟
بلى... يكفي...
ما رأيك في أن نلعب لعبة كي تشعر بالهدوء...
أي لعبة هذه؟...
أخبرك سرا، فتخبرينني آخر. شربيلة أن تكون الأسرار خطيرة!
حسنًا... فلتبدأ أنت...
أممم...! أتذكر أن أول مرة قابلناك فيها أنا وعبد العزيز في المقهى؟...
نعم أذكر!
كان قد أخبرني قبلها بآيام عن فتاة عنيفة التقاها هناك، أحب...
عبد العزيز عنادك منذ أن التقائك لأول مرة. لذا ظلنا نتردد على...
المكان لأيام عدة على أن تعودي فيرائكا...؟
لم تجد سراً أخطر من هذا يا زيد؟...
لم أخبرك بالسر بعد!
وما هو السر...؟
في اليوم الذي التقيناك فيه، كنت أحدث عبد العزيز قبل أن تدلي إلى المقهى عن فتاة سعودية التحقت بالجامعة منذ أشهر...
كنت مفتوحاً بها على الرغم من أننا لم نتحدث أبداً... واكتشفت بعد ذلك أنها لم تلحظني يوماً!
أها!!
راك عبد العزيز من خلال جدران المقهى الزجاجية قبل أن
تدخلي.. قال لي بأنك جئت وحينما افتت صدمت بأن فتاتي التي حدثت عنها.. هي فتاتي الذي ينتظرها!

سألته بدهشة: أنت تتعرف؟!

لم أكن أعرفك!.. كنت أصادفك! حينما تخليت وعندما تخرجين، أراك في مطعم الجامعة.. تبسمين وتذاكرين وتكتبين، تعرفين بأنني أعاني من حالة خجل سخيفة!.. لم أنجرأ على أن أقترب منك يوماً، كنت بانتظر أن تستح لنا الفرصة فتتحدث.. لكن الأقدار جعلت عبد العزيز يلتقيك في المقهى وساعدت جراته وخبرته في أن يقترب منك ويعرفك أكثر.

إلهي.. كيف لم تخبرني بهذا ؟!

لم أخبر أحداً بهذا يا جمانة.. حتى عبد العزيز.. لم أفكر في أن أخبره أبداً.. لكن هيفاء كانت تعرف.. لأنه كان قد سبق لي وأن سألتها عنك.

أخبرتي هيفاء يوماً عن سؤال أحد زملائنا عنني.. لكنها لم تخبرني بعد ذلك بأنك كنت أنت!!.. لا أصدق بأن هيفاء استطاعت أن تتكلم على هذا الأمر على الرغم من أنها تتردد وعلى الرغم من أننا نحب لبعضنا بكل شيء ..

كنت قد طلبت منها ألا تخبرك عن الأمر.. هيفاء طيبة جداً يا جمانة..!.. خافت أن تحرجني.

شكراً لأنك أخبرتي بهذا الليلة، كم يشعرني بالإطراء أن ألفت نظر رجل مثلك.. شكراً زياد.. كنت بحاجة لبعض الإطراء وليست الدعم.

Anytime lady!..

أنتري يا زياد.. أشعر في كل مرة أتحدث معك فيها بأنك مستحقين، بأن أوضاعي ستنحسن.. وبأن شيئاً جميلاً بانتظاري ..
وأما.. أشعر بالكثير حينما نتحدث.. أتدرّب يا جماحة بأنك لم
تتحدثني عن نفسك طوال المدة التي عرفنا بعضنا فيها!.. لم
تتحدثني معي في شيء عدا عبد العزيز.
لا أرغب في الحديث عنه الآن يا زياد.
ولا أرغب في أن تتحدثني عنه الآن يا جماحه.. حدثته عنك,
عن البدوية التي تحب أن تكتب.. حدثته عمّا تكتبين وعمّا تقرّتين.
وكيف عرفت بأنني أحب أن أكتب?..
أولًا.. شاهدتك عدة مرات وأنت تكتبين وحيدًا!.. ثانيًا أنت
(جوزانية)!! كل امرأة جوزاء تحب الكتابة.. بالإضافة إلى أنه سبق
وأن قرأت بعضاً مما كتبت لعبد العزيز. بمخصوص المصادفة.
يرى عزيز أن لغتي متواضعة..
وأما أرى بأن لغتك جميلة.. وأكثر من جيدة ...
يبدو أن القاسم المشترك الوحيد بيننا نحن الثلاثة هو حب
اللغة يا زياد.
صحيح.. جمعت اللغة ما بين طب الأسنان وهندسة الحاسوب
وإدارة الأعمال.. على فكرة!! ...
أممم!! سر، سر!.. حسناً سأخبرك بسر لا يعرفه الكثيرون!
في الثانوية العامة حصلت على معدل 85%!
وكيف التحقت بالبعثة وقبلت بالجامعة؟
في البداية، درست على حسابي الخاص ومن ثم التحقت
بالبعثة مؤخرًا...
أتعرفين بأنني (ملتزم) سابق؟
ولما أصبحت "سابقا"؟
لا أدرى!.. عندما جئت إلى هنا وترفت على عبد العزيز
رمحمد.. قضيت حوالي العامين في نزاع.. لم أصبح مثلهما ولم
أظل على حالي!.. I changed!..!
أي نزاع هذا الذي تتحدث عنه؟
كنت في الثامنة عشرة عندما وصلت.. جئت في وقت كنت
لمعارضة السعودية تحركاتها النشطة، عاصرت الهجوم على أمريكا
هنا ومن ثم الحرب على أفغانستان والعراق.. تشتت ما بين معارضة
صاخبة ووطنية نشأت عليها، ما بين عروبتني التي تنزف وما بين
الإنسانية التي انتهكت باسم الدين.. ما بين وطني الذي أعيش وما
بين الدولة التي أقيم فيها وأتعلم من خلالها كيف تكون الحياة.
كان صراعاً فكرياً وعقائدياً وسياسياً.. كنت أؤمن بفكر وبعقيدة
أؤمن بقائضها في الغد.. كانت مرحلة انتقالية في حياتي.. تعبت
كثيراً حتى ازنتت...
والآن.. بماذا ويمن تؤمن؟
أؤمن به أولاً.. ومن ثم أؤمن بالإنسانية,
كفرت بالسياسة وبالطائفية وما شابهما.. أؤمن بأن وطني حري وبأي
الإسلام دين السلام والتسامح والتعايش.. أحببت ذلك الوطن أكثر.
وأحببت الإسلام أكثر وأكثر وأكثر.. وإن كنت مقراً بحق الاثنين..
بحق الله وحق الوطن.. إلا أنني أشعر بالحب تجاههما أكثر من
أي وقت مضى..
لا بد من أنك قرأت كثيراً خلال هذه الفترة..
أسألني عن أي مثير للجدل.. ابتداءً من سيد قطب.. مروراً
بمصطفي محمود وعبد الله القصيمي، بجمال البنّا وعبد الرحمن بدوي.. ومحمد شحورر.. وانتهاء بنوال السعداوي!..
صدقني!.. سيعدني هذا...
أصدقك!.. قرأت مرة عن امرأة الجووزاء.. يقال بأن أسهل طريقة للوصول إلى قلبهها هي مخاطبة عقلها، كما أنها تحب طرح الأسئلة..

بدهشتي أن يطلع رجل على علم الفلك والأبراج!.. عادة الرجال لا يهتمون بهذا العلم ويعتبرونه مجرد خزعبلات..
أؤمن بعض ما فيه...
أعرف بأنني لا أعرف تاريخ ميلادك!
ولدت في 25/12/1982م ..
ولدت في يوم ميلاد السيد المسيح!..
ولدت في يوم ميلاد السيد السيد المسيح أيضًا، ولد بدر شاكر السبب في يوم ميلاد السيد المسيح.. كما ولد يوسف الخال وصلاح جاهين كذلك في اليوم ذاته!.. في الخامس والعشرين من ديسمبر..
إذاً فمواليد الجدي شعراء..
جبران وناجي من مواليد الجدي كذلك، أليست بمفارقة عجيبة!؟
وهل وجدت في حياتك.. كموادلك الخامس والعشرين من ديسمبر!؟
لم تكن حياتي سهلة!.. أظنُ بان أقدار مواليد هذا اليوم غريبة.. أتعرف بأن بدر شاكر السبب توفي في الرابع والعشرين من ديسمبر.. أي في ليلة عبد ميلاده..
لم أعرف هذا من قبل!..
أعظم الشعراء من مواليد الجدي وأغلبهم ماتوا بمعاناة.. مات
لا أستطيع أكثر من هنا.

جاهين مكتباً. ونادات السياح وجيران ويوسف الخال بعد نضال مع المرض.

أرجو أن تكون أقدارك سعيدة يا زiad.

Thank you Jumanh, you are so nice..

تكبرني بعام ونصف إذن!.. ظنتلك وعزي في سن متمارنة..
يكبرني بثمانية أعوام..
تبدو أحياناً وكأنك أكبر منه!.. قد يكون هدوؤك هو السبب.

Maybe!..

سرين الحديث معك يا زiad، شكراً على وقتك.. وعلى لطفك.
وعلى المعلومات الجديدة.

سألني بتعدد: سنتامين؟

سألتني ان أيام لا تمكن من الذهاب الى الجامعة في الصباح.
تأخرت كثيراً في دراستي.. ولا بد من أن استعيد زمام الأمور.
يسعدني سماع هذا منك، أتمنى لي بالاتصال بك في Great ..

المباح وإيقاظك؟

لا داعي لأن تتعب نفسك.
أرجوك، يسعدني أن أفعل.

لا بأس يا زiad، بإمكانك أن تتصل في أي وقت تشاء.

I appreciated, good night!..
في الصباح، استيقظت على صوت زياد. كان هادئاً، لطيفاً. رقية إلى درجة لا تظافق. لا أعرف أن كان لطف زياد لا يطاق أم أن وفائدي لك الذي لا يطاق يا عزيز. يخفقني هذا الوفاء ويشعرني بالسوء، أتعبني وفائدي! تعبت من أن أظل وفية لرجل لم أعد أملك منه/فيه سوى ذكريات. إلهي يا عزيز، بودي لو انتهمت لنفسي منك ألف مرة مع ألف رجل ورجل لكنني لن أتمكن من أن أصبح مثلك. لا قدرة لي على أن أكون لغيرك! يرعبني أن أكون مع غيرك يا عزيز...
مررت من منزلك في طريقي إلى الجامعة، كانت سيارةك مركونة أمام المنزل. فحمدت الله كثيراً على أنك لن أراك، دفعت إلى الجامعة كارهة لكل ركن فيها. لم تكن بانتظاري هذه المرة يا عزيز. لم أتخيل أن أدخل الجامعة يوماً من دون أن تكون في انتظاري، لكني لم تكن بانتظاري هذه المرة. لم يكن بانتظاري سوى زياد...

***
نتلفتي أنا وزياد بأفكارنا كثيراً بينما نختلف أنا وأنت بصورة شبه جذرية. حينما نطق أنا وزياد كلماتنا معاً، نصمت بعدها لثوان ومن ثم نفجراً ضحكاً دهشة وخوفاً من توارد أفكارنا الغريب.
قلت مرة ساخراً: أنا متأكد من أنكما ستكشفان أخوتكم في الحلقة الأخيرة!...
يومها نطقت أنا وزياد ذات الكلمات وفي الوقت ذاته لثلاث مرات.
لا أعرف كيف يجدني نقيضي إلى هذا الحد بينما شبيهي ناعم
ربي، أكرم ماناً بنيغي

إني أثق أن أقصى درجة! أنا وأنت كقاطبي مغناطيس، نتجاذب بقوة على الرغم من اختلافنا ومن اندماج رغبتي للتجاذب. لست أدرى كيف أنجبذ بكل هذا العفنوان لرجل لا يروق لي الانجذاب إليه، وكيف أنفرو من آخر فيه الكثير من مواصفات فارس أحلامي؛ لا أنبهم كيف أتوق إليك مع رفضي الداخلي لكل ما فيك يا عزيز. لطالما فكرت كيف سنتهي الأمور بيننا. فيما سنتهي إليه أنا وانت... وربما زيها...

أفكر كثيراً في النهاية التي تتعلق عليها أنت (الحلقة الأخيرة).

ولا يتبدد إلى ذهني أي حل أو توقع كالألغاز المستحيلة. ضحكتي أول مرة سمعت فيها مصطلح (الحلقة الأخيرة) هذا. كنت تحدثي عن إحدى رحلاتك إلى البر خلال مراحتك وكيف أنك تеле في الصحراء مع رفاقك بلا موتة. بعد أن تعطلت السيارة التي كنت تستقلونها. قلت لي: حينما حل الليل علينا يا بيبى، ظننت بأنها الحلقة الأخيرة!

وأعجبني كثيراً وصفك للموت وللنهاية بهذا الوصف حينذاك لكوني أفكر اليوم كثيراً في مدى تبسيطك للنهايات لدرجة أن لا تكون سوى حلقة أخرى من سلسلة حلقات.

يضحك زياذ كل ما في الحياة، وتسبط أنت كل ما يمر في حياتك وكأنك لا تكره ولا ينهر ولا تخف...

قلت لي مرة بأن الحب (وجهه) القادراً على فطر قلبي...

لكنني، لست أنبهم كيف يفطر فواداً كنفاذك يا عزيز...

سألتك يوم ذلك. عن إمكانية أن تحب امرأة مزوجة...!

قلت بعد تفكير: لا أعلم يا جمانية. فاعله هو الذي يسيرنا في الحب. نحن لا نختار الذين نحبهم...

قلت لك: لكونا نرى ويوضح أحياناً بأن بعض من نلتقيهم لا
يتناوبنا.. كأن يكونوا مرتبطين مثلاً.. فلما نقضمنا أنفسنا في علاقة
نعرف بأنه لا مستقبل لها..؟

سألتني: أهلست تؤمنين كثيراً بـ مصطفى محمود؟.. أليس من
قال بأنثنا (مخيرون فيما نعلم، مسيرون فيما لا نعلم)؟
بل! لكني مخير في البداية، مسير في النهاية.. فهل تقدم على
البداية مع امرأة مزوجة..؟

لست أدرى جمانة، ربما أفعل...
كم هي هشة قيمك..!

اعتدلت في جلستك: لا ليست كذلك، لكنني لست جباناً، لا
تظني يوماً بأنني سأتاجه إمكانية أن أسعد مع امرأة لمجرد أنني
أخشي النهاية.. قد تكون النهاية تناسبني، قد تستعدين النهاية، فلما
أتخلت عن فرصتي خصوصاً وأن إمكانية نجاح التجربة واردة؟
تجازف في الحياة كثيراً يا عزير...

قلت وانت تشير بيدك بانفعال: الحياة مغامرة كبرى.. إن
أردت بعض السعادة فما عليك سوى أن تغمري، لن تجني شيئاً
من خوفك يا جمانة.. لا سعادة من دون مغامرة..
أفضل ان أكون جمانة يا عزير...

قلت بسخرية: آلآن المغامرة حرام؟
قلت بعناد: لأنها حرام، ولأن قيمتي مقدسة...
والحق.. إن قيمتي لم تكن بتلك القداسة يا عزير.. اضمحلت
قيمي لدرجة أنها لم تعد سوى بقايا قيم لا تتشابه مع ما كنت أؤمن
به يوماً..

لم أتخيل أن ارتبط بعلاقة ما بأحد أصدقائي.. لطالما تفاديتهم
احتراماً لكنت أنت على الرغم من كونهم زملائي لكني تنازلت عن
قيمتي، أو فلنقل بأنها من تنازلت عن فسایرت زیاد بعلاقة أظنُ
بابني كنت بحاجة لأن انقم منك بداخللي من خلالها، ولم أعرف وقتذاك بابني كنت أؤذي زياذ ونفسي فقط، لم أكن أدرك بأنه لم يكن ليؤذيك من خلال شيء يا عزيزا.. لم أدرك ذلك أبداً.

***

سفر زياذ إلى الرياض ليشارك في حفل زفاف شقيقته بعد أسبوعين من تواصلنا الجليد، سافر قبل زفافها بليلتين.. وعاد بعد ذلك بثلاثة أيام. قابلته على برنامج (الماسنجر)!!.. ثرثرنا كثيراً في أمور عدة لم يتضمنك أي منها.. تصور بأننا بتنا نتجنب الحديث عنك.. غريب أمر زياذ، معجبة هيفاء بزياد.. هيفاء التي لا تعجب بشر.. ومعجبة أنا به أيضاً.. لا أنكر هذا لكنني لا أحب الاعتراف به!..

يكبرني زياذ بقليل.. يدرس طب الأسنان، يكتب الشعر، يمارس الصحافة.. هادئ.. خجول، رقيق.. مسلم وانطوائي على الرغم من تمييزه، شتان ما بينما يا عزيز.. شتان ما بينك وبين زياذ.. فعلياً.. تنطبق على زياذ مواصفات فارس أحلامي.. لكنك فارس أحلامي وإن لم تنطبق عليك صفاته!.. لطالما راودني خاطر مخيف، أشعر أحياناً بابني كنت سأغرم بزياد لو لم ألتق بك.. لكنني التقت أولاً فعكرت صف قلي!..

يعاملني زياذ بطريقة غريبة لم أفهمها يوماً.. تقول هيفاء بأنها تشعر أحياناً بأن زياذ (بحبتي).. وأصدقك القول يا عزيز بابني أشعر بهذا أحياناً.. غريب هذا الرجل!.. يحذرني منك ويصلح ما بيننا.. ينهني إلى أخطئك ومن ثم ينست عليك.. يدعوني إلى الابتعاد عنك
ونسبأنك ويدعوك لنتزوج مني، يدافع عني أاماك ويخلص لك
الأذار عندني!.. لن أفهم يوماً أمر زيد.. ولا أظن بانني سأفهم!..
دعاني زيد لمكالمة مرثية عن طريق الماسنجر حالما سجلت
دخولي، ومن دون أن يسلم.. استغرت كثيراً دعوته تلك، لأنها
المرة الأولى التي يطلب مني ذلك.. تردت في قبولها لكنني قبلتها
بعد أن تنهى إلى أنه يراني كل يوم في الجامعة، وصولتي الحياء
من خلال الإنترنت لن تختلف عن رؤيتها (المباشرة!) يومياً. كانت
اختي الصغيرة ذات الأربعة أعوام في حضنها ممسكة بلهبة صغيرة
كتب عليها (أخي زيد يحب كثيراً). لم أسفر ما جرى تلك الليلة
سواء أنه لطف بالغ يمس شغاف القلب!.. لكنني وعلى الرغم من
تفسيري (البسيط) لما حدث ليلتها لم أتجرأ على إخبار هيفاء بما
جري!..
زياد الطبيب الشاعر، الشاعر الطبيب كناجي، كابراهيم ناجي
الشاعر الذي يعتبره الأطباء شاعراً... وبدع الشعراء طبيباً... والحق
بأن ناجي مدوا في الشعر والطب كزياد!...
ينشر زيد قصائده باسم (ناجي)! لا أدرى إن كان اختياره
للاسم عشوائياً.. لكن ناجي وزيد متشابهان..
لا أدرى كيف أصبح زيد لكيماً بي إلى هذا الحد... لا أدرى
كيف انغمسنا أنا وزيد في علاقة لا اسم لها... لا يدرى زيد إن
كان يحبني... ولا أدرى أي حب هذا الذي أحمله داخل قلبي
زياد، أخبره دوماً بأنه صديقي الوحيد.. الرجل الوحيد الصديق في
حياتي هو زيد!.. أؤمن بالرجل كصديق أكثر مما أؤمن به كحبب
وهو أمر لا يسعدني الإقرار به...
أدرك جيداً بأن زيد يحب حبي لك يا عزيز.. يذهله هذا الحب.
فيجدبه الى المرأة التي تحب بهذه الاستمتاعات! يشوق الطريقة التي أحبك بها يا عزيز، يشوق زياد حبي لك وتكره أنت طريقتها في الحب.. أكره أنا كل هذا الحب.. وأحب أن يحبني رجل كزياد وأن أحبه مثله!.. سأذكر هذا القدر، شقي هذا القدر.. لقيم هذا القدر ولا حل له!

***

كنا نمارس أنا وهيفاء هوايتها المفضلة (تناول الطعام بنهم) والتي تصبح هوايتها أيضاً في حالات ضيقي.. كنا نأكل بصمت وبانشغال.. حينما اتصلت الدكتورة منى الثوار، رميت هاتفى على طاولة الطعام من دون أن أرد على، وانا أتناول البوظة من طبق هيفاء.. قالت لي هيفاء وهى تتناول البوظة: مَنّ؟

منى
زكي..؟
سخفة! منى الثوار!
زوجة سلطان..؟
بعينها!..
لماذا لا تجيبين عليها؟
لاحقاً، لست بمزاج يسمح لي أن أدرش مع أحد!
علا صوت الهاتف مجددً.. كانت منى المتصلة.. هفوش!.. ما الذي تريد مني؟
أجيبها لكي تعرف..
أجبها: مرحباً...
منى: جمانة! أين أنت؟! اتصلت بك عدة مرات ولم ألتقي...
منك أي ردة. قلقت عليك!...

عدراً حبيبي! كنت مشغولة خلال الأيام الماضية...
لا باس. أعذر على إزعاجك جمانة. أولاً أنا في غاية الاشتياق لك ولهيفاء. لا بد من أن نلتقي قريباً...

بالتأكيد. اشتقنا إليك أيضاً...
جمانة. سألني عنك ليلة البارحة أحد أصدقائنا أنا وسلطان.
يبدو أنك تحتاجك في بعض الأعمال. قلت له بأنني سأستأنف منك قبل إعطائه رقم هاتفك...
سأطلها بدهشة: ما اسمه؟...
ماجد!.. ماجد العاطفي.. أتعرفه؟...
ماجد العاطفي!

توقفت هيفاء عن لعقِّ الملعقة وهي تنظر إلي بدهشة...
نعم ماجد، أتسامحين لي بإعطائه رقمك؟...
لا يا دكتورة!.. قولي له بأنني رفضت هذا...

ومع أنني كنت في حيرة من أمره وعن بحث الغريب عنني...
وعلى الرغم من فضولي الشديد.. أنا أنني لم أرغب في رؤية الرجل الذي أنهى حكاية حبنا المتوقفة بست كلمات كتبها لي في ورقة صغيرة!.. لم أرغب بأن أتحدث مع الرجل الذي تسبب بتخلي (حب عمري) عنني...

اتصل بي زيد حالما أنهيت المكالمة مع الدكتورة منى الثوار،
فأخبرته بأنني سأعاود الاتصال به لاحقاً...
ضربت هيفاء يدي بالملعقة. جموووووون!
خبير؟
ما أمرك مع زياد؟
لا أمر لي مع زياد...
(نتفق من عرير.. نطيب زوير)!
هيفاء... تعرفين كما أعرف بأن زياد يعاملنا كأخوائنا...! لا تنسجي قصصا خيالية...
غمزت لي: أحمر وجهك بينما كنت تتحدثين إليه...
ضحكت: مريضة أنت!...
أخبرني.. ما سر ولع الثلاثة بك...! ما الذي تأكليه ليغروفوا بك...?
قلت لها وأنا أتناول ما تبقى من البطة في طبقها: إنني أكل (آيس كريمك)!
قالت هيفاء وهي تبعد يدي عن طبقها: بودي لو رأيت وجه منيرة عندما تعرف عن قصتك الجديدة مع زياد...
تجاهلته هيفاء وفي رأسية منيرة صديقتنا الرسمية الكويتية... منيرة بعمر هيفاء وزياد، كانت (حكاية حب) أخرى.. أحبات منيرة زياد وأحبها (على ما يبدو) بصمت.. كنت أعرف بأن علاقة حب سرية تربط بينهما لكنني لم أفهم معنى ذلك الحب (السري)! .. كانت صديقتنا (الكويتية) تلك تتردد لنا في أحيان كثيرة عن زياد... أذكر الليلة التي بدت أثناءها في شقتي أنا وهيفاء بسببه.. كانت تقول دونماً بأن أهل الرياض (فاسة) لأنهم يعيشون في (قلب) الصحراء بعيداً عن البحر.. تظن (هي) بأن أهل البحر أكثر حناناً ممّن يعيشون بعيداً عنه.. وأظن أنا بأنها مصيبة!.. تركت (منيرة) دراستها وعادت إلى الكويت بعد أن قطع زياد علاقته بها حيث لم تستمر علاقتهما لأكثر من عام، لأن زياد رفض الاستمرار بعلاقة بظن هو بأنها لن تصل إلى بيت الزوجية فغادرت منيرة البلاد
بشجاعة تارة خلفها دراستها ورجلًا أحبتة، صدقت معه وصدق معها.

تقول هيفاء بأن وراء كل قلب امرأة معطوب رجلًا من الرياض). وأقول أنا بأن وراء كل رجل (خائن) من الرياض امرأة بلها تصدقها!

لم أخبرك أبداً بمحفظتي بعلاقة زياد تلك.. ولم تخبرني بصريح العبارة عن علاقتهما على الرغم من معرفتك بها.

أذكر بأنني سألتك مرة، ما أمر زياد مع الرسم؟

أجبتي ببخت: لا أدري.. ربما يشعس رسامة!

لا أتذكر بأنني شعرت بالغيرة من منيرة في أوقات كثيرة.. عرفت زياد قبل أن يتعرف عليها.. بل أنا من قام بنسيج خيوط المعرفة بينهما.. وجدت منيرة فجأة تتورد.. فعرفت بقلب يدميه الحب بأن قلباً آخر يحبّ حبًّ من نوع آخر!.. لم تكن عيناي لتفتغل عن نظرة حب تلمع في عيني منيرة حينما يرد اسم زياد، حب الرسم كثيراً وأغبط كل من يجد الرسم.. ترسم منيرة بجريفة عذبة.. تثير في نفسي (غبطة) تنفاقم أحيانًا لتصل إلى حدود الحسدا!

عرضت عليّ منيرة يوماً إحدى اللوحات التي رسمتها لزياد.

كانت اللوحة خلابة! سألته حينها: ما رأيك؟

أجبتها: بودي لو أمزقها!

ألم تعجبك؟

بل هي رائعة! أشعر بالغيرة متك حتى أكاد أن أمزقها!

ضحكت منيرة التي كانت تحضنني بدورها على (جنسية!)

أشارك زياد بها.. وتسهللي (برأيها) الزواج منه على العكس منها، قضينا معًا إحدى إجازات نهاية الأسبوع في مخيم (نسائي).. أخذنا
نعد النجوم معاً في العراء وتحت السماء متمينة كل واحدة منا أمنية...! راجين من النجوم أن تلمع لتفتح الأمنيات...
تمت مثيرة أن تتزوج زيد وتنت لي أن أتزوج...
قالت هيفاء حينها: مثيرة!.. تخيلي (تضرب) الأمنية بالغلط!
وتتزوج جماله من زبيد...
صاحبت مثيرة وهي تضنيني بمعطفها: والله لأذبحها...
قضيننا ليلتنا (البنانية) تلك تحت السماء، نحلم أحلاهما حمقاء...
تمتمنين تحقيقها...
كانت أحلامنا تتجاوز النجوم فلم يتحقق منها شيء...

***

في أول شهرين من بعد سقوطي ذاك...! لم أصدقك كثيراً،
رأيتك ست أو سبع مرات في الجامعة...! كنت أدير ظهري في كل
مرة أراك فيها مهرولة إلى الناحية الأخرى وكأنني مطلوبة أمنيةاً
تخشي أن يقبض عليها...! لقد كنت رؤيتك توجعني... تعمر مزاجي
لأيام...! رؤيتك كانت تثير في نفسي الألم!...! لم يخفف من وعجي
ذاك سوى وجود زيد يا عزيز، كنت أتصل به في كل مرة أصادفتك
فيها محاولة أن أنشغل عنك باهتمامه بي لكنني وفي كل مرة أغلق
معه سماعة الهاتف...! يتراءى لي وجهك، يتردد في ذنبي صوت ك
وكأنني لم أتمكن أن الهو عنك أبداً... أفتح جهاز حاسوبي
لأستعرض صورك المحفوظة فيه، ابتنس أمام كل صورة تشع منها
ابتسامتك المضيئة... وأعيس أمام كل صورة ترفع فيها أحد حاجبيك
بغوره...! كثيرة هي صورنا معاً، التنقطا الكثير من الصور خلال
سنواتنا معاً وكأننا زوجان...! لم نخش أن نفقد صورة ولم نلق من
في كل لحظة من حياتنا تستجد أمور، لكن ذلك لا يعني أن ننسى وعودنا، فلماذا ننساه؟ كنت أتجلب رؤيتك في الجامعة، لم أشأ أن تلتقي أبداً! لكنني، ومع هذا كنت أدخل برنامج (المسنجر) في كل يوم أناكد منه وعودتك، وأنتظر خروحك حينما تكون متصلاً بالبرنامج، وأنتظر خروحك حينما لا تكون متصلاً.

من خصائص البرنامج خاصة (الحظر/ المنع).. حظرت عليك رؤيتي متصلاً في وقت اتصالي، كنت تغير اسمك كثيراً. تضيع أبيات شعر حالكة السوداء.. كنت أعرف بأنك لم تكن في حالة جيدة يا عزيز.. من المضحك أن أدعى معرفتي بك بعد كل هذا! لكن قلبي أحب أن تكون لست بحال جيدة.. أخبرتي مرة.. أنك لا تختبر أبيات ابليا أبى ماضي إلا في حالات المحبة وابتك لاشعر يا تلتقي أبيات نزار في حالات عشق حادة.. مضى وقت طويل على أبيات نزار يا عزيز.. منذ أن تركتني.

استلقيت على رفاتي وضعت حاسوبك المحمول إلى يميني.. كنت أقول ابنك، فقط اسمك.. اشتكفت إليك كثيراً يا عزيز.. اشتكفت لرؤية اسمك متصلاً، اشتكفت للحديث معك، اشتكفت لشجارنا معاً.. لتدليك إياي، اشتكفت لأن تتشاجر بأسمائنا في المسنجر دون أن نتحدث.. اشتكفت لأن تغازلي علناً باسمك يا
عذراً.. قلت لي مرة بأتيك كالشمس، لا نشعر بقيمتها إلا بعدما تغرب وتغيب.. مضت فترة طويلة يا عزيز من دون شمس.. فلن أهمالك، أتفرج في نظرة بديل!.. أفكري في دفع مختلق.. وضوء مصطنع؟!..

كانت عيناي معلقتين بالشاشة حينما غيرت اسمك فجأة..

كتبت: (عيد سعيد جمالان، قبل الزهرة!).

تبقي على العيد أكثر من ثلاثة أسابيع فلماذا تستعمل تهنتتي به!.. لمما الآن!.. وكأنك تدرك بأتيك على الجهة الأخرى أرقبك طوال اليوم، أرسلت إلي برسالة على هاتفي!.. (أعرف أنك حاظرتي!). كنت بقولك عيد سعيد قبل الزهرة!.. غريب أن أتى يا عزيز! أكون أشقت إلي!؟!.. أم تخشي ألا تذكر وجودي في العيد وأن تفوتني تهنتتي حينها؟.. قد أدعى معرفتك!.. لكني لا أدعى استعمال مآرك!.. كنت إليك الرد عشرات المرات، كنت أكتب وأتراجع لأنك من جديد فأتراجع مجددا!.. قضيت حوالي الساعة، أفكر فيما أرد عليك فيه.. أرسلت إلي برسالة أخرى (كانت تهنتة، لا أقل ولا أكثر!).

كانت تهنتة لا أقل ولا أكثر تعني أحد أمرين!.. أما أن تقصد بأن تهنتك تجاملة وأنني لم أعد أعني شيئاً، وإما أن تأتي في الرد عليك أصاب كبرياءك في مقتل!..

الجمنتي رسالتاك الأخيرة فقررت عدم الرد.. ما الذي كان بإمكانك قوله يا عزيز!؟!.. أرد عليك: بأنني أعرف هذا!؟!.. أم أشكرك على تهنتة مبكرة ليست إلا (مجرد تهنتة)!؟!

مضى وقت طويل قالت لي هيفاء بأتيك قاب قوسين أو أدنى من أن أتجاوز علاقتيك! لكني لا أشعر بذلك يا عزيز.. لم أشعر بذلك أبداً يا حبيبي!..
لم أخبر أحداً برسائلك. حاولت أن أتجنب الأماكن التي تتواجد بها عادةً، لكنني ظلت أفكر فيك طوال الوقت، أقرأ رسالتياك كل دقيقة أو ثلاث وكأنني أبحث فيها عن ملامحك، عن صوتك. كنت في غاية الشوق إليك، في غاية الشوق وفي غاية الكره!

اتصلت بك بعدة بضعة أيام، جفت الصبر في عروقي فاتصلت...

لم أتمكن من أن أسبر على شوقك إليك. ضغطت بأصابع ترتعش على أزرار الهاتف وأنا على يقين من أنني سأندم على اتصالي بك...
لكن الشوق ومثلك يعرف بأنه لا قدرة لي على مقاومة ذلك...

أجبتي خلال ثوانٍ.. هلا!

كانت الأجواء حولك صاخبة (كالعادة!)، أصوات مختلطة وآغام ممزقة وسكرب بأعلى صوت...

أهلاً عبد العزيز، كيف حالك؟؟
كيف حالي؟ كيف حالك أنت، ما الذي ذكرك بي؟؟
وهل نسيتك لأذرك؟؟
ارتفعت صوتك باكياً.. لماذا اتصلت؟؟ لماذا اتصلت؟؟ أحاول أن أسألك لماذا تتصلين؟؟
قلت وأنا أحاول إبطال رقبي: أنت من أرسل إلي؟؟ على أي حال أعتذر على اتصالي...

صرخت: لا تغلقي الهاتف...! اسمي! تعالي.. كلميني!
أجبتك بصوت باك: ما زلت معك...
كنت أكذب، لم أرسل رسالتى تلك لأجتنبك.. أرسلتها لأنني أشتكى، انتظرت اتصالك لكنك لم تفعلي!.. أتفقدك جمان.. أكاد أن أجن من دونك...
قلت لك ببعت: أتحبتي إلى هذا الحدا!

198
لحبتي أكثر مني بربتي:

.. صحت من بين دموعك: أنت غامضة!! أعرف هذا يا جمان، يحق لك أن تغضبني مني.. صدقني حاولت أن أبتدأ حاولت أن أنساك للكني لم أستطع.. أرجوك جمان فلنحاول من جديد!!!.. ألم تتعب من محاولاتنا الكبيرة في أن نبدأ من جديد؟!!.. مهمها حاولنا ومهم جرني ستعيدنا إلى حيث كنت يا عزيز.. أتعرف لماذا؟!! لأنك لم تتحني في حياتك قط.. صرخت وأنت تبكي: هذا غير صحيح.. أحبك، أنت نفسي، أعشق التركب الذي تمشين فوقه.. أنت جمانتي أنا!!.. أنت وقع قلبي أنا، وديمي الذي يجري في أوردي.. أخطاء وستسامحيني، ستسامحيني لأنني عززي الذي تحبين، ستسامحيني لأننا لا نفتق.. لأنك مني ولاناني منك.. أرجوك لا تعدلني أكثر.. أنا متعب، مريض.. أصبحت أكره كل ما في حياتي منذ غيابك، أرجوك أعيدني إلى حضنك يا جمان.. أرجوك.. حبك الذي تدعني مفرقا!! أتفهم معني أن يكون حبك مفرقا!!.. أي حب هذا الذي يجعلك تعيش مع غيبي؟ أي حب هذا الذي يجعلك ترسل إليك بأنك تحبني وفي حضنك أخبر أجد أبدا!! أسألك بالحب الذي تدعني كم مرة فعلتها؟ تزوجني واسجنيني.. أسجنيني في بيتك!!.. لا تسمحي لي بأن أخرج أبدا!!.. أظن بأنني باحثة إلى الحد الذي يجعلني أقبل بأن أتزوج رجلاً أعرف بأنه قد مر تحت جسده عشرات النساء قبل!!.. هذا تقديرك لي بعد كل هذه السنوات يا عبد العزيز؟ أعرف بأنه قد مر قبلك على الكثير.. لكنني أقسم لك بالرب الذي بإمكانه أن يحرمني منك بأنه لن يمر بعدك أحد.. أنا على استعداد لأن أقبل قدميك أمام الدنيا ممن فيها لترضى عني وتقبلني
بي ضعي الشروط التي تناسبك.. اختاري الضمانات التي تطمتك.. ضعي الشهود ممن ترغبين على ما بيتنا..! أنا راض بكل هذا..!
والحقيبة التي تزوجتها؟ أطلقها الآن..! سأذهب إلى مونتريال على أقرب طائرة متوجهة إليها، تعالي معي وتأكدي بنفسك.. نذهب أنا وأنت وزياد وهيفاء ومحمد إن أردت!.. لا أعرف، لن أفكر في شيء قبل أن تنتهي منها.. على أي حال.. لن أفسد عليك سهرتك.. قد نتحدث بعدما تنتهي من موضوعك معها .. قلت بخوف: لا.. أنا سأعود إلى البيت الآن.. أنا هنا فقط لأنني جرحت من تجارتك لي!.. سأعود إلى البيت وسأرسل إليك عندما أدخل إلى فراشي.. لتأكد من أنني في البيت.. لطالما أرسلتي إلي لتخبرني بأنك في فراشك وأنت في أماكن أخرى!..
أرجوك صدقني.. سأتصل بك إن سمحت لي..!.. أو اتصلي بباني لتأكدي من أنني في المنزل.. لا لزوم لهذا..
سأرسل إليك حينما أدخل فراشي وسأنتهي موضوعي باسمين خلال أيام.. أرجوك.. تمسكي بي قليلاً، تمسكي ببعض الحب الذي كان يربطك بي.. إن لم تتمكني من التمسك به، اسمحي لي فقط بأن أتمسك بك.. لا تحرمني من أن أفعل هذا.. أرجوك جمامة...
أغلقت الهاتف، وفي قمي تدقفت شلالات من أمل..! تصور يا عزيزا!.. اكتشفت أنني بايضة بالفعل.. حاولت أن أطرد فكرة أن تستمر على سوئك، حاولت إقناع نفسي بأنك ستتغير..
صوتك يقول إنك تحبني ، يقول بأنك ستتغير .. لذا انتظرناك وطالانتخابي!

جاءتني رسالتكم في عصر اليوم التالي بعد انتظرتم نصف يوم (إجمانة). حملت بأنك اتصلت ليلة أمس، لطالما كنت جميلة في أحلامي!)

ظنت بأنك تحلم، ولم أخبرك حتى اليوم بأنني قد حادثتك فعلًا ليلتها!! ثارت لانتظاري بتجاهللك وإبعادك بكون مكالمتي مجرد حلم.. فطالما كنت جميلة في (أحلامك)!

***

دائماً ما كنت تقول بأن الأطفال ليسوا إلا مجرد جواسيس صغيرة الحجم، تجهم كثيرًا لكنك تحذرهم بشدة. تطلب مني دوماً أن أحذرُ الأطفال، وأن لا أذكر شيئاً خاصًا أو هاماً أمامهم .. حينما كنا في الرياض: اتصلت بي عندما كنت ألعب مع (نوف) ابنة خاليي ذات الثلاثة أعوام، طلبت منك أن تتكلمها فرفضت في البداية، قلت لي بأنها ستضحك! لكنني أصررت على أن تكلمها. كانت أصغر من أن تفهم معنى ما يبتغى. فوفقت على مضض. قلت لها أثناء حديثك معها بأنك زوج الخالبة جوجو، وطلبت منها قبل أن تنهي المكالمة أن تقفني.. قلت: بوسي خالة جوجو. قولي لها عمرو عبد العزيز يبي ببي حلوى منك..

سألتك: يعني أيش؟

قلت: يعني تولد لي بنتة حلوة زيكر.

قبلنني بعد أن أغفلت الهاتف ونسنا ما حدث بعدما أوصيت الرسالة.. أو هكذا ظنت..
 كنت في مجلس يغش بنساء العائلة بعدها بحوالى الأسبوع،
حينما أشارت نوف بيدها إلي: خالة جوجو في بطنها بيبى!
ضحكت الموجودات على خيال الطفلة الواسع. فقالت محاولة
أن تثبت لهن صدقها: ما أكذب! عم عبد العزيز علمي!
سألتها والدتها: من هو عم عبد العزيز؟
هزت كفنتها بيراءة: عم عبد العزيز زوج خالة جوجو!
أخذت أفعل الضحك، وأنا أعلن في سري اليوم الذي طلبت
منك فيه أن تكلمها.
قلت لك في المساء: عزيز!.. نوف كانت أن تفتحنا...
قلت لي بانفعال: ألم أقل لك بأنها ستفضحنا!.. بيبى...
الأطفال السعوديون لا يجدون شيئاً كفضح الأسرار. تدركين
أمادهم عشرات الحكبات ولا يحفظون من بينها سوى الحكاية التي
تسيء إليكم.. وكأنهم يعرفون بأن في هذه الحكاية سراً. أو أن فيها
ما يسيء!...
والحق يقال بأنهم هكذا!.. قد لا تذكر يا عزيز بأن أسوا ما
في مدینتا (برايي)!.. هو أن أجر على أن أحدث حبيبي بصفته
امرأة.. وأن نخبر (هو) على أن يحدث معي بصفتي رجل..
مصرطون!.. يعسفي أنيا مضطرون على أن نتحدث بهذا
الشكل حينما تكون وسط جميع من الناس.. يعسفي أنيا مكرهون
على إلغاء هوية الآخر الجنسية حتى لا يصادر الحب، حتى لا
تضرر إنهاء العلاقة.. أو لفقدان احترام الآخرين لنا...
 كنت مع صديقاتي في أحد المطاعم، عندما اتصلت بي..
سألتك: أين أنت الآن؟
قلت لي بأني في طريقك للكصم..
سألتك من دون أن أنتبه: أنتي اللي تسوقين؟
ذكر كيف أن صديقي انفجر ضحكًا. كان سؤالي في منتهى السذاجة، كان من الغباء أن أسأل فتاة إن كانت تقود سيارتها في بلد لا يسمح فيه بقيادة المرأة! حاولت أن أضرع لهن الموضوع بعد أن أغلقت الهاتف بشتى الطرق. تحتجت بأتي اعتدت على أن النساء يقدن السيارات في كندا. وبأتي نفسي أقود سيارتي هناك. لكن أعداري كانت مضحكة بالنسبة للفتيات يمررن بالوضع نفسه وبذات الظروف ويعانون من المأساة عينها!

ذكر أنك أخطأت الخطأ نفسك بعدما باليام. كنت في المزرعة مع أصدقائك. اتصلت بك لأطمئن عليك. كنت تتحدث معي باقتضاب وعلى أني رجل! عرفت بأنك مع أصدقائك من صيغة المذكر التي كنت تحدثي بها. فأنثرت أن أتصل بك لاحقاً كي لا أحرجك. قلت لك قبل أن أحيي المكالمة بأنني أحبك.

أجنبي: وأنا أيضاً أحبك.
ذكر كيف أخذت أصوات أصدقائك تتعلقي ساخرة حتى أنك نفسك انفجرت ضحكًا. كان الموقف سخيفاً وقتذاك. لكني الآن أجده مؤلماً للغاية.

أحب تلك المدينة يا عزيز! لكني لا أحب أن تصادر فيها مشاعرنا. قلت لي مرة بأن الحب في بلدينا يرضخ لقمع المجتمع ولديكتاتورية التقاليد. قلت لي بأن الحب في مدينتنا ثورة يائسة. وانقلاب فاشل. لن يكتب لهما النجاح إطلاقاً!
لكنني وعلى الرغم من كل حكايات الحب الفاشلة التي شهدتها. أدرك جيداً بأن الرياض تنبع عشقاً و بأن الآلاف في مدينتنا. يعيشون على حب و يمولتون على آخر. وبأتي نحمل مدينتنا ذنب قسوة تصدر على الرغم منها.

أتذكر...
كنا في الرياض، في إحدى الليالي الممطرة القليلة التي قضيناها هناك، كنت في حجرتي، مجلس إلى طاولة المكتب... متكنّة على النافذة وعلى أذني سماعة الهاتف... ولقد كنت على الطرف الآخر من المدينة... متكنّا مثلي، متضياً كما كنت متضيئاً سألتني ليلتها ونحن نرقب المطر في ساعات الفجر الأولى وقبل أن ينزع النور: جمان! كم من عاشقين في الرياض يسهران الآن مثلنا على الشباك...؟! أجيبك لا أحد يا حبيبي، لا أحد...
قلت بحراكة: أنظري جمان! أنظري! كلهم نائمون! ليس هناك من مستيقظ سواهنا... أنا وأنت في كل هذه الرياض...! تذكر دوماً بأننا قد سنهرنا ليلة على شبابيك مدينة وشهد زائر نادر الحضور على حبنا العظيم بينما كان أهل الرياض نائمين يغطون في نومهم ببرود...
ليلتها... كنت أنتظر من على علو إلى المنازل، كنت أرى أضواء المنازل المطّفأة وروحي تحلق يدحر في سماء المدينة... شعرت ليلتها بأننا العاشقان الوحيدان في هذه الرياض، ويأن مدينة جافة كمدينة لا تشهد يوماً على حكايّة حب تشبه حكايتنا... ونسيت يا عزيز.. نسيت بأن غرفتي لم تكن مضاءة كغرفتي المطّفأة الأضواء، كمئات الآلاف من الغرف في ذلك الوقت، في تلك المدينة...!.. لا أدرى يا عزيز... إن كان من الطبيعي أن يشعر الحب بأنه لا يوجد في الدنيا سواء وشريكه في حالة حب... لكننا لطالما شعرنا بهذا، ظننا ولفترة طويلة بأنه لا يحب عاشقان بعضهما كما كنا نرغب نحن... لكنني أعرف اليوم بأن العشق لطالما عظر أجزاء الرياض بنا ومن دونا!

204
طلبتك مرتاً... أن تتعمق في أحد المطاعم، في أعلى مطعم موجود بأعلى ناطحة سحاب في الرياض... رجوت أن تفعل... كنت أرغب في أن ترى مدينتنا من علوها! أن تشعر بها، بشوارعها وأيضاً حبيها وكل ما فيها... كنت على يقين من أن رؤيتها بهذا الشكل ستأثر بك...

اتصلت بي وقتذاك، قلت: جمان، أنا في المطعم... جميل وهادئ... وإلههم للكتابة...

سألت: أترى كم هي رقيقة مدينتنا؟
قلت لي بسخرية: والله ما أشوف إلا غبار! انكم صديقي!
صحت فيك بغضب: ولدا!...
قلت وأنت تضحك: والله إني صادق! تبيني أذك بالله!
وقول أه شايف وأنا ما أشوف إلا غبار؟
قلت لك بخصوصية: خلاص، مع السلامه... أنا بقفل الحين!

قلت وأنت تضحك: والله إنك مشكلة! إذا كذبت تزعين، وإذا قلت الصدق برضو زعلتي... ما عرفتك لك والله...

أعرف بأن رجلاً مثلك لن يتمكن من أن يكمل حياته في مدينة كمدينةنا، أعرف بأنك لن تعيش فيها... ولا حتى قريبًا منها... تختلك الرياض يا عزيز، تختلك الرياض ومن فيها...

أرسلت إلي في إحدى لياليها بإحدى قصائد نزار قباني، كتبت:

لماذا في مدينتنا...

نعم طهوراً ونزولاً...
وستعملي الرسائل والمشاعر
لماذا في مديتنا ..
يصيدون العواطف والعصافير ..
لماذا نحن قصير ..
ومن يبقى من الإنسان ..
حين يصير قصير ..
لماذا نحن مزدوجون ..
إحساسًا وتفكيرًا ..
لماذا نحن أرضيون ..
تحيون .. نخشى الشمس والنور ..
لماذا أهلك بلدتنا ..
يمزقهم نتائجهم ..
في ساعات يقضيتها ..
يسرون الضفائر والتنتاب ..
وحين الليل يطوبهم ..
يضرون التصاوي ..
أساليب نفسية دائمة ..
لماذا لا يكون الحب في الدنيا ..
لكل الناس .. كل الناس ..
مثل أشعة النور ..
لماذا لا يكون الحب مثل الخبز والخمر ..
ومثل الماء في النهر ..
ومثل النسيم، والأمطار ..
والشمس والذروة ..
أليس الحب للإنسان عمرًا داخل العمر ..!
لم أرّد على رسالتلك.. وضعت رأسى فوق وسادتي وأنا أفكر
في الأرض التي (قد) تجتمعنا.. دائماً ما كان هذا هاجسي يا عزيز..
لطالما كنت أخشى أن نكمل ما تبقى لنا من حياة بعيداً عن
الرياض، كان حلمي أن نعيش فيها.. وأصبح هاجسي أن نعيش معاً
في أي مكان يجتمعنا!...
لكنني أحبها يا عزيز.. أحبها!.. المدينة الأقصى التي لا
تشاهدها في قسوتها مدينة أخرى على اتساع هذا الكون.. مدينة
خلقت في نفسي طهراً وحباً وطيبة.. ولم تتخليق في أعمالك سوى
الفسو، مدينة جعلت مني امرأة هشة، بكسرها أي شيء، وجعلت
منك رجلاً صلباً يحطم كل شيء!.. خلقت لدى الظهر ليلوثني
عهرك وخلقت فيك الكره لينهار أمامه حيٌ..
ألومك كثيراً على كرهك لمدينة جمعنا هواها في طفولتنا
وتلومني كثيراً على دفاعي عنها، أنني الذي هربت منها تاركاً وراءك
كل شيء يربطك بها.. وأنا التي أطل عليها بين الحين والآخر
لأتأكد من أنها لا تزال بانتظاري!...
هل ستتأثر لي تلك البعيدة!.. وتنصفي من رجل يدعي أنه
منها.. ولا يحمل في أعماقه شيئاً من همومها الكثيرة؟!
سأتلك مرة: ألا تحمل للرياض شيئاً؟!
أجيبني وأنت تطعم السمك: نسبت كل شيء كنت أحمله لها
في مطارها الدولي..
يومها كنا نظل على أحد أحواض الأسماك.. كنت أرمي
للاسماك بفناط من الخبز فتأكله، أما أنا فكنت تحمل ببدك على
لبان.. تبسط بعضنا منه وتزيره على أمل أن تأكله إحدى السمكاء
فتنطق فهما على اللبن وتموت!..
سألتك بغضب وأن أضرب يدك التي ترمي اللبان إلى الحوض: والد!.. لماذا تفعل هذا؟
قلت وأنت تهز كنفيك بسراقة: أبغي أشوف شكل السمكة لما تغصّ!..

يومها غضبت منك كثيراً يا عزيز، غضبت من أجلهما.. من أجل سمكة ضعيفة ومدينة عريقة لا تكثت بهما ولا يربطك بها شيء...

***

طلب مني زياد المساعدة متتراكماً بخلل أصاب جهاز حاسوبه.
لقد كان من الصعب علىَ التنصل من مساعدته.. أنا التي أفهم في عالم الحواسيب أكثر مما أفهم في عالم النساء.. كان من الصعب على رفض مساعدته خاصة وأنني متخصصة في برمجة الحاسوب.
قابلته في أحد المقاهي البعيدة لأنني لم أرغب بتدنيس أراضي محبتنا بلقائي أي رجل غيرك وإن كان قديساً في نظري.. كзиاد كنت أحاول استرجاع بعض ملفات النظام التي قام بحذفها، بينما كان صامتاً يدور بسبابته على كوب القهوة بهدوء.. شتان ما بين صمتك وصمت زياد! صمت صاحب، عنيف ومخيف.. بينما يبدو صمت زياد وديعاً مطمئناً، يمنحك صمت زياد مساحات شاسعة من الحرية، يشعرك وكأنك تجلس لوحدك، لا يشعرك بوجوده قط ما لم ترغب أنت بذلك..

تنشقنا رائحة عطر نسائي مشيرّاً.. انتفت نحو الفتاة التي مرّت.. كانت تفوق رائحتها إثارة.. كان زياين المقهى يتابعونها
مشدوهين.. نظرت إلى زياد الذي كان يتأمل كوب قهورته بعمق وكنّه يقرأ ما فيه ..
قلت: زياد!.. أرأيت ما رأيته؟
سألني: وماذا رأيت؟
أتيت برأسي إلى حيث تجلس تلك الفتاة!

What about her?
نظر إليها نظرة خاطفة والتقت قلبياً:
حقيرة!..
سألت بذهشة: لماذا؟
أجبته بضيق: إنها حلوة!..
ضحكت زياد بقوة.. كان صوت ضحكته غريبًا .. صوت ضحكة خجولة انفجرت بصوت عال لم يعتد إطلاقه ولم أعتد سماعته منه!..
قال ضاحكاً: يا الله!.. أيش كله أنت تجتنين!..
حاولت أن أغير لمجرى الحديث، فقلت وانا أضحكت: أتدري!.. لى كانت معنا هيفاء لسألت ما الذي تأكله الفتاة لتتصبح جميلة إلى هذه الدرجة...
ابتسام: أخبريني أنت.. ما الذي تأكلته عادة؟
قلت وأنا أضغط على لعنة مفاتها جهازه: أنا وهيفاء.. تأكل الأخضر والياس..
عاد زياد إلى صمته مبتسمًا.. رقيق هو صمته.. يفتح زيد..
لشريكة في الحديث أبزاب الثروة على مصراها لينصت طويلاً..
ولا شيء أكثر، يجيد الصمت والإنصات كما لا يجيده أحد!
أخذت أتأمل زياد.. كان من الواضح بأنه يفتح في فنجان قهورته عن مدخل، عن خيط، عن فكرة .. كانت طواحين الأفكار تدور في رأسه!..
قلت: زيد...! أتود أن تخبرني عن شيء؟

ابتسم ابتسامه خفيفة؟

عرفت لأنني عبقرية! حدثني الآن عمّا يدور برأسك...

عمرك أحد الأقراص المدمجة بيده وقال بصوت خافت وهو

يراقب انعكاس صورته على القرص ومن دون أن ينظر إليّ

divorced!..

Who?

قلت وقلبى ينبض بقوة:

عبد العزيز وزوجته!...

قلت له وأنا أحاول لملمة نفسى: وما شأني بهذا؟

اعتدل زiad في جلسته: أنا قلق!... أعرف بأنه سيحاول

استرجاعك...

زيد أنت تدرك بأنني لست من أملاك القيرواني المفقودة...

ليسترجعني!...

صمت قليلًا وقال: تناجرنا اليوم!...

ازدادت نبضات قلبي خفقانًا: أخبرت عبد العزيز بأننا نتحدث

معًا؟

قال ببهجة أمّ: أنت خائفة من أن يعرف بآنا على اتصال...

لا أريد أن أفسد علاقتكم يا زiad!...

لا تخافي... ثق بي!...

قلت له محاولة تطرية الأجواء: تعرف زiad!... هيفاء دايم تقول

إذا تبين تخبرين صداقة شايبين... دخلي " بنية " بينهم!...

قال مثتسما: أتعرفين!... هيفاء أكثر حكمة مما تبدو عليه!...

مرت الفتاة المثيرة تلك بالقرب منا في طريقها إلى الخارج،

فالتقى زiad هذه المرة.
Honestly!.. she is not bad... she is cute!

وضحكت كثيراً من زياذ الذي يصف امرأة صارخة الجمال بـ Hot ومن رجل يصف كل امرأة نقلبها بـ Cute! ضحكت من هذا الفرق الكبير بينهما...

***

كعادتنا في كل ليلة سبت.. أجيء إلى بيتك لتشاهد فيلماً أو برنامجاً معاً...

في كل ليلة تتابع فيها برنامجاً أو مسلسلاً.. تضطجع أنت على الأريكة خلفي.. بينما أجلس أنا على الأرض أمامك مستندة إلى الأريكة.. واضحة خلف ظهري.. وسادتك الحمراء تلك.. دائماً ما كنت تتبع من فوق.. ودائماً ما كنت أتابع من الأسفل.. تعبت بخصلات شعري بينما ألبب أنا برباط شعري دوماً قبل أن تطوله يداك وتسدله لتتعبه به!.. هكذا هي طقوسنا في كل مرة.. دائماً ما كنت متفرداً بالاستيلاء على جهاز التحكم عن بعد لأنك (الكبير) على حد قولك!.. وفارق العمر هذا يمنحك الكثير من المميزات والصلاحيات!.. تأخذ الجهاز معك في كل مرة تذهب فيها إلى الحمام أو حينما تنهض لتحضير شيء تأكله.. تخشى أن تستولي على الجهاز وأن لا أعيده إليك.. لذلك تحمله معك أينما ذهبته...

تضع يديك على عيني حينما يمر مشهد حميم سريع.. وتسرع اللحظة عن طريق جهاز التحكم إن كان طويلاً.. وتأتي طفلك تخشى أن تنسها رؤية حدث حميم!..
Ghost whisper...

ابتعنا تلك الليلة... سلسلة حلقات مسلسل

تدور قصة المسلسل عن شابة قادرة على رؤية الأرواح العالقة

في الحياة الدنيا والتي لم تتمكن من العبور إلى الحياة الآخرة!

كانت مهمة الفتاة تقضي مساعدتهم على العبور وذلك من خلال

تخصيصهم مما هم عالقو بسببه... دائماً ما كانت الأسباب مرتبطة

بأشخاص آخرين... زوجة غائبة... حبيب حزين... والد حائر... أو

قاتل يرتجى الانتقام منها!

كانت قصة إحدى الحلقات تدور عن محب عالق لأكثر من

عامين... كان عالقاً بسبب حبيته الحزينة... توفي متحمراً إثر خلاف

حصل بينهما... وقد كانت حبيته مكلمة ويبهاء إلى درجة رهيبة!

كانت الأحداث مؤثرة للغاية.

اعتلت في جلستك بعدما أتهي عرضه وقلت: جمان...

أظنين بأن هذا يحدث...؟

ما الأمر الذي يحدث...

هذا.. كل هذا...!.. أرواح عالقة... تعشح حولنا... تحاول أن

توصيل إلينا رسائل ولا تتمكن من إيصال شيء لأنه لا وسيلة بيننا...

لا أعرف... إنه عالم مهم يا عزيز... لا تفسير واضح له...

اختلاف العلماء في الروح كثيراً.

ألم تفكر يوماً في ماهية أرواحنا...؟

قرأت الروح لابن القيم الجزويه... لكنني لم أقدر على تخيل

الروح أو تصويرها في مخيلتي... أشعر بأنها من أثير ولا شيء غير

هذا...!

سأطلب من جمان... لو مات...!.. تخيلي أني مات... أظنين بأني

سأتواجد حولك...؟

أشتقت بوجهين بانزعاج: تعرف بأني لا أحب سيرة الموت...

212
بعد صمت قلت: إلهي يا جمانة...! كم من الصعب على
المرأة مراقبة المرأة التي تحب من دون أن تشعر بوجوده. من دون
أن يكون مرئياً، ملموساً، محسوساً. لا أتصور تفتيش على
السرير وأننا نائم بجوارك من دون أن ترين أو أن تشعر بي!... لا
أنخيل كيف من الممكن أن أرايك وأن ترفعين سماعة الهاتف.
لتحديثي مع رجل آخر وأنا أنصت... إلهي يا جمانة... كم سيدمي
هذا قلبي!...

اعتقدت على ألا أفكر بشيء سبيء قد يحصل...
استرسلت وكأنك لم تسمعني: أندري ما الأكثر وجةً يا
جمانة!... أن أشهد على حزنك عالي، أن أراك كل ليلة وأنت
تنتحبين وحيدة في فراشك، أن أرايك وأن تقررين رسائلي.
تأملن صوري القديمة... أن تديري التسجيل لستمعي إلى الشريط
الذي سجلته بي بعض الأغاني بصوتي!... لا قدرة على تصور الألم
الذي سأشعر به وأنت تفعلين!
وضعت يديك على جانبي رأسك وبيعت فجأة!... كنت جالسة
على الأرض. بعيداً عن الأريكة... أذكر أنني حبوب على ركبتني
حتى وصلت إليك، مسحت على شعرك بيدي بانفعال وقلت:
حببي! لماذا تفكر بالموت الآن؟!... أنظر إلينا، نحن معاً... 
قلت من بين دموعك: أعرف بأنني مذبتك في حياتي... لا
احتمال فكرة أن تذبب غايبي وموتني أيضاً يا جمانة... 
قلت لك وقد دمعت عيني: اعتني بي إذا!... حتى لا تذببني
بكلا الحالتين....

أعرف أنك (يوجع القلب)...؟ أنت وقع قلبي!...
قلت لك مذابة: خلاص حبيبي... من الآن فصاعداً لن تتفرج
لا على أفلام الرسوم المتحركة...
ضحكت بقوة، ودموعك لا تزال على خديك فمسحتهما
بيدي... قلت مبتسماً: لو تعرفين كم من المرح أن أبيك أمامك!...
هذه العقدة الشرقية الوحيدّة التي عتقك الرب منها!
أبشرك... هي عقدة من عقدي!.. ما زلت أرى في بكم الرجل
بشكل علنيّ ضعفاً لا يقبل.. ما بالك إن بكي أمّة امرأة؟
ولماذا تبكي أمّة إن كنت ترى في بكائك ضعفاً؟!
لأنك حبيبي، لست بأي امرأة.. أتدرين يا جمان.. قد يخجل
الرجل من التعري أمام زوجته لكنه لا يخجل من التعري أمام
المرأة التي يحب.. وما البكاء سوى تعرّ، أشعر الآن بأتيٰنٌ عارٌ
أمامك ولا يخجلني هذا العري على الإطلاق...
قلت لك مبتسماً: أحبب عزيك المحتمش هذا!
وافق أن تحبي عمري.. يحب الرجل أن تحب امرأتة تعريه
الكامل أمّامها .. أن يتعري أمامها من كل شيء.. وليس من قطع
الملابس فقط ..
كنت أستمع إليك وأنا أمسح على شعرك لتهدا.. حينما لمعت
عيناك فجأة وقفت بشقاوة!: هل من الممكن أن أخبرك شيئاً؟!!
قلت لك وأنا أضحك: كلا...
ضحكت... يا شريرة!.. كيف عرفت..؟
لأنك عادة لا تستأنذني في قول لائق!
تنهدت براحة: ألم أخبرك بأنني عارٌ أمامك؟
كان (عزيك) ليلتها أظهر عري يا عزيز.. لو تدري كم أحببت
عزيك وتعريك أمامي.. أشعر أحياناً بأن ما يسترك هو ما يعبك وما
يجعلك حالاكا.. تغطي نفسك بمظهر عابث، غير مبالٌ.. كذبة هنا
تغطي عورتك وخدعة هناك تستمر ما بقي من جسدك المكشوف...

214
أنت استيقظ، لا تفهموا الطريق ولا تفهموا نتيجة استيقاتي بهذا الشكل!!

أخذت تضرب بيدها على خدي: جمانة، شنو ماتسمعين؟!؟!

أقولك عوز على الباب!!
كان صوت جرس الباب عاليًا، بالإضافة إلى صوت هاتفني المحمول، صوت نغمتي التي لم أسمعها منذ أكثر من شهرين.
قلت لها وأنا أبعدها عنى محاولة العودة إلى النوم، وأيش أسوي له يعني؟؟

سجبتني من يدي بقوة: شنو شتسوين له!! أقولك هالخبل واقف على باب شقتنا، قومي شوفي شبيبي، ردي على تليفونك لا يسوي لنا مصيبة.

سجبت هاتفني وأجيبتك وأنا لم أفهم شيئاً سوى أن الباب يقرع!! كان قلبي ينبض بقوة، فجعتني طريقة هيفاء في إيقاظي فلم أتمكن من أن أستجمع أفكاري!!
قلت: أنا على الباب منذ حوالي الخمس دقائق!! فلتفتحي لي الباب.

قلت و أنا أفرك عيني لاستيقظ: ما الذي تريده؟؟

أفتحي جمان...
اغلقت الهاتف في وجهك وقمت لأفتح الباب، شدنتي هيفاء من يدي: أمجنونة أنت؟؟ أستفتحي له الباب؟؟
سجبتها وقلت ونصفي "نوم؟" لا تخافي!!
فتحت الباب لأجدك أمامي مختلفًا، كنت تبدو كرجل مريض!! كنت ذابلاً، نقف أمامي بإرهاق، ننظر إلي بعينين
لحبتي أكثر مما ينبغي

منطقتيين، أنا التي لم أشهد إلا على اشتغال عينيك ولم أحظى برؤية خمودهما حتى في حالات حزنك ومرضك.
سألتك بدهشة وقد حزنتي رؤيتك فأيقظت كل خلية لدي:
عزيز!.. ما الذي تفعله هنا؟
قلت برجاء: جماحة.. أرجوك تعالي معي، أحتاج لأن أتحدث إليك.
إلى أين؟
إلى أي مكان نجلس فيه وحدنا.
ليس هناك ما نتحدث به.
جئتني بقدمي يا جماحة!.. أن تستمعي إلي لدقائق؟
قلت لك بعد تفكيري: انتظرني حيث الكرسي على الرصيف المقابل.. الكرسي المقابل للعمارة.
 كنت كمن جاء من الموت.. خشيتي أن تعود فهرعت إلى غرفتي لأغير ملاسي..!.. خشيتي أن أنزل فلا أجدك، أن تركني من جديد وأن تهرب كالعادة!
كانت هيفاء تؤبنى خلف الباب.. كانت خائفة علني منك.
تخافك هيفاء كثيراً وإن كانت لا تعترف بهذا.. حاولت طمأنئها ولكنني لم ألق منها سوى الشتائم.. فبادلت شتائمها بآخر.
عندما نزلت إلى الشارع وجدتك واقفاً على الرصيف.. كنت تدخن بجوار الكرسي.. أطفأت سيجارتك ما أن اقتربت منك، جلست على طرف المقعد.. لكنك ظللت واقفاً، تعبر ببحير على الرصيف من دون أن تنطق بشيء.
سألتك: استمر على صمتك؟
وضعتي يديك في جيبي معطفك، وجلست على مرقد مني لكن دون أن تتكلم...
أجتني لتسمعي صمتك...؟
هزت برأسك ناحية ومن دون أن تلتفت إلي: لا...! جئتني لأنني أشتقت لراحتك...
لا أظنك أشتقت لراحتي.. ألم تقول لي يوماً بأن روائح النساء تشابة؟! لا أظنك تتفقد النساء! للكن لست بامرأة يا جمان.. أنت ملانكية...! أشتقت لراحتة
السماء في مساماتك...
أطرقت بمست، أخذت خفقات قلبي تتفد تدريجياً.. بدأت أشعر بأعصابي تتمدد وتترابط.. شعرت بأنني لم أبعد عنك قط.. على الرغم من شوقتي إليك وعنتي عليك.. وفضحي منك...
تطلقتنا !..
النفت إليك: ماذا..؟
تطلقتنا!.. طلقتهما..! لن أقول لك بأنه قد انتهى كل شيء...
لانه لم يكن هناك من شيء ليتهي..
جئت لتتخريني بأنك تركتها إذا..
بل جئت لأن دروبنا تلقيني دوماً مهما افترقت..
ماذا لو قلت بأن في حياتي شخصاً جديداً؟
انحنيت إلى الأمام .. انكتت بمرفقتك على ركبتينك ولم ترد..
أخذت تتأمل المارة بصمت وبخار بارد يتصاعد من فتحتي أنفك..
شعرت به كدخان.. دخان الحرائق المشتعلة في نفسك..
سألتني: ما الذي تتأمله..؟
الحياة!..
قلت لك بسخرية: إن التأمل في الحياة، يزيد أوجاع الحياة..
لا، جيران الذي قال!
قلت مبتسماً: أرأيت...! أنت أيضاً تعيشهم.
When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

When we love

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Когда мы любим...

 Cuando nos amamos...
أسرت بسبياتك إلى شقتنا في العمارة المقابلة: هيفاء متعلقة
بالنافذة منذ حوالي النصف ساعة.. لما تفعل هذا؟
التفت حيث شقتنا فوجدت هيفاء معلقة بالنافذة كحامية سجينة
تحاول أن تتنفس هواء الحرية.. انفجرت ضحكاً.. ضحكت من
صعوبة سؤالك الأول وسخافة الثاني..!.. وعلى منظر هيفاء التي
كانت تحاول استراق النظر...
قلت بابتسامة: أتعرفين بأن ضحكتك ترن في قلبي؟!
مسحت دموي المنهرة من شدة الضحك بيدي وآنا أنظر إلى
هيفاء التي أعرف بأنها تكاد أن تموت من شدة فضولها لأنها تريد
معرفة سبب ضحكتنا المفاجئ؟! كنت تتأملني مبتسماً لكنني لم
أتمنك من أن أطيث النظر إليك.. كأن هناك ما يقطع اتصالنا
البصري.. شيء من حزن وغضب وعبث.. خيبة!.. شعرت بيدك
تمسح على شعري فالتفت إليك...
سألتي برقة: شعرك رطب!.. آلا تشعرين بالبرد؟
بل...
خذي معطفي...
لا داعي لهذا.. شكراً...
أرجو أن تأخذه!..!.. أحتج لأن أسترده منك قريبًا...
لا داعي لهذا.. سأدخل إلى البيت الآن!...
والحق بأنني خشيت أن تراني هيفاء وقد أخذت منك معطفك،
خشيت أن تقيم الدنيا وتقعها فوق رأسي.. ولم أكن على استعداد
لأن تعكر مزاجي...
جمانة!..!.. ما رأيك في أن نصبح صديقين؟
قد تتحول الصداقة إلى حب يا عزيز.. لكن الحب لا يتحول
إلى صداقة إلا إذا تدخلت المعجزات...
سنكون صديقين إلى حين يا جمان.. حتى أسترد حبك لي..
لا أعرف...!.. ربما...
ابتسمت بركة.. وقد لمع في عينيك بصيص من نور...
تركت خلفي.. وصعدت إلى شقتنا.. فوجدت هيفاء بانتظاري
على السلم، كانت واقفة.. واضحة يديها على خصرها.. كطفة
معاقبة معاندة..
جمون!..
هيفاء! أرجوك.. لا داعي لأن تقولي شيئاً..
حسنًا جمانة!.. لن أقول شيئاً.. ستذكرين يومًا بأنني قد حذرتك
من هذا الرجل وتأتي لم تستمعي إليّ..
تركت هيفاء خلفي كي لا نتشاجر، ذهبتي لأرد على هاتفني...
كان زياد المتصل..
قال: جمانة.. أين كنت؟..
ولماذا تسأل؟؟

Because I miss you....
قلت بصمغة: زياد أرجوك.. لا تنس بانتي كنت على علاقة
بصديقك.. أرجو الأني تنسى هذا والان لا تتجاهلها!
صمت قليلاً وقال بصوت مكتوم: أليس غريباً أنني من يحاول
نسان وتجاهل هذا، بينما أتى أن أرى نسانيه؟!؟
زياد أرجوك، لا أرغب بتوريطك!
لقد تورطت بالفعل.. فلا تتحدث عن توريطي الآن...
لا أريدك أن تتورط أكثر.. لن أسامح نفسي لو خسرت عبد
العزيز بسببي يا زياد...
لا تخافي جمانة.. أنا من سيتحدث معه.. لا شأن لك بالأمر،
أنا من يرغب بك!
لا يا زياد، لن أسمح لك بأن تجازف... كلنا نعرف عبد العزيز!...
أنا لم أخطئ بحقه يا جمانة حتى أخفى. سأتحمل نتيجة الموضوع وحدي فلا تخافي... قلت له بحزم: لكني لا أرغب بالاستمرار في هذه العلاقة يا زياد!
As you like Jumanah: قال بخيبة:
أمل ألا تستاه.. أرجوك...
It's ok.. It's ok Jumanh,
أرجو أن تفهم يا زياد بأنني أحاول تجنبك الألم...
 كنت على يقين من إنك ستعودين إليه! ...
 زياد... لا شأن لعزيز بما أقوله لك... أخشى أن تتورط معي بعلاقة لا ينتقص التورط فيها...
قال بمرارة: إنها لقصيمة ضيزي(1)!
 زياد...
صدقيتي إنها لقصيمة ضيزي... كلاكم ظالمان...
أنت صديقي الوحيد يا زياد، تدرك كم أحبك. أرجو ألا تغضب مني...
جمانة... أنت على شفا جرف عميق، صديقيتي لن ينقذك أحد من عزيز بعد اليوم... إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأنت لن تتغيير فكيف تظنين بأن الله سيغير ما في نفسك له!
 زياد... تدرك بأنك من أقرب الناس إلى قلبي... قلت لي مرة

(1) ضيزي: جائرة أو ظالمة...
ابن عمر الصداقة أطول بكثير من عمر الحب وأنا بحاجة لأن أحتفظ بك لأطول فترة ممكنة.
لا يأس جمامة.. لا يأس!
قلت بصوت مخنوق: زياد.. لا تحزن.. أنت آخر رجل في الدنيا يرضيني حزنه.
قال بحرف صادقة: سأعتب ما جرى مثلما قال ناجي (وكانما هية السماء قد استردها السماء)، تصبحين على خير.
وهمدنا عدت إليك.. حاولت أن أحتفظ بك قدر الإمكان.. كان من الصعب عليَّ أن أكبر من دونك.. لا أعرف كيف أكبر معك يا عزيز، لم تعلمني كيف أكبر، تجعلني أكبر بجوارك من دون أن تخبرني كيف تفعل هذا.. ضربت برغبة والدتي ونصائح هيفاء وحب زياد عرض الحائط، تخليت عن رضاهم أجمعين وتمستك برضاك.. وحديك لأنني أحتاج لأن أكبر!
أتدري يا عزيز.. تقلت كثيراً عليه، خفت عليه لأنني أعرف بأن زياد أرق من أن يتحمل الجرح.. زياد مختلف عنك.. أنت عتي إلى درجة لا يجرحك شيء، لكنه ليس كذلك.. ليس كذلك على الإطلاق!
كنت على يقين من أنك لن تعرف بما جرى بيننا البينة لأنني أدرك كم هو (رجل) زياد.. لكنني أخذت أتآكل ندمًا، ندمت على قربي منه وعلى إعطائه فرصة العناية بي، الفرصة التي لم أسحقها يوماً..
كم كنا ظالمين وسنين.. لكن الذنب لم يكن ذنب زياد.. فلماذا تلونا عليه!.. لماذا جعلتي أقسم عليه؟!

***
لا يمكنني قراءة النص بشكل طبيعي من الصورة المقدمة. إذا كنت بحاجة إلى مساعدة أخرى، فامض قليلاً وحاول ألا يمنعك أي شيء من قراءة النص بشكل طبيعي.
كنت تفعل وجلسست من دون أن تتكلم. رأيت اسمي متصلاً في قائمة الماسنجر. كنت لي عندما دخلت: طلبت لك ما تشربته، تأخرت عليه ولم أشا أن تضيعي لحظات أخرى في التفكير فيما ستطلبته...

كتبت لك: متي تقلع عن هذه العادة؟
أي عادة؟
أن تختار لي ما أشربه وما أتناوله!
لكنك تشربي المشروب نفسه وتأكلين الوجبة ذاتها في كل مرة...
فلافترض أنني جئت بك بشبهة مختلفة...
نعفترض الآن بأن هرموناتك مختلطة. لأبرك لك مجيئك العنيف هذا.
قد تكون هرموناتك مختلطة. تفهم بأمرجة النساء أكثر مما أفهم!
كنت أسترق النظر إليك بين الحين والآخر، كنت منشغلاً بالكتابة وكأنك تحدث أحداً غيري على الماسنجر. وكأنك لم تكنت تتحدث إلي...
تتجاهل ما كتبته ولم ترد على. جاءت النادلة بالقهوة. كنت أتابعك بعيدي وأنا أرشفها مفكرة فيما تفعله ومع من تتحدث. كنت منشغلاً بالكتابة وكأنك تجلس وحدك لدرجة أنك لم ترفع عينيك ولو لمرة باتجاهي...
ظهرت نافذة استقبال رسالة جديدة على بريدي كتبها أراشك، كان صوت استقبالها عالياً فأفزعني. كانت مرسالة من أحد مواقع البطاقات الإلكترونية التي ترسل إلي عادة من خلالها. ففتحت الرسالة. فظهرت لي بطاقة من بطاقات المناسبات...
كانت البطاقة عبارة عن صورة لحبل غسيل نشرت عليه ملابس داخلية رجالية ونسائية، كتب تحتها (أحتاج لأن أشارك كل شيء حيائي، أفكاري، مستقبلي، عمري، بيتي، أطفالي..) وملابسيا الداخلية!.. تزوجني يا عصية...!.. عبد العزيز.. رفعت عيني إليك، كنت تنظر إلى شاشتك مبتسماً، وجبينك يلمع توترًا. كنت لك على الماسنجر.. يا أخ.. نعم يا أخت؟.. قل شيئاً.. كنت ساخراً: شياً!.. ترى بعضاً.. كنت لي: إخس يا كنتك شرس، صابر تعصب كثير يا مفترس!.. ساحذفك من قائمتي!.. لا، لا.. انظري.. أممم.. فلتقولي شيئاً أنت.. ظنننك تحب حياة العزوبية.. ألم تسمع بمقدمة (يموت الأعزب ميتة الكلاب ويعيش المتزوج عيشتها)?.. أنا مؤمن بها.. ستزوجني إذن لتعيش عيشة الكلاب..!.. قال سقراط يوماً (تزوج يا بني فإن وفقت في زواجك عشت سعيداً وإن لم توفق أصبحت فلسوفاً..) أطعم بالفلسفة يا حبيبي، لا ينفسي في حياتي سوى الفلسفة.. تزوجني، أجعلني فريدة.. طنيي عيشتي واجعلي مني فلسفياً كما فعلت كاستايبو بسقراط..!.. كتبت: أنت من جدك تبني تزوج؟.. قدك أنا علشان استهل عليك؟..
فيما نزل إلى الرياض!
بعد أسبوعين؟
كتبت وانت تبتسم: أربعة عشر يومًا، لا يزيدها يوم.
دخلت إلى الموقع الذي أرسلت لي منه، اخترت البطاقة
نفسها، أعادت إرسالها إليك بعدما كتبت تحتها!

***

فوجئت بقصتك ذلك الصباح، نشرت قصة قصيرة تلك المرة.
الجنب الذي لم أكتشفه فيك يومًا، لم أتخيلك يومًا قاصيًا يا عزيز. أنت رجل مقالات تجيد الخطابة وتتميّز الكلمات بلا إحساس، قصائدك بارزة على الرغم من بلاغتها. لكنك كتبت قصة
ذلك اليوم ولأول مرة.. كتبت عن رجل أحب فراشة. كان يلتقي
بها دومًا على الكرسي في منتصف الطريق. الكرسي واقعًا بين قريتين وكان الرجل جبانًا لدرجة أنه لم يتجاوز الكرسي يومًا إلى
الناحية الأخرى! كان خائفًا من المجهول ومن يخبره الطرف
الآخر من العالم.. حتى غابت الفراشة عنه، انتظرها وانتظراها. ومل
الانتظار منه، ومن فراشة كان من الواضح أنها نست صاحبها.. وفي
لحظة يأس حطت الفراشة على يده، سعد بها وانشرحت سريره
لكنها طارت إلى القرية في الجهة المقابلة! خاف وكبى وفكر لكنته
قرر أخيرًا أن يتابعها وسار إلى الناحية الأخرى!
سألتني يوم ذاك لأول مرة عن رأيي فيما كتبت.. قلت نق: من
يملك القدرة على كتابة قصة قصيرة.. يملك القدرة على أن يكتب
رواية.. فلما لا تفعل؟..
أممم. في ذاكرة الجسد. قالت كاتبتك أحلام مستغانمي على لسان اللثمة حياة. "نحن نكتب الروايات لننقل الأشخاص الذين أصبح وجودهم عيبًا علينا، نحن نكتب لنتهي منهم". ولست لدي الرغبة حاليًا بالانتهاء من أحد.

من الغريب أن تستشهد بأحلام. ظنبنت لا تحبها. يكفي أن تحبها لأحبها. لكني لا أحب شخصيات النساء اللاتي تخلقتهم، في كل امرأة منهن جانب ليهم لا أحبه أبداً. هي تخلقتهم ولاست تخلقتهم يا عزيز.

هي التي توجد هؤلاء النسوة. سواء خلقتهن من العدم أم اختلقتهم من الوجود! ألم تكتب مرة بأن كل "روائي يشبه أكاذيبه"؟ أنا مؤمن بأنها تشبه نساءها وإن اختلقتها أظلت بأن وضعها استثنائي!

تعرفين مثلما أعرف بأن الاستثناء يؤكد القاعدة.

سؤمني كثيرًا شهاب بأبطال قصائدك.

جمال!.. بإمكاني إدعاء الفضيلة لكن هذا لن يقنعني بكوني فاضلاً وإن أقنعتك بذلك.

صمت قليلاً وقلت: عزيز!.. لماذا تكتب؟ أممم. أكتب لأنوازن، لأرفع همومي المتكدسة في داخلي.

لأنثيتي منها ولأطردها بعيدًا عن نفسي.

ظننتك ستقول بأنك تكتب لأنك تحب الكتابة!.. أنت تحبين الكتابة.. زيداً يكتب لأنه يحبها. أما أنا فأكتب لأنه من الواجب علي أن أكتب، من واجبي تجاه نفسي أن أفعل. الكتابة هي الوسيلة الوحيدة التي تعيد توئزيني إليّ يا جمان، أستيقظ كل يوم في حالة تأرجح.. أصحو متشنجاً. بعض مني يحلق هنا.

وبعض آخر يبحر هناك.. الكتابة تعيد إليّ ثباتي..
قلت: يقال بأن عقول الرجال تحت أقلاهم. أظن بأن الرواية الأولى تتضمن من كاتبها الكثير. لا بد من أن تحتوي الرواية الأولى على بعض من أسرار الروائي. يضع الكتاب في إنتاجه البكر بعضاً منه. سواء أكان رجلاً أو امرأة.

أنت قادر على أن تكتب يا عزيز، لا تقسمك سوى الشجاعة. أنظرين بأشياء قادر على أن أكتب شيئاً مختلفاً، شيئاً فريدًا. ومؤثرًا؟

هناك روايات فاصلة. وروايات جيدة وروايات عظيمة.. إن لم تكتب شيئاً عظيماً فأنه على يقين من أنك ستكتب شيئاً جيداً. لا ضرورة لأن تصبح يوهان فون غوته لتصبح كاتباً جيداً، أنت جيد بما فيه الكفاية يا عزيز.

أرأيتها! هنا نختلف أنا وأنت. أحتاج لأن أصبح كـ غوته يا جمان. أحتاج لأن أؤثر في القراء كما أثر فيهم. أحتاج لأن يكون لي تأثير مشابه. ديكنز كتب في أغلب رواياته أكثر من 600 صفحة لكل رواية، أجاثا كرستي كتبت 85 رواية في 85 عاماً قضتها في الحياة! ماركز باع أكثر من ثلاثين مليون نسخة خلال مئة عام من الخدمة. ترجمت روايته لعشرات اللغات. أنظرين بأشياء قادر على أن أصبح مثلهم؟

لن تعرف مدى تأثيرك على القارئ ما لم تجازف بالنشر...

قلت بشروند: قد أفعل يا جمان. قد أفعل!

تظن بأنك لا تثرثر على الناس ولا تتحرك شيئاً في أعمالهم. تجهل مدى قدرتك وتأثيرك عليهم، أخلاص ما أخشاه. إن تظهر جاذبيتك جلية فيما أظن بأنك ستكتبه يوماً، أحب أن أقرأ لك وحدي. لا أحب أن تكون متناحياً للناس. لا أحب أن تكون

229
للعامة.. لا أحب أن تقرأ رجلًا امرأة أخرى، أستر من يقول بأن
في الرواية الأولى من صاحبها الكثير فكيف أن تحمل أن تقرأ كثر ك..! يقتلي أن يعرف أحد غيري الكثير منك وعنك. ليني
أحب أن تحقق بعض أحلامك!..
في الحب تصبح الأحلام مشتركة، نشر بنشوة الوصول حينما
تحقق الآخر غايته وكأننا عن حق الغالبة ومن أصاب الهدف.
عرجت في طريقي إلى البيت على محل للهدايا، ابتعت منه
قلما من الذهب الأبيض .. أرسلته إليك من خلال المحل مرفقاً
بطاقة صغيرة كتب عليها (عزيزي.. قال لوقت يوأبة أن البداية هي
نصف كل شيء.. أهدلك هذا القلم ليس أم البداية .. انتظر أن
تستعمه يوماً في كتابة إهداء روايتك الأولى إليها) .. جمان..
جاني الرئة حالما وصلنت الهدية: جمانتي.. شكرت على
القلم!.. أعد أن تستعمه لتتوقيع عقود نجاحاتي كلها.. وعلى
رأسها عقد زواجنا!.. أغمرت بالقلم.. لأنه منك...
ولم تستخدم كلمأ غيره منذ ذلك .. قلت لي مرة بأن أجمل..
مقالاتك كتبها بحترم وابن أروع قصائدك لم تكتب إلا من خلاله ..
قلت لي بأنني أهديك مثمرة وإلهام ومشاعر وأفاقا بعيدة من خلال
قلم...
أشعر الآن بأن القلم هو وسيلي الوحيد للقضاء عليك، يقتللك
القلم .. تشعر بأنه غرييك على الرغم من عدم إيمانك بما أكتب..
هكذا تقول .. ويقول زياً بأنك تدعى .. أحاول اليوم أن أكتب
لأنتهي منك (عملاً بمقوله أحلامك التي لا تحب!) .. لن أدعقي قوتي
أمامك .. سبتني قوتي بكل ما أؤتي المختصب من إجرام وبشاعة!
ما زلت أذكر الليلة التي سألتك فيها عن أشبع جريمة تظن بأنه
لا بد من تنفيذ حكم الإعدام فيها. كنا نتحدث يوم ذلك عن عقوبة
الأعدام بالكرسي الكهربائي...
قلت لي ومن دون تفكير: الاغتصاب...
ظنت أنك ستقول القتل!...
في الاغتصاب ألغ جريمة قتل وقتل سواء أكان المغتصب
رجالاً أو امرأة. ما بالك إن كان المغتصب طفلاً!...
ذكر كيف هزت برأسك متزوجاً من الفكره، هزت برأسك
وأغمضت عينيك وكأنك تحاول طردها من مخيلتك... لا أفهم كيف
تنقظ من اغتصاب رجل لامرأة. وأنت تغتصب سعادتي... وقوتي...
وواحدي... وقلبي كل يوم ألف مرة! لما تستهين بروحتي يا عزيزة!...
أظن بأن الاغتصاب مشروط بعنف جسدي ومواء يراق?! لا يا
عزيز... الاغتصاب هو كل ما ينهمك، جسداً ومشاعراً وخصوصية...
وحريه.. وأملاكاً، ولقد اغتصبت مني وفي أكثر مما تظن...
ما أبشعل!...

***

لا تمثل الحياة لك إلا حريباً كبيرة تتخللها معارك... كنت تطلق
على زيد وهيئة لقب (حلفاء المحور)، لأنك ترى أنهم يساندوني
أكثر مما ينبغي... لطالما اعتبرت ما بيننا حرباً. حرباً طاحنة لا
رحمة فيها... إما أن تكون فيها المنتصر وإما أن تكون خاسراً...
حرب يتحاوز لكل طرف فيها حلفاء، حلفاء يساندونه ويدعمونه
وبعثونه إلى النصر... النصر الذي لا أفهم ماهيته يا عزيز، ولا
أفهم منى ستحتقه وكيف سيكون!
قلت لي مرة بسخرية: لم نخرج مع حلفاء المحور منذ مدة طويلة.

سألتك: أثراني أعلق صلبياً معقوفاً على صدري يا عزيز؟
كلا! على فكرة جمان. لا تظني بأنني ضد النازية، على الرغم من أنني ضد جرائم هتلر الدامية والتي ارتكبت خصيصاً ضد اليهود. إلا أنني أرى في قوته على فرض النازية ما يستحق الاحترام!

ما أمرك مع اليهود والطغاة؟! لماذا أنت دائماً معهم؟
ابتسمت: أليس اليهود بآباء عمنا؟!
عزيزي! لا تتهربي...
قلت محاولة تغيير مجرى الحديث: لقد بحثت مرة في نسبي وفي جذورك. أتعرفين بأن جذورك يهودية؟
أعرف هذا. فلقد كان سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام يهوداً وإما نصارى أو مشركون!
جمان، أنا لست مع اليهود. لكنني لست ضدهم. أنا ضد ما يرتكيه وضد ما يرتكي بهم!
قلت لك بسخرية: أتعرف مقولة هتلر الشهيرة (قد كان بوسعي أن أقضي على كل يهود العالم ولكنني تركت بعضًا منهم لتعرفوا لماذا كنت أبديهم)؟
هذا غير صحيح يا جمانة. لو كان هتلر قادراً على إبادة العرق اليهودي لأبادهم كلهم عن بكرة أبيهم...
أنا على يقين من أن تاريخ الهولوكوست مبالغ فيه...
أتعرفين بأن أغلب الدول الكبرى ومن ضمنها ألمانيا تعتبر إنكار حقيقة الهولوكوست جريمة بعاقب عليها القانون. يعني لو كنا
في فرنسا الآن أو في النمسا لسجنت على ما قلت فلا تهورى يا صغيرة!
لكنني هنا يا عزيز.. والقانون الكندي يكفي لي الحرية فيما أقوله..
قلت مداعباً: لذا أحبك!! لأنك قوية كهتل ولا يغيب عنك شيء...
عزيز... لماذا تحب الطغاة؟
أنا لا أحب الطغاة... أنا أحب من يمسك بقضيته ومن ينافض من أجل هدف شعبي أو من أجل الحرية.. لا تظنين بأنني قاسي القلب أو أنني أحب سفك الدماء يا جمانة، أنا ضد القتال والحروب والوحشية.. ضد الهيمنة لمجرد الهيمنة، ولا تظني بأنني متعصب لليهود.. أنا أحترب كثيراً مارتن لوثر كينج، أحترم نيلسون مانديلا، عبدالله أوجلان.. ومروان البرغوثي.. وحسن نصر الله.. أحترم كل من يحاول نصر عرقه أو مذهبته أو وطنه سواء أكان مسلمًا أو مسيحيًا أو يهودياً.. أيض اللون كان أو أسود، عربيًا كان أو إسرائيليًا أو حتى كرديًا..
تسعف الدماء دوماً باسم الحرية، يتذرع الطغاة بالحرية لارتكاب جرائهما ومجازرهم!
أنا مؤمن بمقولة غاندي (ان طريق الاستقلال يجب أن تمهده الدماء).. من المستحيل أن نحقق الاستقلال والحرية بالسلام يا جمان..
لكن غاندي رجل سلام، ناضل غاندي بالسلام وليس بالعنف.. وكيف مات يا جمان؟!! مات مقتولاً!! حاولوا اغتياله ست مرات لأنه مناضل ينشد الحرية والمساواة.. أي أنه دفع دمه ثمنا للنضال...
عذراً لا تخلط بين الأهداف. شتان ما بين أهداف ومارتب موسولني لمثل وعين أهداف ومارنب مارتن لويتر كنج. من يحاول أن يحرر عرقاً. يختلف تماماً عن الذي يحاول استعداده.

برأيي، إن الهدف واحده.. عندما يتحور عرق يستعيد آخر!

ومارتن كنج حاول أن يساوي حقوق عرقه آخر، وهنا الفرق، يا عزيز.

كنت تهز رأسك بعناد. قلت لك مبتسماً: أتمنى أن هتلر ولنين من موايد برج الحمل؟

رفعت قداحتك في وجهي: جمان، ما رأيك في أن أشعر بالنيران في شعرك للاصبح ثالثهم؟

فعلاً فطرتك ذهبية. يقال بأن موسولني كان يضرب أقرانه في طفولته كما سبق له وأن اغتصب فتاة في مراهقته. لقد كان مجرماً بفطرته!!

أمهم. أنا شخصياً لا أحب أجياد أحد. لكني لن أغير لمن يفكر في أجيادي. لا تتوقعى أبداً ألا أتقم من شخص تجرأ علي. حينما يقدم أحد على أجيادي أو على سلب ما هو حقي. سأتحول حينها إلى طاغية حقيقي، سأدرم كل ما ومن في طريقي، مهما كان مقدار حبي لهذا الشخص!!

وهكذا كنت.. تدمر كل من في طريقك في سبيل الوصول إلى مآربك. مهما كانت صغيرة وتباهية، أنت تؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، وأؤمن أنا بأن الوسيلة - أحياناً - أهم من الغاية!!

أتمرك في أوقات عملك. تجلس أمام حاسوبك المحمول وعيناك تتابعان أسعار الأسهم العالمية التي تتراقص على شاشته والتي تتعامل بها، على يمينك أوراق بيضاء كتب عليها بداية مقالتك.

وإلى اليسار بعض مراجع علم الإدارة التي تستعين بها في إجراء
بحوث الجامعة.. أجلس خلف شاشة حاسوبك وأنا أتأملك.. أنا أأمل الرجل الذي يطمّح بأن يكون كاتباً عظيماً، وتاجراً كبيراً. وأن ينجح في دراسته ليصبح أستاذاً في الجامعة، يسعى لأن يصبح مسؤولاً عن شؤون الطلبة السعوديين في غربته.. وأن يكون أسرة صغيرة معني في غضون سنة أو سنتين!.. لا أفهم كيف تظن بأنك قادر على أن تفعل كل هذا في وقت واحد!.. أخبرك دوماً بأن لكل منا أولوياته وبضرورة أن تحدد أولوياتك لتحقيق بعضها منها.. لكنك تأتي أن تحصر أحلامك وطموحاتك، تظن بأنك قادر على أن تحقيقها كلها في آن واحد.. لطالما كنت هكذا يا عزيز.. تسعى هنا وهناك وكل أحلامك في المرتبة الأولى.. تمزم بأنك قادر على تحقيقها.. والحقيقة بأنك لم تحقيق شيئاً منها حتى الآن، ولكن تحقيق منها شيئاً أبداً.. تعتقد بأن ذكاءك وحده يكفي لك ذكاءك لن يحقق لك المال والشهرة والسلطة والمنصب الرفيع والحُب في الوقت ذاته!.. طبعاً هو الذي سيحرمه من كل هذا يا عزيز، سيأتي يوم تفقد فيه كل ما تملك من مال بأنهار اقتصادي (اعتقدنا أنهياره!).. أو بمقامرة غبية اعتدت على الإقدام عليها..

لن يأتي اليوم الذي تدّرس فيه في الجامعة لأنك لم تكن يوماً رجل علم.. ولأن دراستك تقب على رجل خشية مهترئة.. لن تصبح كاتباً عظيماً لأنك تدعى ما لا تؤمن به في ما تكتب!.. لن تستعد بالحب أبداً لأنك لم تكن وفياً للبته.. ولأنك لم تضحي يوماً من أجل ذلك الحب..

فكيف ستحمل كل هذا يا عزيز?.. أخبرني بالله كيف تظن بأنك ستتحلق في كل هذا؟ عجيبه هي رغباتنا.. وطموحاتنا.. تريد أنت من الحياة كل شيء ولا أريد أنك شئاً غيرك، تحتاج لأن
تحقيق فيها كل أحلامك، وأحتاج أن أحقق فيها حلمًا واحدًا ليس إلا أنت!...
علمته الحياة ألا ترضى إلا بالكثير.. وعلمنتي الحياة أن أرضي بالقليل الكثير.. (أنت)!...
أرأت كم هي عجيبية رغباتنا يا عزيز؟!.. أرأت كم هي مختلفة وكم هي متضاربة في القناعة والرضا..؟
قال فيكتور هوجو (لا ندرك حققتنا إلا بما نستطيع فعله من أعمال).. وحقيقة تبدو قائمة لأنني لم أحقق شيئًا منذ أن عرفتك، لم أحقق شيئًا لأنك تطبع بتحقيق كل شيء، ولم أحقق شيئًا لأنني لم أرغب بتحقيق شيء.. غيرك!
كلا نا بعيدان كل البعد عن فيكتور هوجو الأديب الذي دفن تحت قوس النصر في باريس نظراً لما حققه من أعمال أدبية.. أتراع لم يطبع في كل شيء مثلك..؟.. أتم تراي لم يحصر أحلامه في شخص واحد مثلي..؟.. كان مختلطاً يا عزيز.. لا بد من أنه كان مختلفاً، لم يكن طععاً.. ولم يكن خانعاً.. ضعيفاً.. ينتظر أن يجد على أحد بالفوات مثلما أنتظر أن توجه عليّ بقربك!
طاغية أنت وشجع!...
كيف أحبك وأمرأة مثلي لا تحب الطخة.. ولا تطبيق الجشع..؟!..!!
كيف فعلت يا عزيز.. ليتك تخبرني كيف تمكنت من أن تفعل!..؟!..!!

***

سافرت إلى الرياض قبلك.. ظننت بأنه لا بد من تمديد موضوع
زموجنا لعائلتي قبل أن تتقدم بطلبي، أو بالأحرى أن أمهد الموضوع لامي... هكذا تتصرف الفنيات دوماً. ينقلن رغباتهن إلى أمهاتهن اللاتي يلعبن دور الوسيط في كل أمر مرفوض عند الآباء أو الأشقاء، يقفن دوماً في وجه المدفع!. .. نطلب منهن أن يقفن في وجهه ليتلقين القذائف بدلاً منا. من أجل حمايتيما من قوة لا قدرة لنا على مجابحتها وكان لديهن القدرة على أن يواجهنها بمفردهن. .. نسيت دوماً بأننا كلنا نسوة ويأن الأم ما هي إلا امرأة مثمنة، امرأة على استعداد لأن تتلقى القذائف ببساطة لتسعد ونكير ونزهو. .. وتتنزف هنا من آثار الشطابية إلى أبد لا تنتهي إليه غالباً ولا تحدثنا عن ألمه أبداً. لا أعرف لماذا نحنّو أمهاتنا دوماً ثمن أن تكون أقدمهن فوق الجنة وكأنه دين عليهن تسديد شمها!. .. لطالما ظننت بأن الأم سر ابنتها وأبنها المحامي الأعمى لها، ولكنني اكتشفت بعد أن عرفتك بأن الأم محامي ذريتها. .. سواء أكانوا أبناءً أو كن بناتاً. .. أردت أيها، أنت تتحدث مع أمك على الهاتف، ترجوها أن تطلب من والذ ذي الشتاء لك، مالاً. وسافة. مراجعة لمعاملة عائلة مع أحد المراجع الحكومية، ترجوها دوماً أن تتحدث معه لتسهل أمورك العالقة، ولم أشهد يوماً على طلبك منه أي شيء. .. لطالما كانت أمك السائدة، ولطالما كنت الملبيّة له باسم أمك التي لا ذنب لها في تلك (المنحة) سوى أنك الذي طلبت! ... سألتك يوماً: أستحبني مثلما يحب والذك والتذك؟ ... قلت: كلا!.. ما بين والدي كما بين معظم أزواج جيلهما، ليس إلا مودة ورحمة. .. وماذا في ذلك؟ .. لورد المودة والرحمة تتزوجت من أي امرأة لا أعرفها،
لكني أحتاج لأن أتزوج من المرأة التي أحبها جمانا. أحتاج إلى شوق وشغف وحب قوي يجمعنا.
لكن المودة والرحمة ذكرا في القرآن الكريم كشرط لاستمرار الحياة الزوجية.
الحب يجلب المودة والرحمة من دون شك! لكن المودة والرحمة لا يجلبان الحب بضرورة الحال.
لكنهما قد يجلبانها يا عزيز. ألم تقل مي زيادة (كم من حب جاء ثمرة للزواج)?
هذا حقيقية ويحدث. لكن نسبة حدوثها قليلة. ما يحدث فعلياً هو الود والرحمة والاعتياد.
استرجعت كلماتك وأنا في مطار هيثرو. أصبحت أقرب إلى الوطن وإزدادت نبضاتي سرعة. لأول مرة أخشى أن أعود إلى الرياض لأنني كنت أدرك بأنني مقدمة على معركة ضروس. أنت نفسك لا تدرك قسوتها. اتصلت بك أثناء انتظاري في صالة المسافرين، كنت بانتظار هاتفني وكأنك تتوقع اتصالي.
قلت لك: أظنُّ بأنني سأهرب!
قلت بسخرية: العروس الباردة!
أنا خائفة!
جمان أنا بجانبك فلا تخافي... المهم ألا تتهوري. اختاري الوقت المناسب للحديث مع والدتك. ليس هناك من داع للاستعجال.
ليس هناك من داع للاستعجال، تظن أنك بأنه لا ضرورة للاستعجال! وأخشى أن تباغتني بحقيقة أخرى لا أحب معرفتها عنك. حقيقة كحقائق كثيرة أعرفها، أحاول تجاهلها. ولا أعرف كيف أنساها! لا تدرك أنك كم هو صعب علي أمر
كهذا... كم من الصعب عليّ أن أجازف بالتغطية على أخطاتك
ومحاولة إبعاد عائلتي عنها، أن أغامر بالاختيار على الرغم عنهم,
وأنا أعرف جيداً بأن زواجاً كزواجاً ما هو إلا مغامرة نسبة احتمال
فشلها تفوق نسبة احتمال نجاحها بكثير... وافقت على الزواج منك
لأنك الحلم الوحيد... ولأن زواجي منك أخف الأمور في عزيف
أعرف بأن حريباً عنيفة بانتظاري هناك، حيث أنا الفتاة الشامخة
الطويلة العنق التي لا تتزوج من رجل لطخ شموخه العبث وعدد
المؤملة... لا تدرك عائلتي بأنك دمرت شموخو وكريبتاني. لقد
تحتملت أحجار كياني، حجرًا تلول الحجر تلول الحجر... لا يدركون
بأن روحي بين يديك، وبين أصابعك تقبض عليها بقوة فأنفخ
وترخي أصابعك عنها فانهاراً... زواجنا ليس إلا مجازفة سافر
نهاها وحدياً يا عزيز وستأنجز مراتبها وحدياً... لأنني أعرف وعلى
الرغم من (سماجتي) بأن رجلاً مثلك لن ينتهي من حياته التي
اعتدت على السهولة ولن ينتهي...
أقدمت على الموافقة وآنا أعرف بأنك لن تكون يوماً وفاً لي،
ولن تحتمر ما بيننا أبداً، وافقت حتى لا أندم على عدم موافقتني
وإن كنت سأندم على زواجي منك...
قلت في نفسي: فلنندم... الندم على زواجاً أخف كثيراً من
الندم على رفضي الاستياب بك... على الأقل، ومهمما جرى بيننا،
سأكون قد حققت حلمي بالزواج منك... حينما نودي على رحلتي
الموجهة إلى الرياض تنفست بعمق... حملت حقيبة يدي وهاتفت
ونظرتي الشمسية وقد قررت أن أترك في لندن كل مخاوفي، قررت
أن أطير إلى الرياض هذه المرة... امرأة قوية مستقلة القرار، قررت
أن أدافع عمراً أرغب وأن أختار من أحب من دون أن أقحم في
صراعي امرأة أخرى لا ذنب لها في هذا الصراع سوى أنها أمي!!!
لحببتك اكثر منا بنتي فی

أنا أتحمل وحدي هذا الصراع، وأنا أتحمل وحدي نتاجته التي أعرفها أكثر مما أعرف أي شيء آخر. طررت يومها إلى الرياض يا عزيز، ولم يكن في مخيلتي سوى رجل بعيد، أعلم جيداً بأنه سيخلدني. ولم يكن ليخلدني غيرك يا عزيز.

أبدأ!...

***

مضت الأيام مسرعة على الرغم من قسوتها. مرّ كل شيء كحلم غريب، كنوع من الأحلام التي لا نفهم ما هي، لا نفهم إن كانت رؤيا أم أنها مجرد أضفاغ أحلام، تطبق على صدري جائحة ليالي عدة. وتبدو في ليالي أخرى كحلمِ رقيق يداعب أروتي بنعومة ليغريني بحلم آخر، وليلة أخرى!

تعلم ألا أقاوم الأقدار وألا أحاول التهرب منها يا عزيز، لا قدرة لنا على التصال من الأقدار يا عزيز. لن نقدر يوماً على الفرار من مكتابُ كتبت وأفادَ قدرت وحياة رسمت. أصبحت أمسي معك راضية متوفرة أأتصل إلى نهاية الطريق. أن يغلق مئذن القدر وأن ينتهي كل شيء بأمره كما ابتداً كشيء. سباحه جلّ شأناً.

عدت إلى الرياض. لا لأقاوم الأقدار يا عزيز بل لأدافع عنها. وإن كانت الأقدار لا تحتاج إلى دفاع. أعرف بأنه قد قدر لي أن أمسي معك حتى تحرق في أعماقك كل ما هو أخضر، سأمسي معك حتى تعكر كل زلال في داخلي. لأنك لن تتركني حتى تلوث كل ما هو نقي، وتقتل كل ما هو حي!

240
انتقلت صوت بتيَّل وهي ترَّت على ركبتيَّي بيدها: وأَخِيرًا
جئت!.. اشتقنا إليك هذه المرَّة أكثر من أي مَّرة جمَّانة.
كنت أجلس على طرف السرير في غرفتي، وكان على الأرض
أمامي كل من صبا وبيتيل وحقائي المغلقة!.. كانت والدتي تقف
بجواري وهي تمسح على شعرني بلهفة المشتاق.
قالت صبا: معها حق بتيَّل، اشتقنا كثيرًا.. لا أصدق بأنك
ستعودين بعد عام!
قلت لها وأنا أَتْرَر إليَّ أمي متسمة: قد لا أعود!..
قالت أمي بحنعاج: من غير شرا!.. افتقنا أن تغبري من أجل
البكلوريوس فقط.. وما تبقى من دراستك تكملينه هنا عاندي..
قالت بتيَّل مداعبة لأمي: عندما تأتي جمَّانة.. لا يهمك أحد
غيرها!..
قلت وأنا أغمر لها: لذا سأظل هناك.. لتدللكما بضعة أعوام
أخري.
سألتي صبا: أستكمِلين الماجستير؟
ربما!.. وربما أتزوج.
سحبت والدتي يديها من على شعر بيته.. فالتفت نحوها..
كانت تنظر إليَّ نظرة عميقة أعرفها جيدًا!..
قالت بصراحة: فلنؤول الحديث الآن.. لا بد من أن أختيَّما
متعبة!..
قالت بتيَّل برجاء وهي تحتضن ساقي: فينجلس معها قليلاً.
اشتقنا إليها!..
قالت أمي: المسكنة متعبة!.. فلنتركها لتسحن الآن وتأكل.
ومن ثم تنزل لتجلس معنا فالمجتمع قد اشتقوا إليها!..
اتصلت بك ما أن دلفت أمي وأخواتي إلى مجلس والدي...

كنت نائمًا حينما أجريتي حيائي!...

عزيز المعلقة! أليقظتي؟...

قلت بسخرية: تعرفين بأنك أيقظتي فلا تدعني غير ذلك!...

إليه كم من الجميل أن يستيقظ المرء على صوت الجمان...

أخيتي! أوصلت؟...

أجبت بتكتم: تعرف بأنتي قد وصلت فلا تدعني غير ذلك!

ضحكت: حمدًا لله على سلامتك.. أنا تزال رياضك رمادية؟...

قلت لك بعذاب: بل وردية...

كنت أعرف بأنك مصابة بعمى الأمل!...

أنقل بأن تتزوج امرأة معروفة!؟...

سأعيد النظر في الموضوع! المهم.. حدثني! كيف هي الأمور؟...

سأخبرك لاحقًا عزيز.. والداي بانتظاري.. أردت فقط أن أطمئن عليك...

سمت فلنتي وقلت: جمان.. لا تخافي.. سيجري كل شيء على ما يرام.. أنت في ...

كان لا بد من أن تفي بوعدك ذاك يا عزيز.. كان لا بد من أن تفي به.. كنت أدرك بأن وعودك (خليك) وسهلة لكنك تتبنت بوعدك على أمل أن تفي به يوماً.. كنت بحاجة لأن تفي بوعدك تلك المرة على الأقل.. كان ليكفيني يا عزيز!.. كان ليعوضني عن كل وعد أعطيتهني إياه ولم تف به.. كان ليعوضني عن كل عهد قطعته لي وأخفقت به.. فالإقدام على بعض القرارات كاختيار الحياة أو الموت.. بعض القرارات مصيرية إلى حد أن السعادة والسعادة
يقفان على مشارف ذلك القرار.. لا بد من أن ننسح لأحدهما بالدخول إلى حياتنا لتعابه حسبما قرنا واخترنا.. ولقد كنت قرار، قرار حياتي وموتي الذي كان لا بد من أن أقدم عليه.. اتجهت نحو صاله الطعام حيث كان الجميع بانتظاري.. قضينا سهرا في استعراض المستجدات التي حدثت خلال غيابي.. من تزويج، من أنجب.. من تخرج.. ومن توفى.. على الرغم من أنني كنت على دراية بكل هذه الأحداث، فالذي لا تخبرني إياه والذي على الهاتف.. تخبرني إياه بسلاسة على الإنترنت!! كنت متمتعة وقلقة ولا يشغل رأسي غيتك وحديث الأقارب!! ذلك لم يرق لي الخوض فيه.
قال خالد مداعباً: جمانة هادئة هذا النفساً!.. ما الأمر جمانة، أكبرت..؟
أجبته: لدك كل صديقة لي ابن في عمرك يا خالد.. وأنتم لا تزال تسأل إن كنت قد كبرت!! ووضع سعود يديه على رأسه: بدأ المسلسل المعتاد!! نظرت إلى خالد الذي كنت أعرف جيداً كم هو مشتاق إلي وضحكدنا.. أنعرف بأن خالد يشباهك في التعبير عن شوقه يا عزيز.. شوقه ساخر كشوقك أنت.. يبث شوقي بطريقة تهكمية تزداد وتنقص حدتها بمقدار شوقي!! أنعرف بأنني أصبحت أشيابك في أسلوبك أيضاً.. ألم أخبرك بأن أي عاشقيين يصلان إلى مرحلة يتحدثان فيها باللغة ذاتها ويستخدمان فيها المفردات نفسها!!...
حينما قلت لخالد بأن لدك كل صديقة لي ابنا في عمرك، تذكرت قولك لي بأنك لو كنت قد تزوجت لكانت لديك ابنة في عمري!! تخبرني بهذا دواما لتأكد لي بأنك ملم بكل شيء، وبأن خبرتك أكبر وأليك تفقة أكثر مني..
تعذرت بارهاقي وبحاجتي إلى الراحة كي أصعد إلى غرفتي.
في كل مرة أزور فيها أهلي يدب نشاط عجيب في جسدي وكاتبني
لم أقضي ساعات وساعات على كرسي صغير في الطائرة، لكنني
شعرت تلك المرة بالإدهان. الوهن الذي يسبق المواجهة والذي
يجمللك تتردأ ألف مرة ومرة قبل الإقدام على شيء أو مواجهة أمر
عظيم ما. دخلت فراشي لأنفصل بك، كنت بحاجة لأن تشدد من
أزيتي ولأن تبت في نفسي الطمأنينة لاتمكن من أن أفعل. طرقت
والدتي الباب قبل أن أتصل بك، جاءتني ودخلت الفراش بجواري،
انكتما بمرفقها على الوسادة وهي تتأملني. قالت: أخبرني الآن
جمانة. ما الأمر؟
قلت لها مبتسمة: أمي. أتعرفين بانيتي أشبهك جدا؟
لا يعرف أحد إن كان شبيها بأحد. الناس هم الذين يخروننا
عن مقدار الشبه يا جمانة.
لا. لا أقصد تشابهنا في الملامح بل في التصرفات، أتعرفين
بانيتي قد فعلت مع هيئة مرة ذات التصرف الذي تفعلينه معي
الآن؟
وماذا أفعل الآن؟
تسللين إلى سركي لتعرفني الأسرار...
أتعرفين بأن الأسرار ما هي إلا أخطاء نخفيفها؟
ومن قال لك بأن كل سر ما هو إلا خطأ؟
لأنه لو لم يكن خطأ لما أخفيناه...
أمي. لا تتحدثي كما تتحدث الأمهات!
لكني أملك!
أنت مختلفة. ليست كالأمهات! أنت صديقتي التي تدعمي
دوماً ولولا دعمك لما سافرت من الأساس.
أخشي أن يكون سفك خطأ. سندفع كلنا ثمنه يا جمانة.

اعتلت في جلستي: أمي ألا تثقين بي؟
أخبريني أولًا حكايتك (الغيرلاني) كلها...
أمي: العزيز سينزل بعد أيام ليخطبني...
اتست عينانها بقوة: هكذاً!ي بساطة!...

وما المشكلة!...

لا تعرفين ما المشكلة يا جمانة?.. أنتزوجين من رجل ليث بيك؟.. أنتزوجين من رجل تعرفين بأنه سيمرك في حبكة غضب كما كاد أن يفعل، جمانة; تخيلي لو أن والدك الذي أجاب تلك المرة أو أحد شقيقك!.. تخيلي ما الذي كان سيحدث لو أخبرهما بأنك تعينين مع رجل حيث أنت!...!.. جمانة من يحب لا يؤدي الفتاة التي يحها!

ليس إلا طيش شباب يا أمي...
طيش شباب!.. ألم تقولي لي بأنه في الثلاثين والثلاثين!...!..
أي طيش شباب هذا الذي تتحدثين عنه؟...
لكنني أحبه أمي وانت تعرفين بأنني لن أتوجه إلا من رجل!

أحبه...

الحب ليس كل شيء يا جمانة...

قلت لها وعيناي تدمعان: لكني تزوجت الرجل الذي تحبين...
ولهذا أقول لك بأن الحب ليس كل شيء. جمانة، الزواج يختلف كلًياً عن الحب!.. عندما تتزوجين تتغير الموازين كلها، مما أحببت هذا الرجل ومهما ظنت بأنك تعرفي، صديقين ستكتشفين بأنك لم تعرفه يوماً...

دعيني أجري يا أمي!... أمنحو الفرصة في أن أختار الرجل الذي سأقضي معه حيتي...
لم يجبرك أحد على أن تتزوجي رجلاً لا ترغبين به جمانة،
لكن هذا الرجل لا يناسبك أبداً.
أمي، سأتحمل وحدي نتائج هذه الزواجة. صدقوني لن ألجأ إليكم أبداً. مهما جرى بيني وبينه لان أطلب منكم أن تتدخلوا بيننا مهما حدث، لن آلوكم يوماً على السماح لي بالزواج منه.
جمانة هذا الرجل لا يناسبك. أنا أمك وأعرف أين تكون مصلحتك.

تمسك بيها وأنا أبكي: أمي أرجوك! أنت أمي. إن لم تقفي معي أنت لن يقف معي أحد، صدقوني أمي. سعادتي مع عبد العزيز. لقد حافظ علي عبد العزيز طوال السنوات الأربع الماضية.
إن لم أتزوج من عبد العزيز أقسم لك بأنني لن أتزوج غيره! لا قدرة لي على أن أحب رجلاً آخر، أفهميني.

جمانة. غدا ستكبرين وستتسنين. حينما تتزوجين الرجل المناسب صدقوني ستضحكون كثيراً على هذه الأيام.
قلتي لها وأنا أشوق بكاءً: أمي. أنا لست بمراحة حتى تقولي لي بأنني سأنسى حينما أكبر! أمي أفعالياً ما شئت، أنا لن أعصاكم. لكنني أقسم لك بأنني لن أسامحكم أبداً إن حرموني منته!.

عقدت حاجيبها بغضب: جمانة. أجنت حتى تقولي هذا؟
قلتي لك بأنني لن أعصاكم. لكنني لن أسامحكم على رفضكم له وهذا من حقي.
قطع حديثنا اتصالك وكأنك كنت تشعر بي يا عزيز، تجاجلت أمي لأول مرة وأجبتك من دون حتى أن أستأذنها.
قلتي لي بقلق ما أن سمعت صوتي: جمانة. ما الأمر؟!
لماذا تبكي؟...
قلت لك وانا أشوق لا شيء سأتصل بك لاحقاً صحت في وجهي: لن ننهي الاتصال جماناً! رجاءً أخبريني ما بك؟
قلت لك وانا أنظر الى أمي التي كانت في غاية الانزعاج لا شيء كنت اتحدث مع أمي فقط منحت قليلاً وقتاً أمي بجوارك الآن؟
نعم أعطني إياها!
سألتك بدهشة لماذا؟
أعطيك إياها سأتحدث معها
لا ضرورة لذلك
جمان حبيبي لا تخشي شيئاً أعطني إياها سأحل الموضوع
مددت لها الهاتف بيد ترتعش قلت لها بصوت مخنوقي: يريد أن يتحدث معك؟
ظنت بأنها سترفض الحديث معك ولكنها أخذت الهاتف مني واجابتني أهلاً
-------------------------
بخير كيف حالك أنت؟
-------------------------
عبد العزيز هل من الممكن أن تتصل بي بعد خمس دقائق على هاتفتي أظن بأنك تعرف رقمي أليس كذلك؟
-------------------------
حسنًا مع السلمامة!
رمت أمي هاتفتي فوق السرير وقامت: جمانة سأعود إليك
بعدما أتحدث معه، أرجو أن تتحدث بعيداً عن الاتصالات... كوني على يقين من أنني سأفعل ما هو في مصلحتك... كنت أشتهي كشفة صغيرة... تركتها أمها في أول يوم دراسي لها في باحة المدرسة لتواجه عالمًا جديدًا لا تفقه عنه شيئاً ولا تعرف فيه أحدًا!... كنت أعرف بأنني فشلت في الامتحان الأول، كان من المفترض أن يكون الحديث مع والدي بخصوصك هو الأمر الأسهل في كل ما سيجري معي وما سأمر به، كان من المفترض أن أكون أكثر قوة مما كنت في حديثي مع أمي التي تعرف يوجدك أصلاً... انهرت أمام أول بادرة رفض من أمي التي أعرف أنه من السهل أن تحني علي وترحمني، فما بالك لو شعرت ولو للحظة بأن أبي الحازم الصارم الذي لا يغير رأيه شيء، ولا يبدل قناعته أحد لن يقبل بك...؟ اتصلت بك عشرات المرات أثناء هدفك مع أمي... كانت مكالمتكما طويلة، استمرت لأكثر من ساعة ونصف... كنت أتصل بك لا لأتأكد من أنك لا تزال تتحدث معها، كان خطك المشغول يزيدني توترًا وقلقًا من أن تجرحك أمي بأي شيء... فخرت أن زول لسانك بخصوص قصتك مع ياسمين وزواجك السابق، كنا قد اتفقنا مسبقاً أن يظل الأمر سراً بيننا وأن لا يعرفه أحد من أهلك أو من أهلي... لكني وعلى الرغم من هذا خشيت أن تخرب أمي بأي شيء فتنهي الحكايَّة قبل أن تبتديء... كنت أحاول الاتصال بك حينما دلفت أمي إلى الغرفة من دون أن تقرر الباب، جلست على طرف السرير وقالت: اغسلي وجهك... ومن ثم اتصل بي لطمئني أنه قلق عليك...!... هزت برأسي من دون أن أنظر إليها وأنا ما زلت أشتهي... قالت وهي متوهجة إلى الباب: لا تنامي وأنا على هذه الحال... وخففي من درجة التكيف حتى لا تمرضي...
اتصلتك بك وأنا أرجو من شدة البكاء، أجيبني بصوت مرتاح: مرحبا!...
عزيز ما الذي دار بينكما؟
قلت برقه: أما زلت تبكي؟...
لم أتمكن من الرد وانهرت في نوبة بكاء. كان صوتك دافئًا على الطرف الآخر: جمان..! جمان...
كنت أبكي خوفني كله يا عزيز.. كنت خائفة من أن تحرموني الدنيا هناك بعدما رضيت أن تشاركني إياها.. لم يكن من العدل أن أحروم منك بعد كل هذا يا عزيز، لم يكن هذا من العدل.
قلت: جمان.. جمانتي، وفع قلبي.. أسمعني..
It's not fair...!
قلت بحزم: حبيبي.. أتثقين بي؟...
أثق بك...
إذا لا تخشي شيئًا. أعدك ألا يأخذك مني أحد وبأنك ستصبحين لي... اتفقتنا؟
قلت لك وأنا أمسح دموعي: اتفقتا...
فلتحدي إذن.. أمسحي دموعك بيبي ولا تبكي مجددًا.. أنسى هذا الأمر ولتركي لي...
ما الذي قالته لك أمي؟
قلت بسخرية: الأجدر بك أن تسألني ما الذي لم تقله لي...؟
ماذا قال؟...
أممم.. سألتني عن كل شيء في الحياة، سردت لي تاريخ عائلتكم المجيد.. ودست لي تهديدين مغلفين ومبطنين...لما أفهم.. كيف دست لك تهديدين...?
لا يهم...! هي خائفة عليك مني وهذا أمر طبيعي ومتوقع.
تحدثت معها بصدق وحاولت أن أشرح لها سبب سلوكك السابق
معها، وأظن بأنها فهمت أو لنقل بأنها فهمت كم أحبك...
أنت ذلك...؟
أظن ذلك جمان... أتدين... قليلات بن اللاتي كأمك، من
النادر أن تقابل امرأة جامعية ومنفتحة على الآخرين في أواخر
الأربعينيات من عمرها في بلد كبلدنا...
لا تعتمد على هذا يا عزيز... أمي ليست إلا ككل الأمهات...
إن تعلق الأمر بانتها...
أمي، هناك احتمالان لا ثالث لهما جمان، إما أن والدتك
ارتاحت لي فعلًا وإما أنها تحاول أن تصور لي هذا... لأنها تعرف
بأنها لن تتمكن من أن تمنعني عنك!.. وهذا احتمال وارد لأن
والدتك امرأة ذكية...
ما الذي ستفعله الآن...؟
الآن، ستهدأ حلوتي لتنام!.. وحينما أنزل إلى الرياض بعد
أيام.. سأحل كل شيء بمعرفتي...
عزيز... أخبرني ما الذي ستفعله...؟
اتفقت مع والدتك على أن يتم الأمر بشكل طبيعي من دون أن
تدخلي أنت.. ليس هناك من داع لأن ينظر أحد من عائلتك بأننا
نحب بعضنا.. رأيتك في الجامعة، أعجبت بك.. وتقدمت لك...
إن عرفوا عن علاقتنا من شخص آخر...؟
جمان.. والذكر سيسأل عني في الرياض.. لن يصل إلى
كندا!.. حتى وإن وصل، لن يخبره أحد من أصدقائنا بأمر كهذا...
و لن يذكرني أحد له إلا بالخير.. أولاً لأنهم أصدقاء جمياً.. ثانياً
لأنهم يعرفون بأننا نحب بعضنا بارضاً فلا تخشى شيئاً...

250
لا أدرى...
لا تخافي وانسي الموضوع.. أخبرني.. هل توزمت عيناك؟
قليلًا...
كميون صغار الأراب؟
ضحكوا: ربما...
بلآ!.. أنت "أرنويتي" الصغيرة.. التي أحبها كثيراً والتي
ساحمها دوماً..
أتعرف بأنك لؤنت مزاجي؟
أتعرفين بأنك ألوان حياتي كلها؟..
قلت لك مداعبة: لا يا شيخ!
والله يا شيخة...
ضحكوا: وقد تبخر خوفي وحزني كله.
قلت: بببي.. أنسى كل شيء.. سأقرأ عليك المعوذتين لناشية..
والتحلمي بي.. اتفقنا؟..
ما الذي ستفعله أنت؟
سأذهب إلى السوق لاشتري بعض الحاجيات للبنات..
أي بنات؟
قلت بسخرية: صديقاتي!
صحت فيك: عبد العزيز!
أي بنات يا جمانة!.. أقصد أخواتي طبعاً.. تعرفين بأني سأنزل
بعد أيام ولم أبتع لهم شيئًا حتى الآن!...
قلت بسخرية كمن لم يصدق: أخراااالاتك!.. حسناً.. سلم لي
عليهن...
سأفعل.. أصمت الآن لأقرأ عليك..
صمت.. وأنا أسمع إليك وأنت تقرأ عليّ تعاوينك كل ليلة..
أغلقت معك... واحتضنت وساتدي مبتسمة وكأنني لم أذرف تلك الليلة دمعة واحدة... إلهي يا عزيز، ليتك تعرف كم لونت... مزاجي ليلتها!!

***

التقبيت بزياد على شبكة الإنترنت ومن خلال محادثة الماسنجر.. منذ حديثنا الأخير (ذاك) لم أتحدث أنا وزيد.. حاولنا أن نتجنب بعضنا ببعضاً كما فعل هو معك.. حبيته فرد تحيتي باقتضاب.

زياد.. أحتاج لأن أستثناك في أمر...

تفضلي...

سأتزوج من عزيز...

....

زياد.. أما زلت هنا؟

yes, i'm here..

قل شيئاً... 

قلت سأستثناك في أمر.. ومن ثم قلت سأتزوج...!! أنت تطلعنتي على الخبر يا جمانة.. ولا تستثنيتي...

هذا غير صحيح!!.. أحتاج إلى رأيك لأنك صديقي...

لر كانت استثناك لن قلت سأتزوج!! أردت إبعل المعلومة تحسباً لأي شيء..

كيف أصبحت قاسيًا إلى هذا الحد؟

ولماذا أنت مغلقة إلى هذا الحد؟

لست بمغفلة يا زيد.. أنا أحبه..
قال نيتشه يومًا (زوج من العدسات القوية كفيلة بأن تشفى عاشقاً). صدقني أنت عمياً البصر والبصرة حاليًا يا جمانة. لا أحتاج إلى بصر وبصيرة فإن كنت سأموت وحيدة يا زياد، لا أريد أن أموت وحيدة ومجنونة كما مات نيتشه. دائماً ما تتحدثين وكأن عبد العزيز الرجل الوحيد، الخيار الوحيد.

 يبدو أنني مريضة به يا زياد ولا علاج لي منه؟ أنت من يخشى الشفاء، كان محقاً آرسنت هيمنجواي حينما قال بأن الحب مرض أخشى ما يخشاه المصاب به، أن يشفى منه. الاحظ أنك لا تستشهد إلا بالمجانين، لا تستشهد بقول من مات وحيدًا مجنونًا ومتورطًا.

 جمانة. صدقني لم يقدّر لك الزواج منه. سيقدّر لي يا زياد!

 تعرفين بأنه لن يقدّر لكما هذا. وهل أنت مقلع على أقدارنا؟ لا. لكن أقدر كما واضحة ارأت! أنت لم تأتي لاستشارتي. أرجو لكما التوفيق يا جمانة.

 وخرج...!

***

وصلت بعدي بأيام. جئت كما يجيء الغيم، كما يظلل الأرض ليهطل فوقها الأمل وينبت فيها فرح أخضر. عاملتي والدتي.
فيصل وصولك وبعد مكالمتك معها وَكَانَ شَيْئًا لَا يَكُن! لَمْ تُحَدِّثِي
عن الموضوع ولم تسألني عنك أبداً. استغرت مماليكها تلك لكنك
قلت لي بأنك توقعت هذا. قلت: (ما تفعله والدتك يطلق عليه
"كيد الأمهات", تخشى أن تخشى عليها أمراً بسيتاً. لذا تحاول أن
تطمئنك وأنت تعاملك كما كانت تفعل سابقاً، والدتك ذكية جمآه..)
قلت لك: وراثة!...
قلت بسخرية: صدقني، لو كنت ذكيه إلى هذه الدرجة لما
قررت الارتباط بك.
أندري يا عزيز. لطالما أحبت أن يكون امرأة كم، علمتني
أمي كيف أحتوي من أجل من أحب من دون رغبة منها في
تعلمي. تخاف أمي من أن أحب حياة كحياتها! تخشى عليٌّ من
التنازلات والتضحيات وما شابهها، تظن بأنني استحق من يرضحي
من أجل. لَمْ أَحْبِبْ أَمِّيْ من أجله، لكن التضحية جين وراثي
تحملها نساء العائلة على ما يبدو يا عزيز!
قلت لي قيل أن تصعد إلى الطائرة (لا تخافني جمان. أؤمن
بما قاله التحاس يوماً بأن القلوب إذا اتصلت لا تقوى قوة على
فصلها. وقلوني متصلة ولكن لا يمكن امرؤ من فصلها..) وقد كنت
أؤمن بما تؤمن يا عزيز. لكنني اليوم بثأَرير بكل ما كنت تؤمن
به من أفكار ومعتقدات ومبادئ! لا أدري إن كنت قد تحررت
منك حقاً أم أنني ثائرة فقط على كل ما هو جزء منك وما بدل
عليك غاضبة منك إلى حد يجعلني أتلوى ألمًا!! يألعن اليوم
الذي عرفتك فيه وأحبتك فيه لتجردني بعده من كرامتي، تخرج
(العناني والشتائي!) من بين شفيتي كحوم البركان الثائر والمستعر في
معذبي بلا فائدة!!
أَلَمْ يَقِلُ أفلاطون بأن "الغضب الشديد يعمي"؟!! كان من
الأجدر به أن يقول بأن الغضب الشديد يؤلم يا عزيز.. لا أفهم كيف غاب الألم عن غضب الفيلسوف! أيعلن بأن غضبه لم يصل يوماً إلى مرحلة الألم!........ رمياً!

اتصلت بي حالماً وصلت: نورت الرياض؟
أجبت: نورت بس!... جانا التماس كهربائي من نورك...
قلت بسخريه: أجل "صقعتي".. كالعادة...
لا، صاعت!

ضحككت قليلًا ثم قلت: جمان.. خذي...!.. كليتي أمي...
سمعت صوت والدتك وهي تقول: لا أريد أن أكلماها...
صمت لثوانٍ ومن ثم قلت: جمان.. سأعود الاتصال بك بعد عشر دقائق...

تكذرت كثيراً بعدما أغفلت مكع، لم ترق لي لهجة والدتك...
كان صوتها جافاً، كانت لهجتها في غاية الحدة لسبب أجهله!..
اتصلت بي بعد حوالي الساعة.. التي كان من المفروض أن تكون مجرد دقائق.. قلت لك: عزيز.. ما الأمر؟.. لا شيء...!.. أخبريني عن كل ما حدث خلال الأيام الماضية...
اشتقت إليك...

شعرت بأن والدتك غاضبة مني...
قلت بخصوصية: وهل تعرفك لتغضب منك جمانة؟...
إذا ما الأمر؟...
لا شيء...
أرجوك عزيز.. لا تقل لي بأن لا شيء يحدث... لأنني لست غبيه...
ما الذي تودين معرفته؟...
ما بالوالدتك...?
لا شيء، مجرد عقد اجتماعية. أجزم بأنك قد اعتدت عليها...
فلا تضخي الموضوع رجاءً...
قلت بدهشة: عقد اجتماعية!
نعم! عقد اجتماعية!.. فجأة قررت هي بأنك غير مناسبة...
لكنك أخبرتي بأنها موافقة على زواجنا؟!
كانت موافقة!.. كانت تظن بأنك مجرد زميلة في الجامعة أعجبت بها.. لكنها اكتشفت اليوم بأنني أحبك.. فأصبحت مشكلة...
ألم تخبرها مسبقاً بأننا نحب بعضنا؟!
بلى!.. لكنها ظن أن الأمر لا يتجاوز الإعجاب من بعيد...
لا بد من أنك تمزح!
قلت بغضب: ليست أمزح!.. تأكدت الآن من أنني محق في كره هذه المدينة وهذا المجتمع?.. لا تلوميني بعد الآن على كره جمانة. أتدرى جمانة؟ لقد كان بإمكاني أن أفعل كأغلب ما يفعله عشاق هذا المجتمع، أن أقول لأهلي بأنك أخت صديقي وأن تخبري أهلك بأنني شقيق زميلتك.. كان بإمكاني أن أخلق أي قصة تقنعهم.. لكنني أدرت أن يعرف أهلي بأنني ستنزوج من أحب حتى لو واجه زواجي منك عواقب اجتماعية غبية وحقيقية...
وماذا ستفعل؟!
صحت: ستنتزوج وسانتشلك من هذا المجتمع ولن نعود إليه أبداً! أفهمت جمانة؟.. لن نعود إلى هنا أبداً، لن أسمح لك بعد اليوم بأن تدافعي عن هذه المدينة ولا عن هذا المجتمع!
قلت لك وأنا أشعر بأن كرامتي تنزف: عبد العزيز.. لا تتخيل ولو للحظة بأنني ساقبل الزواج من رجل عائلته ترفض وجودي معها حتى ولو كان أنت!..
قلت بنسخ صبر: جمانة.. لا توجعي قلبي بحديث لا نفع
ماذا ترفض أمر زواجك من نجوم الحب يا عزيز؟ لا أفهم لماذا يعرضون هذا النوع من الزواج خطيئة. لماذا يحارمونه؟! على الرغم من أنه زواج شرعي، محلي بالشرع وقائم بأركانه!!

تعاقبنا والدتك على حبي لك. كما تعافكنا والدتك على حبي لك! تظن والدتك بأنك مرأة سيئة لرجل حبي لك وحبك لي!! تظن بأنني لا أستطيع وليست أنني لا أرغب في أن يرتبط اسمي باسمك لأنني عرفتك قبل زواجنا وأنك أحبتي قبل أن تقرر الارتباط بي. لا أفهم لماذا تعافبنا كل من بحث من عائلتك على حبي يا عزيز!! عاقبتي أنت على حبي.. وها هي عائلتك تعافبنا أيضا على طريقتها برضها لزواجنا.

أ فكر يا عزيز بعدما أغلقت مكنت مكنت في ردة فعل والدتك لو عرفت عن موضوعك مع باسمين زواجك منها. أنا على يقين من أنها ستعد الأمر مجرد "طيش" وستنسي الموضوع وكأنه لم يكن يوما، ستستغرق عليك وستصرد دوما بانك ابنها الطاهر الذي لن تسمح بأن يدنس طهره زواجه من الفتاة التي يحب!.. كنا نواجه مشكلة مع أمي وأصبحنا نواجه مشكلتين. مع أهم امرأتين في حيتك وحياتي!! لا أعرف لماذا تقف "النساء" دوماً في طريق علاقتنا يا عزيز!! فالنساء بعددٍ عني دوماً بلا عذر ومن دون سبب. إنه يا عزيز. إنه لي تنويـد كم يتعرض النساء، كم يتعرضن! أتعرف بأن النساء لا يتمرن إلا لأنها النساء؟! أولم يقل الكبير ستاندال بأن (أفضل سلاح ضد المرأة)
هو امرأة أخرى)!! ولقد تآمرن عليّ نسوة كثيرات خلال معرفتنا...
تآمرن عليّ واستخدمن كل أنواع الأسلحة ضدي، لكنني لم أكن لأقبل بأن تآمر عليّ أقرب نساء الكون إليّ!! وأحب نساء الكون إليك.. أمي وأمك!!
لم أكن لأقبل يا عزيزة!!

***

استيقظت على رنين هاتفك بعد ليلة طويلة من الرثارة، كانت الساعة الرابعة عصراً.. وكنا قد قضينا ليلتنا بطولها على الهاتف قلت: جمان.. استيقظي.. هيا!!.. بدأت أم المعارك..
سألتك بدهشة: ماذا ..؟ ما هذه ..؟
قلت ببساطة: الحرب!!
ما الذي تقصد ..؟ أي حرب ..؟
قلت بمرح: ستتصل والدي بالدتك بعد قليل إن لم تكن قد اتصلت بها ..
وكيف حدث هذا ..؟
تشاجرت معها ومع والدي!!
ورضخا لرغبتك بهذه البساطة ..؟
على فكرة جمان، هما لا يرفضانك شخصياً.. هما يرفضان الفكرة نفسها.. فكرة العلاقة وليس طرف العلاقة ..
وكيف اقتناعا ..؟
قلت وكأن الأمر لا يعنيك: لم يقتنعا.. هما ينفّذان رغبتي لا أكثر.. جمانة هذه حياتي وأنت بالذات تعرفين جيداً بأنني لن أسمح لأحد بالتتحكم بسير حياتي ..
قلت لك بضيق: لا أرغب بإقحام نفسي في عائلة لا ترغب
في انضمامي إليها!...
ببيي..! أنا على يقين من أنهما سيقعان في حبك.. عندما
يتعرفان عليك صديقتي ستيغفر كل شيء.. لا تخشي شيئاً...
صمت قليلاً. فاستطردت: جمانة!.. جان دورك الآن.. كوني
قوية يا ببيي وتأكد من أنني سآكون معك دائماً...
قلت لك: لست واثقة من قدرتي على هذا...
قيل في سفر الأمثال (أعد فرسك ليوم الحرب أما النصر فمن
الرب)...! استعدوا ولا تخافوا...
قلت لك مماسحة: عزيز..!.. هل يمكنني التراجع؟...
قلت مهدداً: جربي!...
نزلت إلى مجلس والدتي بعد أن استحستت بسرعة، كانت
تجلس مع بيل وصيا أمام التلفاز.. أخذت بيل تحدثني بحماسة عن
عرض الأزياء الذي نشاذه على التلفاز لحظة جلوسي معهم.. كنت
أنقل بصري بتوتر بينها وبين الشاشة وبين أمي التي كانت مشغولة
بقراءة الجريدة حينما ارتفعت صوت رنين الهاتف فانفست بقوة...
قلت لصبا: صبا.. ردي على الهاتف!...
أجابتي بعند: ردي أنت!...
أنا أختك الكبرى.. ردي بسرعة...
ألا تلاحظين بأنني أتابع التلفاز؟...
التلفاز إلى بيل بنفاذ صبر: بيل.. فلتريدي أنت.. أرجوك!...
قالت: فلتريد صبا.. أليس صغير القول خادمهم؟...
صرخت بهما: وبعدين؟.. واحدة منكما ترد على الهاتف!...
قالت أمي بعد أن توقف رنين الهاتف: أنتظرين اتصالاً من
أحد جمانة..!?
سحبت إحدى المجلات من على الطاولة أمامي. قلت وأنا أصفحها بسرعة: لا.. صمت والدتي ولم تعلق، انتظرت اتصال والدتك مجدداً لكنها لم تتصل. أدرت أن أرسل إليك لأسألك عن عدم اتصالها. كنت قد نسبت هاتفتي المحمول في غرفتي، استوقفتني والدتي حينما همت بالصعود إلى الغرفة، قالت وهي تقرأ الجريدة ومن دون أن تنظر إلي: جمانة!.. لقد اتصلت المرأة!..
قلت لها وقلبي يخفق بقوة: أي امرأة؟.. 
ابتسمت: المرأة التي تتظاهر اتصالها.
قلت لها وأنا أعبث بكمي!.. وماذا الآن؟..
قالت: أعرف بنك قد فكرت في الموضوع وقد قررت بشأنه، لذا لن أقول لك فكري جمانة!.. القرار الآن يبد بال đèn.
اللتفتت بيل بسرعة: تفكّر في ماذا؟..
أشارت أمي برأسها ناحية مبتسمة: أسألوها!
شهدت صبا: سنتوجين؟؟
رمت عليها بوسادة الأريكة: لا شان لكما بأمور الكبار!..
ركضت إلى غرفتي وأغلقت خلفي الباب بعد أن تركت صبا وتبيل تحققان مع أمي. وجدت في هاتفتي أربع مكالمات لم أرها عليها منث..
اتصلت بك وأنا أقفز على سريري من السعادة، قلت لي ما إن سمعت صوتي: جمانة، أين أنت؟..
في غرفتي حيبي..
صوتك غريب!..
قلت لك وأنا ألهث: لأنني قاعدة أنقذ إلى السرير!..
ليش؟..
مسؤوووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووووم

قلت بسخرية: الاخت عائس؟!

لا...

الاخت أول مرة تنعجب؟!

جلست وقلت معايلة: ولدا...

ضحكت: يا روح الولد!

خلك رجال!

رجال من قبل أن أعرفك..

ماذا سنفعل الآن؟!

نترقب ا...

أعرف جيداً يا عزيز بأن رجلاً مثلك لا قدرة له على ترقب أمر ما لمدة طويلة، لطالما كنت تنهي أمورك على ع手続きاً.. رجل مثلك لا يطيق الانتظار ولا يعرف للصبر طريقاً، على العكس مني أنا، أنا التي اعتقدت على أن أترقب منك أي شيء، وأن أنتظر منك كل شيء.. أنا التي اعتاد علي الصبر مثلما اعتقدت عليه، صبرت يا عزيز لأظفر.. ألم يقل الإمام علي كرم الله وجهه بأن (حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر)؟.. وصبرت يا عزيز.. صبرت ليمحو ظفري مرارة صبري.. لكن صبري لم يمح مراحته شيء!...

***

كان من الصعب علينا أن نفتقر كما كنا نعرف بأن استمرارنا معا سيحرق خلايانا العصبية خلية خلية حتى لا يتبقى من أعضابنا سوى بقايا إحساس متفحم ورماد .. لكننا وعلى الرغم من ذلك

261
قارننا أن نجازف بالاستمرار لأنه لم يكن بمقدورنا أن ننجزا أو أن ننفضر. كنا نعرف بأن مشروع �واجنا كل المشاريع، مشروع يحتل الربح والخسارة. حتى المشاريع (الأحلام) يا عزيز ليست إلا مشروع قد نربح فيها وقد نخسر! ومنحنا الربح سعادة مطلقة وتعلمنا الخسارة كيف يكون الربح وإن لم يعوض خسائرنا شيء في حالات شتى، خسارتك يا عزيز ليست كأي خسارة. خسارتك لا يعوضها أحد ولا يخفف من صعوبتها شيء، خسارتك كالموت. المومت الذي ندعي بأن وقه كبير حين حدوثه ولبنو يخفف تدريجياً مع مرور الوقت حتى يصبح الميت مجرد ذكرى، ذكرى تمر علينا للحظات بين الحين والآخر حتى تتבוע المساحات وتكبر لتصبح الذكرى شبه طيف غير واضح المعالم..

صدقني يا عزيز ما النسيان إلا إداء. ندعي النسيان لنفع الآخرين وأنفسنا بأننا قادرون على المضي قدمًا، وعلى أن يكون في حياتنا أشخاص جديد وعوض جديد وحياة أخرى ندرك جيداً بأنها ستظل ناقصة. لكن الموت في الحقيقة لا عوض له كخسارتك! ففقدك لا يعوضه مال ولا زوج ولا ولد. قلت لي مرة بأننا (لا نفقد سوى ما نخشي فقدانه)!. ولم أؤمن وقتذاك بما قلت... ظننت حينها بأن القدر لا يفرق بين ما نخاف خسارته وبين ما لا يؤثر بنا غيابه، لكنني اليوم أعرف بأننا لا نفقد سوى ما نخشي فقدنله لأننا عادة لا نشعر بفقدان ما لا يشكل لنا أهمية تذكر. للفقد فلسفة يستعمى على عقلى المتعمد بالأفكار استيعاضها يا عزيز، لا أفقه في ماهية الفقد شئاً. لا أفهم مبادئه ولا حكمته ولا فلسفته.. لكنني أعرف جيداً يا عزيز كيف يكون الفقد وما يخلف بعده من حطام ودمار وأشباه أفقنداً. لم أرغب بخسارتك يا عزيز. وأعرف جيداً بأنك ومع زهدك

262
لا أتفهم أن تغضبيني، فلماذا خسرت؟.. لماذا انهاريت علاقتنا على الرغم من تنازلاتي لتوريمنها؟!.. أعرف بأن أساسا كان ضعيفاً يا عزيزة، أعرف بأنه كان هشاً.. لكوني حاولت تدعيم أساسنا بكل ما ظننت بأنه سيساعد على تقويم علاقتنا وتثبيتها.. لكوني خسرتك بالرغم من كل شيء.. فلماذا خسرتك؟.. أعرف بأن الخسارة تحمل كالموت!! أعرف بأنه لا تفسير لها في بعض الأحيان، وبأنها تقع أحياناً فجأة. لزيتها وتبعتها ولا تبررها!! لذا لن تمر خسارتك مرور الكرام.. لن أدع نسيانك ولن أمضى قدمي، سأظل في مكاني ولن أتحجر قيد أنملة.. لن يمر في حياتي أشخاص جدد ولن أنشد حياة أخرى.. لأنني لن أشفي من خسارتك أبداً.

أذكر بأنك قلت لي يوماً بأنك مؤمن بأن الحب دوماً ينتصر!.. قلت (صدقني جمان، مؤمن أنا بأن الحب يصنع المعجزات).. لكوني أعرف اليوم كما تعرف جيداً بأن الحب أضعف من أن يخلق معجزة أو أن يفجر قدرأ وصبرآ.. الحب لا ينتصر في كل معارك يا عزيزة.. يخسر الحب، يختنق ويعصف وينهار وأحياناً يموت!!.. لكني لا أنسى بكل حالاته.. انظرت أن تشملنا كرامه أو أن نتقذنا معجزة، لكن المعجزات لم تعرف طريقتنا.. فتباعدت خطائنا عن بعضنا بعضاً وأصبح لكل منا مصير مختلف وأرض بعدهما طريق جديد!!

حانقة أنا على مصيرنا وعلى أفكارنا، حانقة على نفسى وعليك.. قل لي يا عزيزة.. قل لي كيف أتجاوز كل هذا.. لأعود المها التي كانت، الفتاة الشامخة.. سيدة قومها.. طويلة العنق!!.. أتعرف يا عزيزة.. أتعرف بأننا حينما تتغير لا نعود أبداً كما كنا!!.. أتعرف بأن أعمقنا عندما تتشوه، لا يعيد ملامحها السابقة
شيء وهمها حاولنا تجميلها، صدقني يا عزيز لن تعود ملامح أعماقنا كما كانت. شوهدت أعمالي ولكن تعود أعمالي كما كانت عليه يوماً.

***

لم يصل والدي إلى الكثير من خلال سؤاله عنك. كنت قد غادرت الرياض إلى مونتريال منذ حوالي العشر سنوات. وبالتالي فإن معارفك كانوا قلة في الرياض، حتى أقاربك لم تكن علاقتك بهم تتجاوز المناسبات العائلية النادرة التي تلتقي بهم من خلالها كل عامين أو ثلاثة، لذا لم يكونوا يعرفون عنك سوى القليل وبعض ذكريات مر عليها أكثر من عقد. كنت أعرف بأنك ترتدي عباءة الهيبة والوقار حينما تكون في مجالس العائلة، كنت تحاول زرع هذه الصورة في أذهان الذين يعرفونك. لطالما حاولت أن تبدو مثالياً في مجتمع تظن أنك بأن معايشة المثالية فيه متخلفة وراجعية. أعرف اليوم يا عزيز بأنك لم تكن إلا نموذجاً مثالياً لمجتمع يدعى المثالية وهو أبعد ما يكون عنها! آنت أيضاً تعاني من الفضائل الاجتماعي الذي يعاني منه أغلب أفراد مجتمعاً. لست إلا صورة مكررة من صور شريحة لطالما تبّرت منها! أصدقك القول يا عزيز بأتي خشيته من أن يصل والدي إلى حقائق لا يسعى الدفاع عنك بعد معرفته لها، خشيته كثيراً يا عزيز. لكنه لم يصل إلى الكثير. حتى في سؤاله عنك من خلال بعض معارفه في كندا، فإن كل ما توصل إليه هو أنك تدرس هناك منذ حوالي العشر سنوات، عائلتك معروفة.. والذك مربي فاضل وبأنك كاتب.

مسور الحال.. في أوائل الثلاثينيات ولم يسبق لك الزواج!
أعرف.. على الرغم من أن كل ما توصل إليه والدي عنك لم يكن ليقلق.. إلا أنه لم يرتح لك أبداً.. رفض الموضوع في بدايةه بلا سبب، إحساسه الأبوي دفعه لمعارضة الأمر منذ البداية وقبل لقائلك.. كنت تخبرني طوال تلك المدة بمعارضة عائلتك لارتباطنا ولعدم تقبلهم إياي.. و كنت أخبرك دوماً بأن والدي مرحب بكم وكان الأمر لا يتجاوز الشكليات الاجتماعية على الرغم من رفضه في الحقيقة ومعارضته للآخر برتمه، كان رفض أهلك جارحاً وقاسيًا ومهنياً.. ولم أرغب بأن تخرج وتهان.. فادعيت قبول والدي وترحيبه.. لم أكن أعرف بأن محاولاتي لحماية مشاعرك ستقلب عليّ يوماً!!.. ما زلت أذكر اليوم الذي أخبرته أمي فيها أن أنسى موضوع زواجهما لعدم قبول والدي.. أذكر كيف بكنت أمامها كامرأة مسلوبة.. امرأة سلبت منها كل حياتها فاستيقظت يوماً لا تملك شيئاً!!.

قالت لي حينها: (تعرفين بأن والدك رجل حكيم وله نظرة بعيدة!!.. هو يعرف مصلحتك أكثر مني ومنك جمانة.. وستتأكدين يوماً من هذا!!).

أذكر كيف تضرعت لها أن تقنعه فقط ليلتقيك.. كنت أعرف بأنك مستضرر والدي عندما تلتقين، كنت أعرف بأنك تملك من الرجولة ما يكفي لإقناعه!!.. طلبت منها أن تقنعه من أجلي، أن تساعدني في إنقاذ حلمي وهي التي تعرف جيداً معنى الحب والأحلام.. أعرف يا عزيز!!.. حينما نادى والدي في طلبي بعدما تحدثت معه أمي التي لا أدرى كيف أقنعته وماذا قالت.. سأنتبه بصرامة إن كنت أعرفك.. كانت أمي قد نبهتني بأنه لا لزوم لأن أخبره بمعرفتنا.. ربما خشيتي من أن أخبر دراسي أيضاً بالإضافة إلى خسارتي إياك لو عرف والدي بعلاقتنا ، أخبرته وقتذاك بأنني
قد التقت بك في مناسبات أكاديمية مرتين أو ثلاث مرات بالإضافة إلى أنني قد سمعت عنك وقد قرأت لك! لم يكن في كلامي ما يقنعه لكنه واقع على مضض للفائقت والدك. بعد أن قلت له بتردد بأنك رجل يوافق تطععاتي ويناسب أحلمي!

حينما وافق والدي على لفائكتما، شعرت بأن السماء قد فتحت لي أبوابها على مصراعيها، شعرت بأنني قد وهبت كل شيء ومنحت كل شيء، شعرت بأنني أحلق في السماء يا عزيز. شعرت بأن البضاد يعلوني وحيدتي بي وبأن ضوءاً ساطعاً قد عم أعماقي فأحترق عليه الحزن وحل مكانها النور، أذكر كيف كانت فرحتنا غامرة وكيف اختلفنا أحاديث وحوارات ظننا بأنها ستطرح بينكم. فظلنا نناقشها طوال الليل معاً. فتحت لي لبنتها كامراً حاسباً لنستعرض أمامي شماذغك ومن ثم بفترتك لأقدر إن كنت ستلبس (شماذغ) أو (غترة) حين مجيئك! أذكر بأنني احترت الغترة يا عزيز. ولم أخبرك وقتئذّك بأنك كنت ستبدو وسماً أنيقاً. في كل حالاتك!

مازلت أذكر اليوم الذي جئت فيه للقاء أبي، أيقظتني باكرًا يوم ذاك على غير عادتكك. كنت في طريقك إلى صالون الحلاقة حينما اتصلت بي. كنت متورتاً، مضايقة بعض الشيء. وقد كنت أعرف بأنك كنت محتاجاً لبعض الدعم وصعب الطمانة. أذكر بأنني طلبت منك أن تسمح لي بالحديث مع الحلاق التركي. فغضبت مني لسنكر رفضتك للرغبتي بعد إصراري تجنبًا للمشاكل. كنت أعرف بأنك لم تكن تسمح بأن تتشاجر في يوم كذاك. أذكر بأنك أعطيت هاتفي إلى الحلاقة وقلت بغضب: خطيبتي تريد أن تقول لك شيئاً. قلت للمزيّن المندهش: أرجوك، انتبه لوجهه! لا أريد أن يجرح!
وعدني الرجل بأنه لن يختلف في وجهك أي جرح أو خدش، كان مستغرباً من فتاة توصيه على وجه أحد زبائه، ومن زبونه السعودي الذي يقبل بأن يتحدث خطبيته لتوصيه عليه. خشيت يومها أن يجرحك شيء يا عزيز. لم أكن لأقل بأن تجرح كلمتي أو حتى أن تجرح شفرة حلاقة في يوم كيُومنا ذلك.
قلت لي قبل خروجك من منزلك بأن والدك قد أخذ عنوان بيتنا من والدي وانك ستطلب منه عنوان البيت (الذي تعرفه جيداً) حينما تستقلان السيارة.
أذكر بأنك قد قلت لي بعد لقائكم: (جمان.. أتصدقين بأتي نسيت أن أطلب من والدي عنوان منزلكم). سألتك: وماذا فعل والدك؟
قلت بسخرية: لم يفعل ولم يقل شيئاً! آما أنا "ما ردني إلا باب بيتك"!
يا يا عزيز.. أتصدق بأتي ما زلت أعد تلك الليلة. ليلة من ليالي العمر؟.. أليس من الغريب أن تكون ليالي عمري.. ذكرى قاسية وحائدة؟.. كيف أنتي ما زلت أحب تلك الليالي يا عزيز، كيف أحبها بالرغم من قسوتها وحمرتها.. لا أذكر بأنها كانت دافئة حينذاك، لا أذكر بأنك كنت واقعاً روقياً، ناعماً ليلتها.. لكنك لم تكن إلا واقعاً / حلاً.. وأمرأة مثلى صدمت الواقع لم تعد تعشق الأحلام ..!
أذكر بأنك قد أرسلت إلي برسالة عند وصولك، كتبت (أنا على مشارفك) وقد كنت فعلاً على مشارف ليتلاك!.. لطالما كنت معي، لكنك ليلة ذاك كنت في بيتكا. لم يكن يبدعي عنك سوى أسوار، كنت هناك من أجل ومعرفة عائلتي وعائلتك!.. مشقت مرات منزلنا وقتذاك مجيئاً وذهاباً، وقلبي الصغير ينفث من مجرد
إحساسة بأنك تجلس مع والدك والدك wij حبيباًً، آمناً. كنت ليلتها كحلام ملمساً، أشعرت يوماً بنشوة أن تلمس الأحلام؟! شعرت أنك بذلك ليلتها.
حينما أرسلت إليه بعد ساعة ونصف بـ (يسلم لي أبيوك وتسليم لي بنته). عرفت بأنك قد غادرت مع والدك. وبأن مقابلتك لوالدي جرت على ما (يراد)!. فรกست إلى صالة فيينا، جلست بجوار أمي المندهشة وسحت من بين يديها كتاب الطبخ مدعية انشغالي به. دخل خالد أولاً، اقترب مني وسحتني من يدي إلى المرأة ومن دون أن يسلم. أفزعتني بفعلته. إلى أن أشار بيده إلى رأسي الذي لا يمس كفه ومن ثم أشار إلى المرأة قائلًا (إن كنت تصلين إلى كتفي! فلا بد من أنك تصلين حتى ركبتيه!..) لا تخافين من أن تنزوجي رجلًا يفوقك طولاً بثلاث مرات..؟!؟
قلت له بعدان: لا.. لا أخوف! أنا لا أخوف من أحد.
قاطعنا أمي سائلة: كيف كان الرجل؟
تناول خالد "الدلة" قائلًا وهو يسكب في فنجانه القهوة ون دون أن ينظر إلينا: بدا لي مقبولًا!.. لكن الرأي الأهم هو رأي الوالد.
سألته أمي: ماذا لو كان يبدك القرار؟
عقد حاجيبه مفكراً وأخذ يتأملني، أنا التي كنت أقسم الجلد المحيط بظفر إياهلي ولأول مرة، قال بعد صمت: أظُن بأنك جيدا! راق لي حديثه، ثقافته واعتداده بنفسه، لكنني أرى أن جمانة لن تتحمل العيش مع رجل كهذا.. سألته بتردد: ولماذا؟ لأنها حالمة.. بينما هو رجل في منتهى الواقعية، ستكون حياتك صعبة معه.. لن تقدر على العيش مع رجل مثله..
دمية أكثر منها بدن

دلف والدي بصحبة سعود، فشعرت بنفسي أنكِمش بجوار والدتي كطفلة خائفة.. التصقت بها فجأة وكأنني أحتمي بها منهم أجمعين.. تجاهل والدي الحديث عن مقابلته لك ولوالدك، سألني وأمي عن أحوالنا كالعادة.. ومن ثم ربت على كتف خالد طالباً منه أن يراقه لزيارة صديقه المريض.. تجاهل والدي الحديث عنك ولوالدك وكأنكما لم تغادرا منذ دقائق...

سألت أمي بانتباه بعد خروجهما: لما لم يقل أبي شيئا؟.. قالت ببساطة وهي تقلب قنوات التلفاز: وهل ظنت بأنه سيتحدث عن الموضوع أمامك؟ "أثلق" واصبري يا ماما.. تظنت أمي بأنني أفتقر إلى الصبر يا عزيز، فلا تراها تظل على رأيها عندما تعرف بعضاً مما مرت به بسبق؟ لا أظنَّ أنها ستَنفر بي.. على أي حال!.. اتصلت بك بعدما صعدت إلى غرفتي. قلت لك بحماس بعد أن شعرت بأن صوتك مطمئناً: عزيز! أخبرني تفاصيل التفاصيل.. أجنبتي بسخرية: لا أحظى بأن عائلتك تعيش التفاصيل جمالاً.. والدك لم يترك موضوعاً في الدنيا لم يسألني عنه، سألني حتى عن فصيلة دم!! بالمناسبة جمان.. أتعرفين ما هي فصيلة دم؟؟

يا جنينة... تعرفين كل شيء... قلت لك بنفاذ صبر: أستخبرني عمداً دار بينكما يا عزيز أم ستواصل سخريتك؟؟

بداية سأخبرك عن أمر مهم.. في طريقنا إلى منزلكم.. كان والدي متزمراً، حدثني طوال الطريق عن نتائج هذه الزبجة وعن عدم رضاه.. ما أن قابلنا والدك حتى تغير كل شيء جمانة!!
أعرفين جمانة.. في طريق العودة كان والدي يؤكد على ضرورة أن
نعجل في زواجنا قدر الإمكان وأن لا تؤخره أبداً.
سألتك بدهشة: ما الذي غير رأيي بهذه السرعة؟
أممم.. لا أعرف...! أعتقد بأن والدك وأخواتك هم السبب..
وماذا بعد؟
أممم.. أنا شخصياً أحبت والدك كثيراً.. لكتني شعرت
بتوجسه مني!.. أما بالنسبة إلى خالد وسعود فأظن بأنني قد تمكنت
من إعجابهما..
والنتيجة؟
قلت وأت تمضغ (شيتاً) بلا مبالاة: ستزوركم والدتي خلال
هذا الأسبوع بعد أن تحدد موعداً مع والدك.. فليعنك الله على
والدتي وأخواتي جمانة ..
إذاً فقد اقتنع والدي بك ..
شعرت باقتتناه بوالدي.. لم يرتج لي كثيراً.. لكتني أظن بأن
الأمر طبيعي جمانة.. فانت ابنته الأولى وآنا في نظره لست سوى
اللص الذي سيسترقك منه ..
قلت لك وأنا أنتش خيوط الوسادة بأظفاري: عزيز.. متي
ستترقتي؟
انفجرت ضحكاً: أنت "مطوفة" على فكرة يا ببي..
وضحكنا!.. ضحكت حتى وصل صدى ضحكتي السماء..
لا أعرف كيف مر كل شيء بسرعة يا عزيز، تسهَّل كل شيء
على الرغم من معارضة عائلتك وعائلي.. رفض أعمامي مبدأ أن
تخرج أبنتي أخياً من نطاق العائلة لترتبط برجل غريب، رجل يحمل
أطفالي اسم عائلته بدلاً من أن يحملوا اسم عائلتنا.. ومع ذلك قاوم
الحببتة أكر منا يبغي

والذي معارضة أعمامي من أجلي، على الرغم من أنه لم يكن سعيداً بك يا عزيز إلا أن سعادتي برأيه كانت تكفي!... 
أذكر اليوم الذي زارتنا خلاله والدتك وشقيقتاك، أذكر إنك اتصلت بي... قلت لي بأنك لقد أوصلتني للتنزّ إلى بيتنا. كنت وقتذاك في حجرتي. كنت خائفة ومرتبكة فقلت لك (عزيزة)! لقد غيرت رأيتي)... 
قلت لي: لا بأس..! انزلتي الآن ومن ثم غيّري رأيك كما تتحين...

قلت لك باكية: لن أنزل!...

صحت في وجهي بغضب: بنت! لا تعصبني الله يخلقك...
ونزلت! أذكر أنني لم أنبس بنت شفتا. كنتأتامل والدتك الخمسينية الجميلة طوال الوقت وفي داخلها رغبة كبيرة لأن أحضنها... كنت أبحث في ملامحها عن شبه يا عزيز، بحثت في تجاعيدها عن شبابك وشقاوتك وسحرك. أناعرف بأننا نحب أمهات من نحب!!...

لطالما أحببت والدتك.. بالرغم من لهجتها الجافة تلك.. إلا أن حبي لها لم يتغير أبداً، أبداً أبداً... يكفي أنها أنجبتني كي أحبها يا عزيزة.. يكفي يكفي ذلك لأن احترمنها.. ولأن أتمنى أن أصبح أماً مثلها، أن أنجب ابناً جذاباً ساحراً مثلك!!...
كان قلبي يحفظ في كل مرة تتحدث فيها أمك عنك.. كنت أبتسم على الرغم مني وهي تتحدث عن طفولتك الشقية.. عن شجاراتك في المدرسة، عن سرقاتك للسيارة في العاشرة من عمرك.. وعن عائلتك ونزوجك...
فزعت أمي.. أمي التي لم تواجه في طفولتك شقيقتي شيثاً من
هذا القليل.. كنت أرى الفزع في عينيها.. بينما كانت أعمامي تضحك بسبب طفل شقي ليس إلا أنني.. حينما أخبرتك ليلتها عن حديث والدتك، قلت لي بسخرية: باحليها الوالدة!.. تبي تتتحشى!..
لم تعرف والدتك كما لما تعرف والدتي إلى أي درجة كنت متمسكة بك يا عزيز.. لم تفهمك بأنني متشرّبة بك إلى أقصى حد، وعندما لن أتنازل عنك مهما جرى.. كيف أتنازل عنك وأنا المرأة التي تخلت عنها وتزوجت من غيرها.. ومن ثم وببساطة عادت إليك! 
أندري يا عزيز.. كنت أظن طوال علاقتنا بأنه لا قدرة لي على أن أحيا معك وفي داخلي إحساس (مجرد إحساس) بأنّ أمراً أخرى تشاركي إياك.. لكنني عرفت وبعد أن تزوجت من غيري بأنني على استعداد لأن أكون الثانية.. الثالثة.. الرابعة..!.. المهم أن أكون معك!..
كنت كما قال العظيم محمود درويش (لم يبقني موطئ للخسارة).. ولم أكن لأقبل بخسارتك!.. أقادر أنت الآن على أن تتخيل إلى أي مرحلة من مراحل الذل قد أوصلتني؟.. أندريك الآن كم حاجي إليك متضخمة وملتهبة وحادة! أندري يا عزيز.. كم تمنيت أن تحبني والدتك.. لكنني لم أعي فيها في لقائها الأول.. مثلاً لم تعجب أنت والدي.. وكان أرواحهما توأتمات على ألا نجتمع.. لكننا تمسكنا ببعضنا بعضاً حتى وافق الجميع على مضض فوصلنا إلى مرحلة أن نلتقي!.. كان من المضحك برأيي أن تخضعني لـ (الرؤية الشرعية)!.. كنت متمسكًا بالأمر بصورة تدعو إلى العجب.
سألتك: لماذا ترغب في رؤتي؟..
قلت: قد لا تعجبيني!...
عبد العزيز...! لقد رأيتني حوالي 1500 مرة...
لكنها رؤية شرعية... رؤية مختلفة!... قد ألحظ تدببك عيوبًا لم أنته إليها يومًا!...
لا بد من أنك تعذب!...
قلت بسخرية: الأرواح جنود مجددة جمان... من يدري!... قد لا نرتاح لبعضنا بضعة...
لم أفهم وقتذاك المغزى من رؤيتك لي، وأصدق القول بأنني لم أفهم حتى الآن غرضك من لقائنا ذلك. أذكر بأنني دخلت ببردحر حينما جئت. خفت من رؤيتك كثيرًا!... لا أدري لماذا خفت لكنك كنت خائفاً أيضًا. كنت جالسًا إلى جوار والدي في صدر المجلس حينما دخلت أنا، قلت (مساء الخير!) وجلست على أقرب أريكة واجهتهني، كنت بعيدة عنك لكن قدمي لم تقدرا على حملي أكثر. خشيت أن أقع على وجهي فجلسست في طرف المجلس، التفت إلي وابتسمت.

أشار والدي بيده إلي: جمانة اقتربي يا بابا!...
اقتربت من حيث تجلسان وجلست إلى يمينك فابتسمت. قال لك والدي بفخر: عبد العزيز، هذه جمانة. ابنتي الأحب إلى قلبي...
أذكر كيف التفت إلي ولماعت عيناك بالدموع: كيف حالك جمانة؟...
دمعت أيضاً، ابتسمت ولم أرد عليك.. نظر والدي إلينا بدهشة فعرفت حينذاك بأن حكايتي قد أكتملت في ذهنه...
أشار أبي إلى دلة القهوة على الطاولة أمامهما وقال: جمانة، قري القهوة!...
كنت تعرف بأنني لا أجيد (صب) القهوة ولا حمل الدلة...
فقطت من مكانها لتصبها. وقف والدي ليمنعك لكنك أخذت تحلف بأغلظ الأيمان بأن لا تصب القهوة غيرك.
كنت أنظر إليك وأتمنى تناول والدي فنجان القهوة، خيّل إليّ بأنك أطول بكثير من أي وقت مضى يا عزيز.
كنت شامخًا، وسماً، لطيفًا، وحنوتاً إلى حد مولم!...
جلست من دون أن تناولتي شيئًا، فقال لك أبي مدعاً: كان من المفروض أن تقدم القهوة إلى جمانة يا عبد العزيز وليس لي...
ضحكت مرتين وقلت وأتمنى تعديل غترتك. لم أكن أعرف بأنها تشرب القهوة!...
إليهي يا عزيز. كم كان ردي ساذجاً!.. لم يكن من المفروض أن تعرف بأنني لا أشربها، لا أعرف كيف مرت جملتك تلك على والدي البدوي الذكي، السريع البيضي. من دون تعليق منه!.. أظن بأنك لم ينشأ إحراجنا.
هذوالذي رأسه وقال باقتصاد: فعلاً، هيا لا تشرب القهوة.
بدورت مرتين، فأخذت تشرب قهوتك بارتباك ومن دون أن تنظر إلي.. والدي بسألك عن أحلامك وطموحاتك ومخططاتك وعن الغربة!.
كنت أرقبكما وأستمتعا تتحدثان رجلاً لرجل!.. كنت أرقب رجلي حياني.
الأول أحبني قبل أن أولد. والآخر ولدت بعدما أحبته!!
كنت محظوطة تلك الليلة يا عزيز.
أخذ والدي يحدثك عن حبه الجم لي وعن طفولتي الغريبة.
كانت عيناتك تلمعن بحب وفخر، وكنبت تظهر براسك مبتسماً تارة...
ضاحكاً أخرى.
أشار والدي بيده إليه وقال: على فكرة!.. جمانة لا تجيد شيتاً يا عبد العزيز ..! لا تفقة شيتاً في أمور البيت على الرغم من أنها تسكن مع صديقتها في شقة لوحدهما ..! لكنها لم تتعلم شيتاً حتى الآن ..!
التفت إلي وقلت مبتسماً: قد أعلمتها أنا يا عمو ..! ما رأيك جمانة ..!
حاولت أن أرد عليك لكنني لم أتمكن من قول شيء عدا: ربما ..!
شعر والدي بجموع حرفي من وجوهه بنيتا ..! فقام قائلاً: عن أذنك عبد العزيز ..! كنت قد أوصيت السائق على أن يدخل سيارتي إلى باب البيت ..! أعتبر نفسك في بيتك ..!
أوامأت برأسك: تفضل يا عمو ..! أذنك معك ..!
تابعت والدي بصري وهو يخرج ..! التفت إليك ..! كنت تتأملني مبتسماً ..! أشرت بيدك إلى الباب: لماذا لا تتركني وتبنيي والدك ..!؟ ضحكتي لأنني لم أعرف بماذا أجيبي ..! ..! فضحتك معي ..!
حركت شفاهك قائلاً من دون صوت: أحبك ..!
أخذت أتأمل ملامحك ..! عينيك الواسعتين ..! شفتيك الرقيقتين ..!
شاربك المذهب وسمرتك الدافئة ..! كان في عينيك أحاديث كثيرة ..!
كنت تجلس معي في قلب بيتنا يا عزيز ..! وبعلم عائلتي وبرضاها ..!
قلت لك بنشوة: ولد ..! أنت في بيتك ..!
التفت إلى الباب ..! ومن ثم قمت فجأة ..! انحنعت عليّ ووضعاً بمناك على خدي ..! قررت شفتيك من خدي الأيسر وقبلته قبلة طويلة ..! جلست بسرعة مبتسماً ..! قلت: هذه كي تذكرني دوماً زيارتي الأولى إلى بيتكم ..! القبلة الأولى علي خدك ..!
 كنت مأخوذة بما فعلت فلم أنس بكلمة.. حينما عاد والدي
استاذته مغادرة..

كانت بنتي وصا بانتظاري على النرج كعادة الفتيات.. لم
أخبرهما بالكثير، أخبرتهما كم أنت فارع الطول.. كم أن عينيك
 جميلتان.. أخبرتهما بأن صوتك قوي.. وتأنك تشبه نجوم هوليوود..
فقط!!

اتصلت بي ما أن استقلبت سيارتك.. قلت لك: أنت قليل
أدب!!

قلت مستفزاً: وأنت حبيبة قليل الأدب..
ألم تخيل كيف سيكون موقفنا لو قبض عليك والدي متلساً؟
لا تخافي جمان.. كان ليزوجنا هذه الليلة يا بيب..
لا أصدق بأنك كنت هنا!!

وأنا لا أدرى كيف تركتك من دون أن أخذك معي
لماذا لم تأخذني معك؟

صمت قليلًا ومن ثم ضغرت بإعجاب: وش هالقمر؟
ظننت بأن سمعي خانني تسلتك بدهشة: ماذآ..!..!..!..!..!..!..!..
بجواري سيارة تستقبلها فتاة تتوج القلب يا بيب!..
قلت لي للتو بأنك لا تدرى كيف تركتي من دون أن تأخذني
معك..

قلت بضيق: بدأت حالة العته!!

أنت وضح إلى درجة لا تطاق!!.. لقد كنت معي للتو..
قلت بغضب: جمانة!! يكفي!!.. أنا مضطر لإنهاء الاتصال..
صرخت فيك: لن تنهي المكالمة وأنا أتحدث!!.. تحدث معي

مثلما أتحدث معك..
قلت بصرامة: لا رغبة لي بالحديث معك الآن...
أغلقت الهاتف في وجهي بقوسة وكأنك رجل آخر!.. رجل لا يشبه الرجل الذي كان معي قبل دقائق في شيء!.. لطالما كنت غريباً يا عزيزي!.. لا أفهم كيف تفسد كل شيء في لحظات!..
اتصلت بك مراراً لكنك لم تجب!.. بعثت إليَّ رسالة في منتصف الليل كتبت إليَّ فيها (أنا في المخيم مع أصدقائي، لا تتصلي بي لأتيك لإن أجيب عليك حتى تتأديبي). ..
 قضينا ليلتنا.. التي كان من المفترض أن تكون ليلة حلمنا الكبير في خصام!.. هكذا تفعل دوماً يا عزيزي.. تنتظر أن يصل كل شيء إلى ذروته حتى تفسده وتنهيه بسخافة!.. تعشق إفساد لحظاتها وكأن أعماءك تأبى أن نطمئن ونسعد.. حينما سألتي والدي ليلتها إن كنت قد ارتحلت إليك، كنت أعرف بأن سؤاله اعتباطي!.. كنت أعرف بأنه قد قرأ في وجوهنا ليلتها (الحكايّة) كلها.. فأجبرته موافقة من دون لفْ أو دوران، ولم يجادلني هو في رضائي وكأنه أدرك بأن المجادلة بخصوصك لن تجدي نفعاً.. كانت لوالدي تحفظاته (الكشيرة) بشعورها إلا أنه لم يرغب بأن يفطر قلبي أبداً!.. لم يفطر قلبي غيرك قط، ولن يقدر أحد على أن يمس قلبي مثلما مسسته أنت.. مزروع أنت في دواخلني يا عزيزي.. جذورك متشعبة في عروقي.. وأعرف بأنني لن أقدر على أن أجتر جذورك منها.. إليهي يا عزيزي!.. إليهي كيف تقدر على أن تكون بهذا الوضع!..
 قريب أنت إلى أبعد مدى.. بعيد أنت إلى أقرب حداً!..

***
لقد تجاوزت حدود خياليتي، صدمتي بك أكبر بكثير من أن تعد مجرد خيبة. اليوم خياليتي بك كبيرة. حزني قاتم وروحي ساخنة!...
كيف أعيش ذاتي بسلام بعدما قلت الحمامات في أعماقي؟!...
مؤمنة أنا يا عزيز وتكنذ ذنبي الذي لا قدرة لي على التكيف عنه. أبلى مكانك أن تتخيل بعد كل ذلك الحب بأنك لم تعد سوى مجرد ذنبي؟!... لا أدرى كيف حدث هذا يا عزيز!... كنت قد اتفقتا على كل شيء، وتذلل أدماننا كل شيء!... كنت نستعد لنكون معاً... ونعوذ معًا ونقضي ما تبقى لنا من العمر معاً. أذكر بك ذلك سألتي...
فجأة بعد أن تحدد كل شيء وأصبح بمقدورنا أن نجتمع، سألتي ليلة: (جمانة، هل استخترت)؟!
قلت لك بأتي لم أفعل. فطلبت مني أن استختر. أن أصلي صلاة الاستخارة!
سألتك بدهشة: (أستختر بعد كل هذه السنوات يا عزيز)؟!
لو لم يكتب لنا الخبر معاً لما قدر لنا أن نكون معاً الآن. لما تستقبل لنا كل شيء).
قلت بهدوء (لا بد من أن تستختر)!
استختر الله قبل أن أفاتحك في موضوع الزواج. ولا بد من أن تستخري الله قبل أن نشرع بالقيام به)، وهاكذا فعلت!
استختر الله يا عزيز. سألته أن يسهل أمر زواجه إن كان فيه خير لي، سألته أن يبعد عني إن كان في زواجي منك شر لي ولدنناي وعلاقتك أمري. كأنني سألت الله ليلتها أن يحرمني منك، تغير كل شيء بين ليلة وضحاها!.. أيعقل أن يكون في قرية مني يا عزيزة. شر وأذى إلى هذا الحد؟!...
مؤمنة أنا بالعظيم، قائمة أنا بأقدارك. لكنك الرجل الذي أحب ولست قادرة على أن أتقبل خسارتك. أبدأ...
لا أعرف كيف تغيرت فجأة! لا أفهم كيف تضخمت حاجاتك إلى كل شيء (عذارى)! كنا قريبين.. قريبين للغاية.. ولم يكن من المفترض أن تتخلو عنى بهذا الشكل!..

تكررت سهراتك مع أصدقائك.. ليلة وليلة وليلة وليلة.. حتى بُنت تسهر معهم كل ليلة!.. وانت أدنى حاجاتك، حاولت أن تفهم في البداية (شرودك الكبير ذاك).. حاولت أن أبرز غيابك بأنك لا تلتقي بأصدقائك إلا لآيام كل عام أو عامين.. حاولت أن أمنحك أكبر مساحة ممكنة من الحرية التي تطلما كنت تنشدها، محاولة أن أقع نفسك بأنك لو لم تتغير لما أتيت!.. حاولت أن تتجاهل شعورك بـ (غيري) في أعمقك، شعوري الذي بدأ يتسرب إليَّ يوماً بعد يوم، سهرة بعد سهرة.. ليلة بعد أخرى!..

كنت أحاول الاتصال بك ليليًا عدة.. ليقهرني هاتفك المشغول طوال الفجر من دون إجابة أو اتباع!..

إلهي يا عزيزى! إلهي كم يقهرني (استغفاوك) إياي!.. أكرهك كثيراً حينما تبرز لي إتصالاتك (الليلية) تلك والتي تمتد لأربع أو خمس ساعات.. بأنك كنت تتحدث مع صديقك الواقع في مشكلة مع حبيبته.. تفهمني كثيراً حينما تدعى بأنك كنت تتحدث مع شقيقتك هديل والتي يفصلك عنها جداران.. إلهي لو تعرف كم يقتلني استغفاك إياي!.. لا يقهر المرأة رجل تمكن من استغفالها مثلما يقهرها رجل يشعرها بأنه قادر على أن يفعل!.. ما زلت أذكر الليلة التي شعرت حينها بأنه قد انتهى كل شيء.. مع أنا تصالحنا بعدها، إلا أنني كنت أدرك في قرارة نفسي بأنك قد انتهيت مني وبا يكون قد تجاوزتني بكثير.. كنت قد حاولت الاتصال بك إلا أنك لم ترد علي.. كان هاتفك مشغولاً طوال الليل، ظللت اتصل بك بعداً وقهر حتى أحبتي..
سألتك: مع من كنت تتحدث؟
قلت يعود: هاتفي كان مع صديقك عبد الله!
ألا تلاحظ بأنك تعطي هاتفي لعبد الله الذي لا يملك هاتفاً?
وتهاقف هديل التي تقطن معها في المنزل نفسه في كل ليلة وفي
الوقت عينه وساعات حتى الفجر؟
قلت بغضب: ما الذي تقصدته جماله؟
سحت فيك: عبد العزيز!..! أظن بأنني ساذجة إلى هذه
الدرجة؟؟؟
صرخت: اسمي!..! هاتف كان مع عبد الله، صديق إن
اردت.. وفي كل الحالات لا يهمي تصديقك إياي.. ألا يكفي أنك
أحرجنتي مع الرجل باتصالاتك المتكررة! ..
أحرجتك؟!
طبعاً أحرجنتي!.. أمجنونة أنت لنتصلي بي لأكثر من سبعين
مرة؟؟؟
عبد العزيز.. مع من كنت تتحدث؟!
صرخت بثورة: مع الجن!.. كنت أتحدث مع الجن الأزرق!
ما دخلك أنت؟
لقد وعدتني أن تتغير!..
اسمي!.. هذه آخر مرة أسمح لك فيها أن تكذبوني أو أن
تتكذبي في ما أقوله.. أفهمين؟؟
صرخت: أين ذهبت وعودتك التي وعدتني بها!؟!
"بليها وأشرحي مويتها!"...
حينما أغفلت الهاتف في وجهي ليتها، عرفت بأنك قد قطعت
تلك المرة كل خطوط العودة يا عزيز!.. لطالما تشارجنا وتقاتلنا
وصيرختنا في وجه بعضنا بعضاً. وعلى الرغم من كل هذا كنت أنا في كل ليلة وأنا على يقين من أنني سأستيقظ لأجدك بانتظار أن أصالحك وأن أراضيك! لكنني تلك الليلة يا عزيز عرفت بأنك لم تعد معني وبأنك لن تصبح لي. شيء في نبرتك أنباني بأنك قد انتهيت مني وبأننا لن تعد يوماً كما كنا، حاولت استرضاءك بعدها!! تمسكت بك، دست على كرامتي وعلى عقلي وعلى المنطق، وحاولت أن أرضيك، لكنك كنت تزداد بعداً يوماً بعد يوم. حتى بت لا أسمع صوتك إلا كل ثلاثة أيام أو أربعة، كنت تتشاجر في كل مكالمة. لم أكن لأرضي بتفكرك، كنت بحاجة لأن تفسر لي ما جرى، أن تبرز لي تصرفاتك معني وتهويتك مني، وبعد ذلك كنت تتزداد تجاهلاً للأمر برمته وكان الأمر لا يعتني!.

لكن كنت تصر في كل مرة أناشقك فيها عندما كنتي بانتي (واهمة)!! كنت تؤهمني تغيرك!! بأنني لا أفهم ظروف انتشالك وبياني مريضة بالشيك، حتى صارحتي يوماً قلت: جمانة اسمعي.. أعرف بأنك تعبيني كما أحبك.. لكن الحث ليس كل شيء!! أنت تشغتين بكل ما أفعله جمانة.. وهذا ما سيدمرنا يوماً.

سأطلق بحجة: وماذا تقترح؟

جمانة، لا قدرة لنا على الاستمرار بهذه العلاقة!! هذه العلاقة تدمرننا...

لم أفهم!!.. ماذا تقصد بأنه لا قدرة لنا على الاستمرار بهذه العلاقة؟

جمانة.. أنت متعبة مني.. وأنا أيضاً متعب، تخنقني قبلك

جمانة!! صدقني حتى وإن تزوجنا لن تمكن من الاستمرار معنا...
انت جميلة... صغيرة... وذكية... وأي رجل في الدنيا يتنمنى الزواج من فتاة مثلك!... لكني سأدرك جمانة... مثلما أنت تدرنيتي الآن!...
قلت بحيرة: أصلحت أدرك الآن؟
أنا آسف يا جمانة!... أعرف بأنّ حديثي قاسي!... لكن صدقيني أن تتألم الآن خير من أن تتألم العمر كله.
بهذه البساطة؟ لأنني أخشي عليك ولأنني أتنمنى أن تكوني أسعد امرأة في الدنيا... أنا مضطرب لأن أتخذ القرار الأصعب، القرار الذي أعرف بأنك ومهما رغبت به لن تقدمي عليه.
قلت بسرحية وأنا أبكي: كم أنت طيباً!
قلت بغيظ: جمانة... ستتأكدين يوماً من أنني فعلت هذا من أجلنا!
صرخت فيك باكية: وأنا...؟ كيف أعيش من دونك؟؟
الحياة لا تتوقف جمانة... ستقابلين الرجل المناسب حتماً، أن نتغلغل وفي قلوبنا حب كبير لبعضنا بعضاً خير من أن نحيا معًا بتعاسة!
لا أريد الرجل المناسب... لا رغبة لي بالابتعاد عنك وفي قلبي حب كبير لك... لا أريد هذا...
جمانة، لا تصعبي الأمور عليّ... أنت لا تزالين صغيرة ولا تعرفين أين مصلحتك.
صحت فيك: لا تتحدث عن مصلحتي!... لا تهمك مصلحتي.
فلا تدعي أنك تفعل ما فيه مصلحة لي...
اسمعي! لا تزعجي رأسي. أنا سأخبر والدي بأنني قد تراجع عن موضوع الزواج. وأنت بدورك أخبر والدي. قولى لهم ما تشائيين، لا يهمني ما ستقولونه عن أسباب تغيرك لرأيك.

المهم أن تقول لهم بأنك من تراجع عن الأمر. كم كنت متفائلاً يا عزيز! حرصت على أن أحافظ على ماء وجهي أمام والدي اللذين أجبرتهما على أن يقلا بك. خشيته على كبريائي أمام عائلتي بعدما تخليت عن بطيب خاطر. أندري يا عزيز. لم أكثر لغيرك أبداً. لم يكن ليهمني غيرك ولم يكن ليهتز كبريائي أحد سواك. ظننت أنك بأنني ساكثرت لصورة النهاية. أدرتها أن تكون أنيقة بمقدار أناقتي فطلبت مني أن أختار لها إطاراً يليق بي ويناسب صورتي عندما.

لا أعرف لماذا حاولت أن أثيرك عن قرارك مع معرفتي بأنك لن تراجع عنه. لا أعرف كيف أصبحت كرامتي رخيفة إلى ذلك الحد! ما زلت لا أفهم كيف كنت أرجوك بعد حديثنا ذلك ولايام على أن تعيد النظر في موضوعنا. أن تفكر، أن لا تسمح للشيطان بأن يهدم ما بيننا!

كنت تزداد استباداً وقسوة كلما زاد ضعفي. ومع هذا لم أيأس من أن أحاول استرجاعك، حتى سافرت من دون أن تخبرني، حتى عدت إلى حياتك تاركاً خلفك امرأة كانت تستعد لأن تكون زوجتك!

سافرت ببساطة، تخليت عني بكل سهولة ودناها! ما زلت أذكر كيف أخبرت أمي براجعك (المزعوم) عن قراري. اضطررت بعد سفك لأن أواجه الموقف وحدي.
قالت لي بغضب: أنظرين بأن الزواج لعبة؟ أجابتها: لا، لكنني استخرت الله ولم أشعر بالراحة تجاه قبولي عندها!
والرجل الذي يستعد للزواج؟! وأعمامك الذين كاد أن يخسرهم والدك من أجلك. ماذا تقول لهم؟؟ أمي، أعمامي سيسعون بtraîجعي عن هذه الزيجة.!! فليقل لهم والذي بأنه من تراجع عن الأمر من أجلهم .. أما عبد العزيز .. فلقد تحدثت معه ولقد فتحم !! جمانة. أتغرين؟!.. أتدركين معنى وقيمة ما تتخلين عنه وما ستقدمين عليه؟!
لقد تحدثت مع عبد العزيز وانتهى الأمر يا أمي.. أرجو أن تخبري والدي. لأن الأمر قد انتهى. وأهله؟! ماذا أقول لهم .. لماذا تراجعت ابنيتى عن قرارها؟ لا تتصلحوا بهم.!! لقد أخبرتهم هو.
أعرف بأنك لا تدرك شيئا مما مررت به بسبب موقفك ذلك. أدرك بأنه لا يعنيك - شيء - مما مررت به. أدرك بأنه لم تهتم كيف أواجه الموقف. وأدرك أيضا بأنه لم يكن من الرجولة أن تتركني بذلك الطريق يا عزيز، لم يكن من الإنسانية أن تتركني بذلك الشكل .. كم كان تنازلك عني.. قاسيًا .. وباردا .. ومهيناً!! لست أفهم لماذا تصر على أن تفعل ذلك؟!! لماذا تصر على إهانتي علينا.!!.. أهمني يوما أمام أصدقائنا بزواجك من ياسمين.!! وأهنتي في آخر أمام عائلتي وعائلتك بتراجعك عن الزواج. كيف قدرت على إهانتي في كلنا الحالتين من دون أن يمشك من الإهانة شيء.!!
أتمنى أن أرى قريباً وليدنا... صمت فجأة ففتحت عيني وانفتحت إليك، كنت متكئاً بمرفقك إلى النافذة على يسارك... تنظر إلي مبتسماً...

Why are you looking at me like that?

أسكنت رأسك إلى مسنداً مدقع وكنت تهديت: آآآآآا...
قلت لك: ماذا تعني (آه) هذه؟
تعني الكثير!
مثل ماذا؟
مثل أنني أتمنى لو أخذتك الآن من يدك لتنزل من السيارة
ولترقص تحت المطر على صوت أثوذ جون.
قلت لك محاولة استفزازك: بدي عليك!
رفعت صوت التسجيل، وترجلت من السيارة. كنت أعرف
بأنك ستستحبني تحت المطر، فانتقلت إلى مكانك وأغلقت الأبواب، أخذت تطرق على شباكك لأفتح الباب لكنني لم أفتح لك... فتحت يديك وأخذت تدور تحت المطر كطفل صغير. كنت
تنظر إلى السماء وكأنك تناجيها! بللكل المطر، لكنك ظلت فاتحًا
ذراعيك رافعاً رأسك إلى السماء. كنت أشعر بأن روحك تشرب
الماء، قبل أن تشرب ملابسك.
ففتحت الشباك، قلت لك: ولدا! أتعرف بأنك ستمضى؟
قلت وأنت تشير إلى السماء فوقك: أنتم شفافة ونقية مثل
المطر. لذا أنت أقرب إلى الله مني. أدعه لي...
لا تجعل بينك وبين الله وسيطًا! صدقني لا يحجبك عنه
شيء يا عزيز. ارفع يديك وادعه بنفسك...
أرجوك جمان. أدعه من أجلني!
صمت قليلاً وقالت: ماذا تريد أن تطلب منه؟
أريدك أنت!
فقط أنا؟!
رفعت إصبعك وأشرت إلى نقطة بعيدة في كبد السماء، نقطة
لم يكن يراها غيرك... قلت: أعرف بأن الله سيحرمني منك!!
ولماذا تظن بأنه سيحررك مني؟
تجاهلتي وأخذت تغني:

What I got to go to make you want me?
What I got to do to be heard?
What do I say when it's all over?
Sorry seems to be the hardest word.

It's sad, so sad

 كنت أجواً، تنهوا في غاية الروحانية.. أعرف اليوم بأنه كان
من أحب الأيام إلى قلبي.. أعرف بأن وقعت كان مشيراً ونابثي
عشقتك أكثر مما كنت أفعل بكثير.. كانت رؤيتك تحت المطر تغني
في الساعة التاسعة صباحاً.. تريح القلب، تدف القلب، وتخد
الجسد.. كنت أرقك بولع كما ترقب الأم طفلها وهو يكبر أمامها..
قلت لك في مساء ذلك اليوم: تغريني طفولتك!

إجبيتي: لن يشع أمومتك رجل مثلما لن تشبع رجولتي أم..
قلت: لم أفهم...
طفولتي تغري حاجتك للأمومة، وأنوشت ملكي تغري رجولتي.. لكن
رجولتي لا تشبعها أم، أمومتك لا يشعها رجل..!.. أفهمت ما
أعتي..؟

ألم تقل لي يوماً بأن في داخل كل رجل طفلاً صغيراً؟
قلت لك هذا، وقلت لي يومها بأن في داخل كل امرأة أمًا،
لكنني كبرت على أن أحتاج إلى أم!.. كبرت حاجاتي جمان!
شنتك يومها تقصد بأن حاجاتنا تختلف، كنتي أنهم الآن
بأنك قصدت بأننا لن نشيع حاجات بعضنا مهما فعلنا. لأن
جاجتنا متصادمة ومتناقصة إلى حد كبير.
قلت لخالد: أطفئ الراديو..!.. لا أحب هذه الأغنية.
رفع خالد الصوت بعند.. كما تفعل معي دوماً، لا أفهم لماذا
يغيض الرجال نساءهم بعند لا مبرر له.. الغريب في الأمر.. أن
الرجال يدعون بأن النساء خلقن من عاند.. تعالو النساء عما
يدعون!
أتدري يا عزيز.. أنا على قناة بأن النساء خلقن من سكر.
النساء لسن إلا مخلوقات في غاية الحلاوة.. لذا من السهل
إذابتهن.. ولكن المرأة السكر حين تذوب.. لا تعود كما كانت يأ
عزيز.. بل تتخطى وتتناشى وكأنها لم تضيف يوماً طعمها حلواً إلى
رجل.
سألتي يوماً في سكرة عشق: مما خلت جمان؟
أجبت ببخارية محاولة إغاظتك: من سكر!..
صحت بحب: يخب بيت السكر يا سكر!..
أفهم الآن يا عزيز بأن (يخرب بيت) الأشياء! كلمات مقتبسة
من حبيبتيك المونتريالية.. لطالما كنت في حيرة من أمري، من
تدريبك لكلمات لا تتم للهجرات السعودية بصلة .. (يخرب بيتك
شكار واحشتي.. خلي عنك ولدت، بلشت أطفئ.. أطلخ الخط،
عم بندفش)!..
اذكر بأنني سألتك مرة: هل اشنتي إلي؟
قلت لي باستنكار: ولوا!..
من أين جئت بـ ولو؟
قلت بسخرية: من الفضاء!
قلت لك بغضب: تقول (وش دعوّة!) لا تقول (ولو).
ولما أنت غاضبة؟
لأنني لا أدرى من أين تأتي بكلماتك هذه!...
من صديقتي سامتا...

غضبت منك كثيرًا حينها يا عزيزي على الرغم من أنني كنت على يقين من أنك تحاول إغاظتي بـ سامتا صديقتك الوهمية التي تحاول دائماً إغاظتي بها! لكنني كنت أشك أحياناً بأن مصدر كلماتك أنثى... كنت تبدد شكوكي دوماً، حينما تدعى وجود امرأة أخرى كالمكسيكية سامتا مثلًا! كنت في منتهى الذكاء كي توجد تلك المرأة يا عزيزي، أنهم الآن بأنك كنت تتتحجج بها في كل مرة أشتكك بك فيها لأشعر بأن مخاوفي مضحكة وبأن هواجسي لا منطق له!... كنت خبيثاً إلى درجة لم تستوعبها سذاجتي!... بعدما تنتهي علاقة تتشكل لنا الأحداث من جديد، نراها من زاوية أخرى!... فيبدو لنا كل ما كان مرتبطاً بها بشكل مختلف.
أكبر اليوم، الصورة التي كانت عليها علاقتنا، أنهم الآن بأن تلك العلاقة لم تكن لتلبقي بي... لكنني لم أحلم يوماً بأن تلبقي بي تلك العلاقة... كنت راضية بما ساعدنيه ما دمت طرفاً فيها، كان من المهم عندي أن أكون طرفاً فيها... لم يكن يهمني أن تكون كفتاً لي أو أن تستحقني، ما كان يهم أن تكون موجوداً معي وأن نظل إلى جواري... ألم تقل لي يوماً بأن أحلام النساء غيبة يا عزيزي؟!
قلت لك بابتعال: أرجوك لا تعمم!...
قلت لي: أتعرفين جمانة.. لن تسعد امرأة في حياتها العاطفية إلا إن كانت غبية، أو أن تستغني على أقل تقدير لذا لن تسعى...
أبداً جمانا!!
أظن بأنني لا أجيد الاستغباء..!؟!
أنت لا تقدرني عليه، لا قدرة لك على الإدعاء بأنك غبية.
لذا لن تسعى مع رجل مهما أحبك!!
تذكر أنني بأني أذكى من أن يسعدني رجل.. وأظن أنا بأنني أغبي من أن أدعو الغباء فاسعد معه!! كان من الخطأ أن أبديت حياة عاطفية مع رجل خبيث، عرفت في حياتي كثيرات وأحب الكثيرات، لكنني لم أتحى قدر معيك.. كنت قليلة خبرة، غرة.. وطاهرة قبل أن يلوثني هذا الحب، تظن أن الحب يظهرنا وينقينا، وأظن أنا بأنني لثيننا ويهوتنا في أغلب حالاتها.. أعترف الآن بأنني لم أكن ذكية إلى درجة تجعلني أدعو الغباء، كنت أمر بحالات إكثار كثيرة.. أرى السواد بيضاً وأورر للخيال أسوبها، كنت في حالة إكثار يا عزيز.. لم أكن امرأة غبية على الرغم من سناجها أحلامي..
قلت لي يوماً: أنت أطيب من أن يستوعبك قلب!!
وأقول لك اليوم يا عزيز: أنت أخي من أن يستوعبك عقل.. كنت ذكية يا عزيز.. صدقني لطالما كنت امرأة ذكية لكن ذكائي على الرغم من (جودتها) لم يستوعب خيالك بالرغم من وضوحي!!
أقرأ هذه الأيام لك، أطلع على مقالاتك وأنا أبحث فيها عن (بعضي)، احتاج لأن أقرأ بعضاً مني فيها، لأشعر بأنني كنت هناك، حيث أنت.. أقرأ اليوم ما تكتب ولا أجد في كلماتك شيئاً
لمحبيتي اكثر مني يغبغي

مني وكأنني لم أكن يوماً هناك وكأنني لم أمر يوماً على بابك! لا أعرف كيف ينتهي كل شيء بالنسبة إليك بغمضة عين.. وكيف يظل كل شيء بالنسبة إلي ولا يمس بشعرة! كان من الأقدر بك أن تعتمدي كيف أنتهي مثلما علمتني كيف أبدأ، كيف تحلمي بذراعيك لتدخل بي في داخل البحر وترمياني في منتصفها.. لتعود أدراجك تاركاً امرأة خلفك لا تجد السباحة.. امرأة كانت يوماً حبيتك!

أشعر بخيبة! قد لا تفهم ولا تعترف كيف هي مشاعر الخيبة يا عزيز.. لكن المرارة تكاد أن تقتنعني الغريب في الأمر أنك تدعي دوماً بأنني امرأة صعبة.. حينما نصد في الحب كثيراً وحينما تخيب أمالنا فيه، نفكر كثيراً في أن يكون الخلل فينا، في أن يكون العيب منا.. لا أدعى أنني امرأة سهلة الطبع، لكنني كنت كالعجينة اللينة في يديك.. شكلتني في أغلب مراحل علاقتنا مثلما شئت وكيفما أردت.. وقد يكون هذا أحد أسباب عدم اتفاقنا..

أعرف يا عزيز بأنني التي منحت الفرصة في أن تذلني.. أنا التي هيأت لك نفسياً لتذقني من كل صنف من أصناف الإهانة والمثلة، أنا التي كنت على استعداد لأن أتنازل عن كل شيء من أجل رجل سبب له وأن تخلى عنني.. فكيف ظننت بأنه لن يعود ويفعل ما سبقة له أن فعله بي!.. كان من الصعب علينا أن أواجه عائلتي.. وقد كان من الأكثر صعوبة أن أواجه حين عودتي.. لم أكن على استعداد لأن أقابلك من جديد، لم أكن قادرًا على أن يجمعنا مكان واحد بعد كل الذي حدث..
مرست جداً قبل رحلة العودة!.. ركبت الطائرة بإعصار وأنا أشعر بالتهن، شعرت وقتذاك بانقباض كل ما فيي.. كنت أشعر بتشنج عضلاتي.. وبأن جبلًا من الهموم يجثم فوق صدري ويكتم أنفاسي.. حينما وصلت ونزلت إلى المدينة كنت أشعر بأن الناس ينظرون إلي بشفقة وكأنهم يعرفون عمًا جرى بيننا.. سالت دموي وأنا في طريقي إلى المنزل وأنا أتابع الشوارع والمنازل، حينما ارتفع صوت سائق سيارة الأجرة بقليل: سيدتي، أنت بخير؟ كان سائق سيارة الأجرة يتابعني من خلال المرآة طوال طريقنا.. وقد كنت أعرف بأن صوت حزني صاحب على الرغم من انعدامه!...

قلت له: أنا بخير!.. إنها الغربة فقط.
كان من الواضح بأنه لا رغبة لي بالحديث عن شيء ولا رغبة لي بسماع شيء.. فابتسم السائق ولم يسترصل.
كم كانت ليالي الأولى بعد عودتي صعبة يا عزيز!.. لم تكن هيفاء قد عادت بعد من الكويت وقد كنت وحيدة.. وحيدة في مدينة علمتك كيف تتآمر وتقضي عليك!.. كان قد مضى على آخر حديث لنا حوالي الشهر.. شهر كامل لم تسأل عني فيه، كما لم أسأل عنك بدوري.. أكذب إن قلت بأتي لم أكن مشتاقًا إليك ولم أفكر بك طوال تلك الفترة.. لكن مشاعرك الخيبة والإحباط والقهر كانت أكبر بكثير من شوقي تلك المرة!...
اعتزلت في شقتي لثلاثة أيام من دون أن أخرج إلى أي مكان!
لم أكن على استعداد لأن أرى الشمس.. ولا الطيور ولا السماء.
قلت لي مرة بأتي أغدو في غاية الحشمة حينما أحزن!..
لا أحد يعرف كيفية الشعر...

بأن تكون الرجل السيئ!

بأن تكون الرجل الحزين...

No one knows what it’s like...
To be the bad man...
To be the sad man...
And no one knows,
What it’s like to be hated!
To be fated to telling only lies..

قلت لي يوم ذاك: أعرف بأن مزاجك سيء حينما تحتشمين!..
تلبسي ملابس ضفاضة، طويلة وحالة حينما تحتشمين أو تحبطين!..
والحق بأنني لم أنتهِ يومًا إلى هذا قبل ذاك الحدث!.. ولست
أفهم حتى الآن الرابط بين الحشمة والحزن!.. لست أفهم لما
تحتشم في حالة الحزن وكأننا نخفي حزنتنا في عتبة الألوان الغامقة
وتحت ملابس واسعة.. ما أفهمه هو أننا حقيقة نبدو في مظهر
محتشم حينما تكون في حالة حزن.. لكن احتشام حزني غير أنقى يا
عزيزا!.. يذوي كل جميل لدي تحت وطأة الحزن فيخبو نوري،
ويتغير لوني وتجمد ملامحي.. فأصبح امرأة لا تشبهني في شيء...
كنت متضبدة فوق الأريكة في الظلام وحدي، أعبث بكمي
الكنزة الضخمة والتي تفوقي حجماً مرتين.. بينما كنت أسمع
لصوت أحد مطوري Limp Bizkit وهو يشدو بصوت حزين وموجع
کاَت بَكَلَمَاتُ الْأَغْنِيَةَ: Behind Blue Eyes..
ولا أحد يعرف...
كيف يمكن أن تكون مكروهًا...
وكيف أن تكره على قول الأكاذيب!
أندري يا عزيز، أشفق عليك كثيرًا على الرغم من كل الذي فعلته بي. كم من الصعب أن يكون المرء سيئًا يا عزيز. إلهي كم أنت سيء، لا أعرف كيف تعابيش مع سوئك! كيف تقدر على أن تنسجم مع عواطف قاسية كعواطفك!...
شعرت وكأن الأغنية قد كتبت لك! كانت تصفك. تصفك بدقة...
حينما ارتفع صوت هاتف البيت فجأة. ولقد كان من النادر أن يتصل بنا أحد على الهاتف الأرضي خاصة وأن هيئة لم تكن موجودة. كان قد مضى على وجودي ثلاثة أيام لم أسمع فيها رنين الهاتف حتى كدت أن أنسى وجوده. خفتك كثيراً لكني أجبت...

Hello
جاءني صوتك عميقًا: عدت إذن!...
الجمني صوتك قلم أرد. كان بودي أن أشتمك! أن العنب، أن أغلق الهاتف كما تفعل دوماً. لكنني لم أرد. صمت فقط...
أرجوك جمان، لا تبكي! لا تنفعل! لا تهدرني عمراً آخر...
في حزن وكاء...
لماذا تتصل؟...
صممت قليلاً وقلت: رأيتك ليلة البارحة في حلمي...
ألا تزال تحلم بي؟!
لم أحلم بغيرك يومًا!
وهل اتصلت لتقصّي عليّ حلمك؟
عادة أنت من تقصّي عليّ القصص وتحكي لي الحكايات.
لطالما كنت شهرازادي جمانة.
لماذا اتصلت إذن؟
تنحنّدت: تعرفين لمّا أتصل!...
لا أعرف شيئاً يا عبد العزيز..! بتّ لا أعرف شيئاً.
أخافك كثيراً حينما تتلقين اسمي كاملاً!...
وهل يخفّك في الدنيا شيء؟
زفرت بقوة: جمانة!.. جمانة!.. جمانة!.. أرجوك.
عبد العزيز.. أرجو ألا تتصل بي مجدداً.
تعرفين بأنني لن أقدر على هذا..
أعرف بأنك تقدر على أي شيء!...
لا بأس، اتصلي بي إن احتاجت إلى أي شيء...
فيك الخير!...
حينما أغلقت السماعة ضممت كنزتي الفضفاضة إلى جسدي،
kنت وكأنني أحمي بها، كنت الكنزة منك!.. كنت كنزتك،
أعطيتهنّ إياها في شتاء سابق كي أرتديها خوفاً من أن يفتك البرد
بجسدي.. خشيت من أن يفتك بي البرد ولم تخشَ عليّ من أن
تفتك بي!.. لطالما خشيت عليّ من كل شيء وكأنك تأتي أن
يؤذني غرك، أن يهكّني غرك وأن أموت بسبب غرك...
أذكر بأنك قد قلت لي مرة بأننا نصنع جزءاً من أقدارنا.. قلت
بأني من خلقت قدر معيك.. فلا داعي لأن آلموك على قدر قدره
الله لي وخلقت أنا بعضاً مني.. أفهم اليوم بأننا فعلاً من نجلب
الأقدار يا عزيز... أنا التي ارتجحت أن تفعل بي كل هذا... أنا التي جعلتك تتمادي في إيذائي...

بدهشتي الآن كثيراً أن تكون على حق... بدهشتي أنك كنت حكيمة في أمور عدة وفي مواقف كثيرة على الرغم من التهور واللامبالاة والطيش!...

تدهشني تركيبتك حقاً... مركب أنت من حالات عدة وأموجة مختلفة ومشاعر متناقضة لا تشابه بعضها أبداً... أحبك اليوم كثيراً، أحبك بقدر ما كنت أفعل... لا تصدقني يوماً إن ادعتي في لحظة كبرياء بأنني كرهتك أو نسيت، لكنني تعبت كثيراً، تعبت حتى بت لا أرغب في حياتي شيئاً ولا أنتظر منها شيئاً... أقدرنا ما عادت تعنيني يا عزيز، لم يعد يعنيني فهمها ولا تغييرها... كل ما يعنيني الآن أن أراح وأنا أهذا...

يحق لي بعد كل هذا الوضع أن أراح، يحق لي بعد كل هذا الغضب أن أهذا... أن أستكين، أن أطمئن... أن أنسى وأن أمضي قدماً... أشعر أحياناً بأنك تفعل ما تفعله بي فقط لتقهريني!... لنتنتم من كل سبيء يخالجك من خلالي... تجرم بي بلا ذنب ومن دون سبب!...

عند للاستراحة فوق سريري، حاولت أن أرتجز جيداً على فكرة واحدة لطالما حاولت تعليمي إياها، قلت لي يوماً بأنك تؤمن كثيراً بـ (أوشو) الحكيم الهندي... الذي لا أرى في ما يؤمن به وما يدعو إليه أي واقعية... كنت تؤمن كثيراً بالتأمل الارتجاعي... كنت تطلب مني دوماً أن أستعرضا الماضي بحديثة حينما نغضب من بعضنا وبعد أن نتشاجر، أن أستعرضا ما جرى كشريط مصور من دون أن أشعر حياله بشيء، وكأنني لم أكن طرفًا فيه... قلت لي
لحبتي أكثر منا يتبغى

بأني سأواجه صعوبة في البداية وبأني سأراجع كثيراً لما آمنت وأقنعت تلك (اللعبة)!.. تتعامل مع كل ما تؤمن به كالأكلات.. ليست الحياة بنظرك إلا مجرد لعبة تظن أنت بأنك تتقاتها...

أعرت بأنني لم أتمكن من أن أسترجع حكايتي معك إلا بكم من الحقد والمروة والغضب، ولا أظن بأنني سأقدر يوماً على أن أسترجعها بحيادية.. ما عاد يليق بي التسامح يا عزيز.. ما عاد يغريني الغفران ولم أعد أطمغ بأن أحظى بأحد ص وكوكه.. كم كنت ستكون خيبة أموال بيك كبيرة يا عزيز.. أكون خيبة بي كيخيبتي بك؟.. أظن أنني مرت ببعض ما يشفع لي عند الحكم، فهل تملك ما يشفع لك عندني؟.. أشفع لك شيء بعد كل ما جرى؟.. كم أرجو أن يكون هناك حقاً ما يشفع.. أحتاج لأن يشفع لك عندني شيء.. أي شيء!.. المغفرة تشرط الشفاعة يا عزيز.. وأنا أعرف جيداً أنه لم يعد هناك ما يشفع لك.. كيف تظن بأنني سأغفر من دون شفاعة؟..

لا أدرى لماذا نصرع على إيقافني في ركن قصي وكأنني من ممتلكاتك، تعود إلى وجه عند الحاجة لتركتني بعدما تنتهي من حاجتك وكأنني مزوعة الإحساس.. أمللك يستحقون اللعنة.. لكن أمتلك من يصبرون أمتالي بها فأين الإنصاف في كل هذه الحكاية؟!.. كيف يكون القدر جائراً إلى هذا الحد؟!.. أخبرني بالله كيف؟!

أمتالي يُحققون وأمتالي يحققون.. ورحى القدر تدور بلا عدل لتهتن مشاعري، وتسحق أعمالي سحقاً!

***
جاءت هيئة محملة برخم من الأسئلة، جاءتني في وقت كنت محتاجة فيه لآن أتكلم، لم أكن على استعداد لآن أحدث شيئًا عمّا جرى، لم يكن في حكايتي ما يدعو للفخر يا عزيز، أظن بأنني ومع كل ما سبته لي من أذي لم أرغب في أن يمسك من الملاحظة شيء أو أن يمسني من الإهانة أكثر مما مسني منها!.. اكتشفت بأن أخبرها بأننا (لم نتفق!). على الرغم من إصرارها وإلحاحها لمعرفة تفاصيل ما حدث خلال الثلاثة أشهر الماضية إلا أنني تحققت بما يكفي لأني تمل وآلا تعاب مساءلة بشأننا.

حينما التقنت في الجامعة في بداية العام الجديد، سلمت عليك كما سلمة الزملاء على بعضهم بعضًا في بداية كل عام، سألتك عن أحوالك وعن أهلك وعن باتي وروبرت وكأننا لم نكن يومًا إلا مجرد زميلين. سلمت عليك مثلما أسلم عادة على زيد ومحمد، إلا أنني لم أتمكن من أن أنظر إلى عينيك أبداً، كنت أحدثك وأنا أنظر إلى باقة قميصك، إلى فمك، إلى شعرك إلى كتفيك وقدميك، لكني لم أقدر على أن أنظر في عينيك يوم ذاك، كنت أشعر بأنك تحاول استبقائي، حاول أن تطيل الحوار لأطول وقت ممكن، لكنني تصلت مثلك بمجاملتين باردتين وتوجهت إلى قاعة المحاضرات، بعد أن تركتك - تلك المرة - خلفي!.. أرسلت إلي خلاً خلال المحاضرة: (أنت زعلانة مني)!.. كتبت لك: عادي!.. أجيبي: عادي!.. يا كبر شرهتك!..

تظن أن تأولي كبير وأظن أنا بأتي تجاوزت مرحلة العتب.
لهيبتي أكثر ما ينفعني

بكثر يا!.. لم يعد في أعماقي ما يكفي من المساحة للعتب يا عزيز، قد قلرت تجاوزت مشاعرك العتبت. وبالرغم من اتصالاتك بي بعدها ألا أنتي لم أجبك.. كنت في كل مرة تلتقني فيها، نسلم بعجلة.. مع أنني أدرك جدًا بأنك تبحث عني في كل يوم تجيء فيه إلى الجامعة مثلما كنت أبحث عنك.. لكننا ومع هذا كنت نجرح بعضنا بعضًا بكلمة أو بكلمتين في كل مرة تلتقني. كنت أتعلن أن أجرحك في كل مرة أراك فيها، و كنت تتجزع كلماتي بمرارة جليلة، إلا أنك كنت تعيد إلينا الإهانة في لقاءاتنا السريعة اللاحقة.. وكانك تأتيز أن تغفر لي كلماتي!.. لا أفهم كيف أصبحنا فجأة، كنا معنا نذك بعضنا بعضًا فيها، كنا نذك بعضنا دكًا، نهدم ونحطم ما تبقى منا، قلت لي يومًا بأن حكابات الحب الشرقية غالبًا ما تنتهي بفشل، واليوم أعرف بأنك كنت محظاً في هذا.. لم تتمكن من أن تلحمر بعضنا يا عزيز على الرغم من ادعاءاتنا هذا وتثبيتنا ذلك.. أبداً إلا أن نستمر في إبداء بعضنا بعضًا، وإهانة ما تبقى من علاقة ظننا يومًا بأنها مقدسة.. علاقة أعرف الآن بأنها لم تكن يومًا كذلك!.. أندري يا عزيز، لطالما ظلنت بأن علاقتنا مختلفة.. أحب الأساطير والخرافات، على الرغم من وحشية بعض منها إلا أن جنبًا إلى جنب رومانسياً رقيقةً يطغى على معظمها.. وامرأة متشروبة بالرومانسية مثل، لم تطمح يومًا بنهاية كالتى اخترتها!.. تقول دومًا بأن علاقتنا لن تتبع مادتها أخرى وأنك أن تكون أسطوريًا!.. تظن أنني أبحث فيك عن قصة يحكم عنها، وأنني بعيدة كل البعد عن الواقع والحياة الحقيقية.. وأنا أبحث فيك عن خرافة!..
قلت لي يوماً: نحن في الحياة يا جمان تسيرنا أقدار وتباغتنا
ظروف، نحن أضعف من أن نتمكّن منها. لا تظنّي بأنني سأكون
يوماً كعلامة الدين الذي أنقذ أميرته من وزير والدها الملك ليتزوّجه
بحبه فقط... هذه القصص لا تحدث إلا في الأساطير يا جمانة...
فقط في الأساطير وفي قصص الرسوم المتحركة...
لكنني لم أبحث فيك عن قصة أسطورية، لطالما كنت مميزاً
في نظري. لطالما كنت مختلفاً، مقدساً...
 كنت أعظم من أن تكون مجرد رجل أسطوري، كنت مقدس
بالرغم من الخطايا يا عزيز.. وعلى الرغم من كل شيء، ستظل في
نظري الرجل المقدس!!

***
حاولت أن أشغل نفسني بكل شيء في غيابك، كنت أقضي
نصف يومي في الجامعة وما تبقى منه في الأسواق والمكتبات وفي
النادي الرياضي لأدخل حين غرقتني في فراشي، وأغرق في غيوبية
نوم من شدة الحب والإرهاق. أرهقت نفسني قدر ما استطعت حتى
لا أفكر بك. كنت أركض مستخدمة جهاز السير في كل مرة تختصر
فيها على بالي. محاولة طردك من رأسي ومن جسدي. أركض
وأركض حتى تلقي طيفك بعيداً وتهار عضلاتي...
 كنت في طريقي إلى النادي حينما اتصل زiad، كانت مكالمته
مفاجئة لم أتوقعها...
كيف حالك جمانة؟
بخير، عاش من سمع صوتك يا دكتور!!
عانت أيامك جمانتي.. أين أنت؟
في طريقي إلى النادي، لماذا؟
قال برد: حذفت بعض الملفات عن طريق الخطأ كما فعلت
في المرجة السابقة، المشكلة أنني أحتاج لأن استخدم جهازي اليوم.
قلت له مداعبة: ما أمرك يا زياج مع حذف الملفات؟!
صدقني لا أعرف ما قصتي مع قلة التركيز.
ما رأيك في أن تلاقيني إلى المقهى الذي استعنا فيه ملفاتك
للمرة الأولى؟!
سأكون هناك بعد ربع ساعة بمشيئة الله.
سبقته إلى هناك، جاء خجولاً كعادته، بخطوات مترددة
ونظارات متوترة.
قلت له وأنا أشعل الجهاز: سأخذ منك نقوداً في المرة القادمة
يا زياج؟
قال برد: ما يغلب عليك شيء.
كنت أبحث في جهازه حينما قال لي: جمانة!
أجبته وأنا أراقب الشفيات المتراصة على الشاشة بتركيز:
ماذا؟
ما الذي حدث بينكما فجأة؟!
نظرت إليه بدهشة: ما هذا السؤال المفاجئ؟!
قد لا تنخيلين كم أفكر بهذا الأمر؟!
عدت لأقرأ ما هو موجود على الشاشة وسأله: ولما تفكر
بالأمر؟!
لأن هذه المرة مختلفة، هذه المرة كنتما سنتزوجان.
أجبهة بيرود: 

ما انظر إلى شاشة جهاز المحمول، أطبق الشاشة على لوحة المفاتيح بقوة وقال: جمالزة، إذا سمحت!

فقلت له باستغراب: ما الأمر يا زيد؟! ما الذي تريد سماعه؟

أخبرني أرجوك، كيف انتهى الأمر بينكما؟

ألم تسألته?

طبعاً سألته...

وإذا أجابك?!

أخبرني بأنك من تراجع عن الموضوع...

سألته بهدوء: أقال لك هذا؟!

أهذا ما حدث?

أخذت أتأمل وجه زيد، شعرت بأنني أراه لأول مرة. ولأول مرة انتبه كم هو ناعم شعر رأسه. لا أعرف كيف تفوتي تفاصيل الرجل الذي أراه كثيراً وأعرفه جيداً، انتبهت حينها بأنني لم أر زيد يوماً سوى بقمصان كلاسيكية، يرتدي زيد دوامة القمصان الغامقة وكأنه قسيس...

ابتسم زيد بارتماً قائلًا: لماذا تنظرين إلي هكذا؟

زيد، أتُهمك تفاصيل ما حدث بيننا حقًا؟

تهمي كثيراً...

اكتشفنا بأننا لا ننساب بعضنا...

قال الشريك: هكذا فجأة؟!

ابتسمت بفُرحة: فجأة!

كان زيد يتأملني وصدى أفكاره يعلو شيئاً فشيئاً، فاسترسلت:

زيد... باختصار كان مشروع زواج والنتيجة...
أنا أذكاري كم من أن الأمر انتهى؟
انتهى يا زيد، أعادتي السماء بعدما استردتي!...
ابتسم زيد ولم يخلق، قلت له: زيد، أخبرني. أُذنفت
ملفاتك عن طريق الخطأ؟...
هكذا إذن! لا داعي لأن تحذف شيءًا في المرة القادمة يا دكتور. حينما ترغب بالحديث معي أطلب مني هذا مباشرة ومن دون أن تلحظ بجهازك أي أضرار.
أندري يا عزيز تحدثت يوم ذاك مع زيد بأريحية تامة، لم أشعر يومها بتأنيب الضمير. لم أشعر بما كنت أشعر به قبلًا في كل مرة تحدثت معه فيها.
تذكرت بالحديث معه. شعرت بأنني انتقم منك بحديثنا وبلقائنا، أصبحت أشعر في كل مرة يدللني خلالها زيد بأنني أعايقب على خدائني! بأنني أحملمك به. أنسحت بقريبي منه!...
أعفني اليوم بأنني لم أكرر يومًا حيال ما يشعر به زيد، يعفوني أنني لم أكرر إلى رجل أنقل ما يمكن أن يقال عنه إنه رجل. لكنني كنت احتاج لأن أنتقم منك من خلاله هو...
يقال بأن انتقام النساء دموي وبأن المرأة تتحوش في حالة الانتقام. لتدمير (الانتقام منه) بأكثر الطرق وحشية وإيلاماً.
ولقد كنت أعرف بأنه لم يكن ليؤذيك أحد كصديقك يا عزيز.
ولم يكن زيد كأي صديق!...

***

303
أصبحت علاقتي بزياد كدوخة مراهقة.. هربت منك إليه عمداً، كنت أرجو أن يختطفني من التفكير بك.. كنت أرجو أن يبعدني عنك بأي طريقة وأي صفة، ما عادت تهمني الصفات، وما عاد لمبادئي من قيمة.. مبادئي التي خالفتها بالخصوص لك وما كنت تستحق أن أخضع!..

جمبعتنا نخشى الحب يا عزيز.. كنا نخشى خوض غماره لكننا نغمس فيه بصورة المتعددة وكأننا مسحورون، وفي حالتنا عم السحر على الساحر والمحسور والمشاهدين الذين لا ذنب لهم سوى أنهم شهدوا حالة سحر!...

لا أعرف لماذا بدأت أفرض رغباتي على زياد فرضًا.. ولا أفهم كيف أخشى لمستبد واستبد على خاطر!.. لا أفهم كيف أخشى لمستبد وأستبد على خاطر!.. لذا أُصبحت مثلك، أنت الرجل الذي لا أرى في استبداذه سوى سلك شيطاني لا يمت إلى الإنسانية بأي صلة..

كنت كنت يتنقق منك بزياد، فهمت، ومن خلال زياد فقط، أنك لم تحبتي أبداً فحتقت عليه وفهمت وقتذاك معنى الهيمنة، وكيف أحبه على رجل لا ذنب له سوى أنه أحبني بحق.

عملتهما مثلما عملتني يا عزيز، كنت ازداد طغياناً كلما ازداد تعلقاً بي مثلما كنت تفعل معني، لكني لم أكن سعيدة بعملتي تلك.. كنت أتلوني ندماً في كل مرة أقسم عليه فيها، لكني لم أتمكن من أن أحببه يا عزيز.. لا قدرة لي على أن أحبه غيرك أبداً.

قلت له مرة: زياد!.. لقد استنزف عبد العزيز كل ذرة حب

تصكتني فلا تتوقع مني شيئًا..
لحبتي أكثر منا ي ينبغي
صمت قليلًا وأجابني بصوت متهدج: لا تنضب المشاعر يا جمانة، حمدًا لله بأنها لا تنضب...
لكنني أحبك على الرغم من كل شيء، ما زلت أحبك كما كنت أفعل، فكيف أحبُّ غيرك! ليتنيك تعلماني كيف أحب غيرك...
لنيك تعلماني كيف أحب زياد الذي يستمتع في سبيل إرضائي...
كنت أجلس مع زياد على الفطرة بانتظار هفء، حينما قال لي: جمانة، جربي الموكاتشينو... لذَّذ...
كنت أقرأ في لائحة الطعام، ابتسمت من دون أن أرفع رأسي...
وقلت له من دون أن أشعر: يحب عزيزًا!
رفعت رأسي لأطالع وجه زياد حيث كانت عيناه محضقتين بالدموع، أخذت كفَّه بكفي من دون وعي مني: عزيزًا! أنا آسفة!
سحب كفه من يدي وقال واقفًا: اسمي زياد، زياد يا جمانة,
زياد...!
خرج زياد بعد أن ترك الحساب فوق الطاولة... تاركًا امرأة قدرت على أن تشوهها لدرجة أنها أصبحت تشادهاك... إلهي لو تدري كم يوجعني أن أكون هذه المرأة يا عزيز...
لا أدري كيف أصبحت مثلك فجأة! لا أدري كيف أصبحت نسخة من رجل لا أحب أن اشتبه بشيء!
مرضت يومها، ارتفعت حراري حتى كنت ألا استيقظ أبداً
أتبعني ضميري فأعياني، أمرضي تعامل مع زياد، وعلى الرغم من ذلك أزدادت حاجتي إليك (أنت)... تعرف كم أحتاجك حينما أمرض وكأنك إكسر الشفاء الوحيد...
أخذت هاتفني وأرسلت برسالة إليه، كتبت: (زياد، أنا آسفة...
لم تدري كم أنا مريضة بسبب ما حدث)...
اتصل بي بعد دقائق، كان قلقًا عليّ، وكوني لم أفعل شيئًا،
قال: هل أنت بخير؟!
لا... أريدك أن تظل معني على الهاتف حتى آنام.
أخذ زياد يغني لي بصوته الرقيق الهادئ: نامي، نامي يا جوجو، وأذبح لك جوز الحمام، أكذب أكذب يا حمام، بس أبي جمانة تنام!
ظل زياد يغني حوالي الخمس دقائق، لم يوقفه عن الغناء
سوى تشويق مكون تعالى من الطرف الآخر، مني!
صمت زياد، وقال بصوته يرتجف:
please Jumanah...
أجته بصوته مخنوخ: آنا آسفة!... أشتكى إلى عبد العزيز، لا أستطيع طرده من رأسى وقلبي يا زياد، صدقني لا أستطيع...
صمت قليلاً وقال: أنت متعبة ولا بأس من أن تفقديه، هؤلي...
عليك.
صمت وأنا ألقك بداخللي يا عزيز، ألقك وألقك وألقك...
أستغفر الله من لحظات أشعر فيها بالرغبة للعودة إلى رحم
أمي، أرغب بالعودة وكأنني لم أخلق قط، وكأنني لم أكن يوماً،
ولم أعرفك أبداً، وكأن شيئاً لم يكن!
إلهي لكم أحتاج لأن أرتاح من كل هذه الفوضى يا عزيز، كم
أحتاج لأن أخرج من معممة لم أرغب في دخولها أبداً، تشعرني
أحياناً، وكأن أطفئًا من النار تحتفظ بنا، وفي يدك ولاعة تعبث
بها، تهديني بأن تحفرنا ببرود وبلا خوف. لم يعد لديك ما تخسره
ولم يعد يربطك بهذه الدنيا شيء، تعيش لتعيش ولا شيء أكثر.
لا تخف من أن تفقدوني وهذا ما يزيدهك عبئًا، هذا ما يجعلك أصغر. متأكد أن تأتي من أغني سأظل على الرغم من كل شيء، واثق من تسامحي معك، ومن حبي إليك ومن رغبتي بك.

إليهي لو تجري كم يؤمني هذا الاحتفاء! تدرك بأنك لم تكن مضطراً لأن تفعلنا بل كل هذا، لم يكن هناك من داع لأن تشعو ما بيننا بكل هذا الغدر. تجيقني وتشرش أمامي كل معايشك من دون أي خوف لأنك تدرك جيداً بأنك لن تفقدني ومهمها فعلته.

لكن لا تدرك يا عزيز بأنني قد قررت إلا أخضع لك أكثر.

بنسا للحب يا عزيز وبنساً لك...!

***

giene السادس من يونيو هذا العام بنكهة مختلفة، كنت قد قضيت أيام ميلادي الخمسة الماضية بمعيتك. اعتقدت على أن أقضي أيام معيك يا عزيز. لطالما كنت هديمة عدي! دائماً ما كنت أرى في خوف النساء من التقدم بالعمر ما يثير السخرية.

لطالما آمنت بأن المرأة تغدو أجمل كلما تقدم بها العمر. كنت أؤمن بأن المرأة تبدو في أوج وقيرها وجمالها وطغيان حضورها في الأربعينيات من عمرها. إلا أنني بث أخشى الكبير فجأة بعدما تخلت عنني. بث أخشى أن أكبر من دونك أو أن أكبر مع غيرك.

لا رغبة لي بالكبر مع غيرك يا عزيز، على الرغم من كل ما طالتني منك، إلا أنني لا أرغب بأن أكبر مع أحد سواك. فإما أن أكبر معك وإما أن لا أكبر. لكنني أكبر وأكبراً! أكبر من دون أن يتغير...
شيء، من دون أن يتحقق شيء، أين أن يستجد شيء... أكبر وأنت كما أنت، تعش بلا خوف وكأنك رجل لا بكر! كنت في كل ليلة عيد أمان وقلبي يرقص، كنت أستيقظ في الليلة أكثر من مرة لأنك أتغذى من أن الصباح لم يطل بعد... كنت أنتظر مفاجآتك لي كفتيلة وعدها أبواها بهدية نجاحها! لكن عيدي هذا لم يكن كسابق أعيادي. نمت تلك الليلة وفي نفسي خوف من أن أكبر أكثر! استيقظت متأخرة على غير عادتي، وجدت في صندوق رسائلني عشرات الرسائل من عائلتي، من صديقاتي، من زملائي، ومنك!...
كنت لي: (كل عام وأنت وجع قلبي.. هديتك على الباب)...
هرعت إلى الباب مرتين ملابس نومي.. فتحته لأجد آموني قفص في داخله قطة بيضاء صغيرة يكاد ألا يتجاوز عمرها الأسبوعين. كنت قد تركت على القفص بطاقة حمراء كتبت لي فيها:

كنت رقيقة كالسماء...
كنت نقيّة...
جامعه كميرة أصيلة...
جميلة كظاهرة شفية!
دافئة كقهوة الشتاء...
كنت لديّ إله...
يا فعّامة، شهية!...
وقد كنت أعيش كل ما فيك...
عينيك، كفيك، شفتيك..
ابتسامتك البريئة...
أستلحك الغيظة...
وسألت أفعلي يا جمان.. عيد ميلاد سعيد...

كانت القطة.. جميلة وناهمة لدرجة مستقنلي.. أغرمت بها
منذ أن وقع نظري عليها.. دخلت بها إلى هياء التي تخشى القطط،
فقفزت عن السرير وهي تصرخ (بيها!.. شنو هذي!..).
قلت لها وأنا أحضن القطة: (تركها عبد العزيز على
الباب...).

شعقت: هذا الولد يبي يجييلك العقم!!
ضحكت على الرغم مني.. فاسترسلت حالتة (ورأسك جمون!)
القطط تجيب العقم! شفتي الخيبه...)
حرم.. مرة صغيرة!!
صغيرة أو كبيرة، العقم عقم.. قطيها بالشارع تكفين لا
تمرضنا!..

أخذت القطة الصغيرة إلى غرفتي وأرسلت إليك (ما اسمها؟).
أجبتي بعد ثوان: أسميتها Pure!
أرسلت إليك: أحبتيها.
أجبت: كم أحبها.
كتبت بعث: لطالما أحببتك.
لكنك "بطلت"..
أحقا فعلت؟
أفعلت؟
كتبت متجاهلة سؤالك: شكرا على الهدية..
شكرًا على قبولها!...
طرقت هيفاء الباب وأخذت تصرخ من ورائه من دون أن تدخل إلى الغرفة: جمونا! متي ستمينها للشاعر؟!
هيفاء! كيف أرميها؟!
على رأسها ريشة.. ولا أبها صقر؟.. هي بنت الحمايل وبأتي القطاوة عيال الشوارع؟!
صحت فيها: هيفاء!
والله بتجيب لك العقم بابنت الحلال.
خلص هيفاء بظل القطاوة بغرفتي وماراح أطلعها برى الغرفة أبداً...

بيه كيفك.. أنتي اللي يتحملين!
لطالما أهديتيني حيوانات وأسماك، أهديتيني يومنا سلمحتك، أهديتيني سمكة شفافة، وأهديتيني في عيد ميلادي الأخير قصة!...
بدهشي أن تهديني حيوانات، أنت الرجل الذي أخبرني يوماً متشدقاً بأنه كان يشتري الصيصان في مراهقته ليحبسها في (التلجة) حتى تموت! أذكر بأنني خابت وجهي خلف كتف هيفاء حينما أخبرتي عن القصة وبيتيي بقوة معدة.. وصفك!...
أذكر أنك ضحكت متعجباً وقلت: ببي!.. تراها تباعي بريال!...
تظن أنك بأنه يحقق لك أن تتعاب بالوراح وأن تزهقها متي ما أردت طالما كان ثم شرائها بحسا!.. لم تفهم يوماً يا عزيز أن الروح لا ثمن لها لأنها أغلى من أن تكون بشم!.. لطالما كانت لدى قناعة بأن الرجل الذي لا يشفع ولا يحنو على الحيوانات، رجل غليظ القلب وصلف، فكيف ظنت بأنك ستحنون عليٍ وأنت لا تحنو على من هو أضعف متي!...
 كنت ألعب مع القطة الصغيرة حينما اتصلت، اتصلت بعد رسلتك الأخيرة في ثلاث ساعات، قلت: تردد كثيراً قبل اتصالي!...
لكن قبولي للهدية أغراني بدعوتكم...
قلت بضيق: لا أظن بأنها فكرة سليمة...
أرجوك جمانة، إنه عيد ميلادك، فلننس خلافتنا اليوم فقط جمان...
صمت لأنني مضطربة إليك، أعترف باضطرابي إليك...
قلت: اهدي لي معي الليلة، تحديدي معي حتى الصباح، لنعيد معاً...
سألتك: وماذا تكتب علي أنفاسنا؟...
أردتك أن تجربتي: لأنه لا بد من أن نعود إلى بعضنا بعضاً...
توقعتي أن تقول لأنه يجب أن تكون معاً، لكنك أعجبت وبساطة: لأنها ليلة عيدك يا جمان، أرجوك، ليس إلا ليلة واحدة...
أردت أن تعيش معاً ليلة عابرة، كلياليك التي تفضل أن تقضي حياتك من خلالها، لكنني لست امرأة عابرة يا عزيزي، فلماذا ظنت بأنني سأقضي معي ليلة مجرد أن أقضيها؟! لست أحدن كيف أصبحت رخيصة في نظرك إلى هذا الحد، إلى الحد الذي تظن بأنني سأسمح فيه أن أنسى كل ما جرى لأستمتع بوجودك ليلة عيد، ليلة عيد تظن أنني يقبل فيها كل شيء، أتعرف يا عزيزي، بت أمثل الأعياد، أصبح العيد بالنسبة إلي ليس إلا يوماً للذكري، في العيد نذكر كل من مر في حياتنا وتترك آثراً فيها، نذكر الأحياء والأموات، من سعي لأجلنا ومن تخلينا عنًا. حزيناً كان عيدي معك هذه المرة، كالحزن الذي أسكته قلبي.
من دون حتى أن تتأذى.. حاولت أن أكسر الحزن بأن أمضي اليوم معك على الرغم من رفضي الداخلي لفكرة التنزل مجدداً.. وجدت فجأة بالرغم من الغضب والحقاد والخيبة وكل ما يملاً صدري تتسرب رويداً رويداً إليّ من جديد!.. ضحكتك ليلتها من أعمالي كما لم أفعل منذ فترة طويلة.. وجدت نفسي أضبس بسعادة وأحمرّ خجلاً في كل لحظة تأملني فيها.. وجدت تدلل أنوثتي من جديد كما كنت تفعل دوماً، وقد كانت أنوثتي تستجيب إليك باستحياء مشتاق.. اشتهت إليك.. وامرأة مثلى لا قدرة لها على مقاومة الشوق يا عزيز..

تدرّك بأنني ضعيفة أمام شوقي، مثلما أدرك بأنك لطالما استغلالت حالة الشوق تلك لتعاوَد السيطرة عليّ في كل مرة أظنّ أنا بأنني قد انتعتت منك فيها!..

سألتك حينما أعدتني إلى بيتني، وقبل أن أترجل من سيارتك:

لماذا فعلت بي هذا?.. أذكر أنك أشحت بوجهك بضيق، صمت قليلاً.. وقلت من دون أن تنظر إليّ: لا أدري، أظنّ بأنني جبت!..

سألتك: مما جبت؟..

هزعت كتفك وقالت بصدق: لا أدري!.. صمتنا قليلاً، لم تتحدث أنت ولم أترجل أنا من السيارة، كنت أفكر يا عزيز.. أفكر فيما تقوله وفيما تفعله، أفكر في أسباب تنازلك عني وعن تمسك بي، أفكر في حالاتك المتناقصة التي لا أفهمها ولا أظنّ بأن أحداً غري قادر على أن يفهمها!..

سألتك: عبد العزيز، هل من الممكن أن أسألك سؤالاً؟
طبث.
أتعدني بأن تجيب بصراحة؟
قلت بصوت مخفيف: أعذرك.
عبد العزيز، أحبتيتي يوماً؟
سكت ولم تجيب، فالتفت نحوك، كانت دموعك تنهر على
ختلي بصمت.
دمعت عيناي على الرغم مني لكنني لم انطق شيئاً، كنت
بانتظار أن تقول شيئاً، أي شيء، لكن صمتك طال، كنت تجول
بصرف في الأنحاء بحيرة...
قلت بعد صمت طويل: لو تدركت كم هو جارح سؤالك يا
جمانة؟.
سألك: لماذا لم تجيب عليه؟
قلت: أليس من الغريب أن يولد حبيبا ووطننا في يوم واحد يا
جمانة؟.
الوطن الذي تبرأ منه والمرأة التي تتصل منها دوماً.
قلت باستهتار واهية: يبدو أنكما قدرتي، مهما حاولت الهرب
منكما ستظلان قدرتي...! ألم يقل كارل بنج يوماً بأننا كنا قادرين
شيئاً ازدادت سطره علينا...؟...
قلت: أقدرناك شقية إلى هذا الحد؟
ابتسمت: أتعرفين بأنني قد كتبت يوماً قصيدة باسم (شقي أنت
يا قدرتي)؟
قلت لك: شقي أنت يا قدرتي!.. كثير الهم، والأحزان
والكدر.
سأنتي بدهشة: هل عرضتها عليك؟
قرأتها في زاويتك؟
صمت قليلاً: جمانة! أنظنين بأنك قادرة على أن تنسي؟
أجيبتك بالغضب: ربما...
أما زال الحب يراودك؟
ما زالت أحلامي حمقي؟
أحبني جمانة.. أحبني حتى يأمرك الله بأن تتوقف عن حبي?
وكيف أعرف بأن الأمر قد انقضى؟
لن تعرفين، كل ما في الأمر أنك مستوفين!
ماذا عنك يا عزيز..! هل تحتاج لأن تستنسر؟
أحتاج لأن لا تنسي..! أحتاج لأن تقاومي رغبتك بالنسيدان،
لا تنسي جمانة.. لا تنسي مني.. أحتاج لأن أظل حيا.. أحتاج لأن
تقبلني .. من يدرى يا جمانة، قد نتمعن يوماً في بيت بضمنا!
استرسلت قائلة: ما زال الوقت مبكراً، ما رأيك في أن نذهب
إلى مكان نكمل فيه حديثنا؟
أسندت رأسى إلى مسند المقعد واستسلمت للطريق الذي
tسوقني فيه.. وأنا أفكر في أول يوم التقيت فيه في ذلك المقهى
قبل سنوات...
التقيت في عيد التوحيد، فغير لقاوتنا حياتي وغير صورة الوطن
في نظرك..
لن أنسى يا عزيز.. لن أنسى، لن أنسى بأن كل نجاح حققه...
حققه من خلال دعمي لك، كنت أدفعك بكل ما أتيت من قوة
إلى تحقيق أحلامك.. كنت أساندك ببسالة، متمسكة بأحلامك
وكأنها أحلامي.. شهدت على تخططاتك منذ البداية وظللت أشهدها حتى بدأت بتحقيق بعض أحلامك بعدما عرفتني.. ولا أظن بأنك كنت ستتمكن من دوني أن تفعل.. لا أحب أن أضححي.. لا يحب أحد أن يضحي ياء عزيز.. لكن التضحية خيار نحن مجبرون على اختياره.. نضحي لأننا مجبرون على التضحية لا لأننا نجحها.. لا يفضل أحد أن يتنازل عن حقوقه وعن رغبته وعن أحلامه من أجل الآخرين.. لكن الحب والخوف يجبراننا أن نفعل، الحب الذي يسيرنا والخوف من أن نفقد الحب هما سبب تضحيتنا بالكثير لأنه لا خيار لنا سوى أن نفعل!! لكنني ملأت التضحية.. أدرك الآن جيدا بأن شعور تضحيتي كان بخساً وبأن نتيجة التضحية في بعض الأحيان (لا شيء!!) تعلمت منذ طفولتي أن نتيجة التضحية والصبر فرج لاحق وأجر كبير، لكن (الفرج) لا يأتي في كل الأحوال يا عزيز، والدليل أنني لم أحقق شيئا من أحلامي بعدا.. لا تتحقق النهايات السعيدة سوى في الأفلام العربية، يتزوج العشاق وتنجح النساء العقيمات.. ويجذب التائهون طريقهم ويتنصر الخير على الشر.. في الأفلام يا عزيز!!.. فشلت في الأفلام.. ها أنا ذا حرمت منك.. وماذا بعد؟!! سأظل أندب الحب الذي بدأناه معاً وأنهيته لوحدك..

أيامي تمضي!! تمضي على الرغم من كل شيء، أكذب عليك إن قلت بأنها توقفت، لا توقف الزمن يا عزيز من خلال رغبتي.. يمضي الزمن وتمر أيامنا من دون أن تأتي لمن يحتاج لأن تتوقف.. تمضي أيامي مرأة، كثيبة.. تمر على مضض مستجيبة لدورة حياتي.. وكونة لا بد من أن تستجيب لها حتى لا تخرق قانون العظيم الذي لا يخرق قانونه أحد!! (سبحان العظيم)..
اجلس إلى نفسي بين الحين والآخر. أفتح لها سراديب العزاء... محاولة أن أعزي القلب المدفع. أذكر الملويوم بأيام طيبة وأنا أدرك بأن جريح الفقد لا يعذب شيء ولا يخفف من جرحه أحد... حاولت أن أعتبر علاقتنا انتهت... ماتت... حاولت أن أكرم علاقتنا وأن أحسن لها بعد أن توفيت لكن قلبي لم يتمكن من أن يفارقها البته، كنت أعرف بأن إكرام البيت دفته! لكن قلبي أبى... تمسك بالجزاء، قاوم وقاوم ورفض أن يدفع الحب وبيمار... وهكذا ظلت سراديب العزاء مفتوحة، والجزاء بينا لم يتجرا على دفنه أحد منها!...

توقفت سبارتك أمام الإشارة الحمراء، شدني طفل صغير يلعب مع والدته على الرصيف. كنت أتابعها يجوع. اشتكفت لأن أكون أماً يا عزيز، لم أشعر يوماً بحاجتها لأن أكون أماً إلا بعدها أحببتك وكأن الحب والأمومة ووجهان لعملة واحدة. لحما، الهنمون نفسه والحاجة ذاتها. أحببتوك وكأنك أبني يا عزيز، وكأنك طفلي الذي أنجبته بعسر. تظن أنني أستطيع منك حينما أناديك (أحياناً) بـ (ماما)....

صرخت فيك مرة بنفاذ صبر: يا ماما الله يهديك!...
أذكر كيف جاءتني حروفك من تحت ضروسك: ماني أصغر عياشكن تناديني ماما!... مو مالي عينك الرجال اللي قدامك!...
تظن بأنني أنتقص من رجولتك، لكنني أقدس رجولتك على الرغم من طغيانها وتضخمها...
أفهم الآن بأن حبي لك ملعن منذ البداية... ليست إلا لعنة
أصابتي، لعنة أدرك جيداً بأنه من الصعب التخلص منها. أكره حبي لك. ولا قدرة لي على كرهك أو الانتهاء منك!... لم تجبني يوماً يا عزيز. كنت أبكي لدرجة إنك لم تحب أحداً غيرك. لا قدرة لك على أن تحب غيرك كما ينبغي، تظن بأن البشر يدورون في ذلك وكأنك الشخص الأهم. تظن بأن مشاعر الناس وأحلامهم، أقل أهمية من مشاعرك وأحلامك.

أعتذر. أعتذر عن حبي لك، حبي الذي لم يكن ليليق برجل مثلك. أعتذر عن حب لم يتخلله رجل غيرك. ولم أطمح في إلا أن أكون معاك.

تظن أنك بأن أحلامي في الحب ساذجة وبلغني ما زلت غرة.
وأن الحب أكثر تعقيداً مما أظن. لكن أحلامي لم تكن ساذجة يا عزيز. كنمت الساذجة في أن أحب رجلاً مثالك، رجلاً أعرف جيداً بأنه لا يلقي، لا يلقي بامرة غرة!

تؤذني عمداً وكأنك تفرغ في (نفسي) أحقادك وأوجاعك وأمراضك، تؤذني عمداً باسم الحب. لكن ذريعتك الغبية ما عادت تقنعني وما عادت تغريني، ما عاد يرضي الحب الذي تدعيه وما عاد يشفيني إيمانياً بأن غداً أفضل. أحتاج لأن تحل عليك اللعنتين يا عزيز، أحتاج لأن تصاب بلعنة كالتى أصابتي لتطمئن نفسى وتسكن...

أكره حبي لك لأنني مزلت أحبك... ما زلت أحبك أكثر مما ينبغي...

لم أفهم حتى الآن كيف فعلت هذا ولماذا فعلته. كنا قابٍ قوسين أو أدنى من أن نكون معًا، من أن يلتุม الحب... من أن
يُكتمل، من أن نصل إلى آخر حدودنا معاً. أعرف الآن بأنه كان واضحاً منذ البداية بأنك لن تكون في حياتي يوماً سوى وصمة عار، وصمة عار تلهب جيني ولا مجال لأن تمحى أبداً. قلتني بدم بارد، تلذلت بقلمك كمجرم معتوه يقتل النساء من دون سبب! أريد أن أجلس عند قدميك بذلك اعتدته. فقط لأسألك، لأعرف. ولكي أفهم! لأفهم من أي شيء خلقت، وأنا تريد ثورة تؤمن.. ولماذا اخترت أن تعذبني أنا؟! لماذا أنا يا عزيز؟
في كل عصر من عصور الزمن. كانت المرأة (فدي) قومها، يقتلها قوم، يحرقها قوم ويغرقها آخرون. لطالما كانت المرأة ضده قبيلة جاهلية أو عصر أهوج.. لكل قوم أسبابهم يا عزيز، فما هي أسبابك حتى تعتديني، أم أنني امرأة تفدى بلا تم؟!.. أحتاج الآن لأن أتنازل عنك، أنا التي لا أملك فيك شيئاً.. والتي تنازلت عنها بمحض إرادةك مع أنك تملك كل شيء فيها!! مازلت أذكر تلك الليلة.. نبرتَ حينما طثبت مني أن أنسى كل شيء في آخر مكالمة لنا قبل فراقنا.
قلت: أنسى. كما نسيت أ!.. مات قلتها بفضيق، بضيق من لا يرغب بالشرح.. تظن بأنك قادر على أن تلقي عليَّ بأيام النسيان تلك فأستجيب لأنني أحتاج برأيك لأن أنسى كما نسيت!.. تظن بأنني قادرة على أن أترك كل شيء خفيف وأن أمضى قدمًا.. لكنك ما زلت معلقة.. ما زلت أتكي في جدارك الضبابي بانتظار أن تنزل سلالم النور إليَّ من حيث لا أحسب، سلالم ترفعني إلى حيث لا أدري وتنشلني من كل هذه اللجة ..
عزيتي اكثر مني ينفي
قهريني هذا الحب... قهريني إلى درجة لم أعد أفكر في شيء غيره ، أحببتك إلى درجة أنك كنت كل أحلامي... لم أكن بحاجة إلى حلم آخر... كنت الحلم الكبير، العظيم، الشهير، المطمئن... الذي لا يضاهيه في سموه ورفعته حلم!.. أقاومك بضراوة، أقاوم تخليك عنني بعنف أحياناً وصفع أحياناً أخرى، أقاوم رغبتك في أن تكركي لأنها لا قدرة لي على أن أقبل تركك إياي... أصرخ في وجهك حيّناً، وأبكي أمامك حيّناً آخر ومنغال الذل تنهش أعمامي... مصلوب أنت في قلبي... فرجل ملكك لا يموت بتبليدية، رجل ملكك يظل على رؤوس الأشهاد!.. لا ينسى ولا يرحل... ولا يموت كباقٍ البشر... أبتاع لك من المتاجر حتى اليوم كل ما يليق بك... أحتفظ بحليانك بانتظار أن أتمكن يوماً من أن أهديك إياها... أسرف هنا وأبذي هنا... ولا يغلى عليك شيء البيئة... مهفورة أنا بك، أحبك إلى درجة الهوس... الهوس الذي لا أطيقه ولا طاقة لي على الخلاص منه... أحتاج لأن يرفعي الرب إلى هناك... حيث لا تكون يا عزيز، أحتاج لأن ينزع الله قلبي من بين أضمعي ليظهره من حب ملهون... تركت لي مرة رسالة كنت فيها: إذا أضعت الحقيقة يوماً، استغفني قلبي!.. ملموين هو القلب الذي أذنني هكذا... ملموين قلبي يا عزيز فكيف استغفي ملموين؟!.. قلبي لا يستغفي قلب البته، ولا يفقه فيه أمرآ...
قلبي ضرير، روحي يتيمة وأنت جائر... فأين العدل في الفتوى؟!

أيقظتي من نومي قبل سنوات على نجيب... قلتي لي وأنت تبكي بأنك حلمت بأنني قد تزوجت من رجل آخر، كنت تبكي بحرقة كمن اغتصبت حبيبي على مرأى منه ولم يتمكن من الدفاع عنها... كان ذلك اليوم، أول يوم تطلب منه فيه أن تزوج!... لم أسَّ ذلك اليوم يا عزيز، كانت الحادية عشرة والنصف صباحاً من يوم الجمعة... وكتا قريبين... قريبين للغاية!... رأيت في مناك أنني أخذت منك... فانتفضت عليك (التملكية) ولا شيء أكثر منها!!... أنت مثلي... لا تقبل أن يؤخذ منك شيء قسراً حتى وإن أخذ منك في مجرد حلم!

في كل مرة تخاف فيها من أن تفقدني... تطلب مني أن أنتزوج!... يشعرك طلبك هذا بالقوة، تظن بأنه يحميك من أن تخسرني... والحق بأنك لم تكن بحاجة إليه كي تكسبني!!... لكل منا حكايته مع الآخر، حكايتي معك تختلف كثيراً عن حكايتك معي!!... كنت في حياتي يا عزيز (كل الرجال)... ولم أكن في حياتك يوماً سوى مجرد امرأة!!...

ما زلت أهدي بك كطفلة مريضة تقاوم بوجه غزو الحرارة، حرارة تحتل جسدي ضعيف المناعة بشراسة مرض لا يرحم... ولا قدرة لي على مقاومة شراستك بهذا الضعف وهذا الوباء... كنا نتحدث عن بدر السياق ليلة... سألتك: لماذا يصاب الرجل بنهم (المساء!!) حينما يخسر حبيبيه، لماذا يلوث نفسه بنساء عبارات!!...
أحبتي ببساطة: ألم تقل زينب حفني على لسان أحد أبطالها

بأنه حينما ينطفئ النور تتشابه النساء...

قلت: إذاً فوجودي بين ذراعيك كوجود غيري بينهما؟
لا!! هناك فرقً.. لأنني أحبك أرغب بك أكثر من أي امرأة أخرى، لكن الحرمان يوصلنا إلى وضع آخر. يختلف تماماً عماً تظنه خيانة!!

وما هو هذا الوضع برأيك؟
حينما أحرم منك سينتهي أمر عاطفتي.. لن ينفض قلبي إلا لمجرد النبض. لن أشعر بالمرارة، لكن حرماني منك لن يتمكن من رجولي.. فقد والحرمان سيشهدان على قلبي لكنهما لن يتمكنوا من جسدي!! جوع عاطفي في هذه الحالة.. سيعوض إشباع جسدي مؤقت، سأشعر عاطفتي للحظات.. لكن هذا لا يعني أنني سأشعر عاطفتي بغيرك..
لكنك ستتشع جوعك مني بغيري.

سأفضحي إليك بسر لا يعرفه الرجال عادة.. يوصى الحرمان الرجل إلى درجة تدفعه للبحث عن أي امرأة يقضي معها وطروه متخيلًا أنها حبيبه!! حينما يحرم الرجل من امرأته التي يحب، يحاول أن يبحث عن حبيته في أي امرأة أخرى ولو للحظات ليشعر بأنها معها وبين يديه، صدقني جمان.. هذه أقصى مراحل الحرمان... تبدو واثقةً مما تقول يا عزيزي!!

أنا على يقين من أن نصف رجال الدنيا يعانون من هذا الحرمان.. صدقني لو لم يكن الخيال حاضراً خلال الجنس.. لما استمرت أغلب الزيجات!!
كان تبريرك مرآً كالعادة. عُكر تبريرك صفوي يا عزيز.. لا أدرى كيف تتمكن من تجكير مزاجي بمثلك أو كلمتيين!.. تَعَكَر مزاجي وكأنك تصب حرباً أسود في كأس من الماء الصافي.
فيختلط علي كل شيء ويعكر في داخلي كل شيء ولا يعد شيء كما كان.
أذكر بأنني قد طلبت منك نصيحة في بداية علاقتنا، فابدت نصيحتك بنصيحة مني.. قلت لي تمسكي بالذي تحيينه حتى لو شارك في غيتك.. إن فقدت المرأة حب عمراً لن تشعر بالسعادة إطالةً.. ستكون حياتك مع حبيبك يوجد غيتك أخف وطأة من حياتك من دونه!
وقبلت نصيحتك تلك على مضض بعد أن نصحتك بأن تدع كبرياءك جانباً وأن لا تسمح لكبرياتك وغوروك بندمر حبك إن وجدًا.. كان واضحًا منذ البداية طريقة علاقتنا معاً. كنت تفترض وجود أخريات في كل علاقة حب نطرق إليها!!
علاقة الحب في عرفني لا تحتتمل أكثر من اثنين يا عزيز.. لا تحتتمل أكثر من امرأة ورجل ولا طرف ثالثًا بينهما. علاقة الحب في عرفني.. لا تحتتمل أكثر من رجل واحد بوجود أطراف كثيرة متفرقة!.. كنت الطرف المؤنث الوحيد في علاقاتك يا عزيز.
دائماً ما كان هناك.. أنا وأنت وأخريات.. صدقي أخبرك الآن بعد مضي سنوات.. بأنني لم أكن لأقبل بك لو كنت أعرف بأن علاقة كهذه ستتبطئ، لكنك كنت عمياً، كنت صمماً.. ولهاء وهشة... كنت وحيدك من يجيد لغة الإشارة.. وحيدك من علمي لغة برایل..
لم يكن هناك من أحد يجيد لغتي غيرك يا عزيز.. فتمنكت مني!
كنت تترجم صمتني، تقرأ عيني.. تسمع نبضات قلبي وتفهمها.. كنت
جيد لغتي كما لم يفعل أحد.
نجلس أحياناً لساعتين أو ثلاث بسما، تحاول أن تكتب
بينما أقرأ دروسي.. أرفع رأسي.. فأجدك قد اتكأت على مرفقين.
تنظر إليًّ وآنا أدرس، تلمع عيناك كفصّي ماس يتوسطان حجرين
كريمين.. أنتسم لك فتزمِّ شفتيك بسرعة خاطفة وكأنك تخشى أن
يشهد أحد على قبلك (البعدة! تلك; أرفع أحد حاجي معتبرة..
فترفع حاجبك متحدثياً.. ونضحك! لطالما تحدثنا من دون أن
نطق، لطالما تثورنا بلا صوت.. كانت نظرياتك كافية بأن تجعلني
أحمر خجلاً حيناً، وأرعت خوفاً حيناً آخر.. كنت أشعر أحياناً
وكانك تقبلني بنظرياتك أمام الناس.. وأشعر أحياناً بأنك تصرخ في
وجهي مؤثناً في حضرتكم.
آه يا عزيز.. كنت قادراً على أن تتجنبي وإياك كل هذا الوجود،
كنت قادراً على أن تختار غيري.. عرفت منذ البداية أنني امرأة لن
تنسيك غيرها، امرأة لن ترضيك ولن تكيفك.. فلماذا اخترت أن
تعرفني؟!.. جازفت في معرفتي وغامرت في معرفتك.. ودفعت
وتحفي ثمن المغامرة لأنني أحبتك أكثر من أي شيء.. تظن بأنك
قادر على أن تتفقني إلى هذا الحد بلا عقوبة ولا جزاء.. تبعتني،
تعلقي، تغفري في حبك.. فتخليني.. لتركني بلا ثمن إ..
ثارت أعصابي مرة، فصرخت في وجهك: أترضى أن يفعل
رجل بإحدى شقيقتك بعض ما تفعله بي..؟
وغضبتك كثيراً من سؤالي ذاك..
حينما كنت في الرياض معاً، كنت غاضباً، خائفاً. المتوجساً. من أن تكون شقيكتك (هديل) على علاقة مع أحد. قلت لي: لاحظت خلال هذا الشهر أن خط هاتف غرفتها مشغول طوال الليل! أخشى أن تكون على علاقة مع رجل يا جمانة! جرحني خوفك من أن تكون شقيقتك في حالة حب!
سألتك: وإن كانت؟ أجبتني بغضب: جمانة! تعرفين بأن علاقة كهذه لا تليق في مجتمعنا!
قلت لك والعنت يقطر من بين كلماتي: إذا فعلاقتنا غير لائقة?!
صحت في: أنت مريضة! ليست إلا مريضة وغضبنا أيضاً!
تندفعى قناعاتك المترسبة من مجتمع لا تحب فيه شيئاً. تدعو بأنك أكثر افتتاحاً منهم. تعيش عليهم محافظتهم وتفخري بتحررك من قبود تقاليدهم، لكنني أعرف أكثر من غيري بأنك لست إلا منهم. تثور شكاً إن تتعلق الأمر بإحدى نساء بيتك. تفتقدك خلفها هنا وهناك مديعاً خوفك من أن تثور في علاقة تظن أنها لن تسمى إلى درجة أن يطلق عليها علاقة حب. تحاول أن تتذرع لي دوماً بعلاقتنا الأسمى. تدعي أنت بأن علاقتنا مختلفة، بأنك مختلف عن رجال مجتمعنا وأن نساءه لا يشتهين في شيء!
قلت لي يوماً: لو ضمنت أن يحب رجل هديل كما أحبك، صدقني لما خشيتي عليها... صدقني يا عزيز. أخشى أن يحب رجل شقيتك كما...
أحبتي يا عزيز، لا أستطيع أن أصغِّبك.. لا أستطيع أن أقبل أن تكون عني بقدر ما أحبك. لا أستطيع أن أسمع عنك إلا عندما تتحدث. لا أستطيع أن أرى ما كننت وراءه. لا أستطيع أن أشعر ما كنت تشعره. لا أستطيع أن أقول ما كنت تقوله. لا أستطيع أن أشعر ما كنت تشعره. لا أستطيع أن أرى ما كنت ترىه. لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. لا أستطيع أن أسمع ما كنت تسمعه. لا أستطيع أن أتمثل ما كنت تتمثله. لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن أكون ما كنت كونه. في كل ما كنت، لا أستطيع أن A N O T E
النبيت إليك وأنا أفكر، أنا أيضاً لا أصدق بأنني أصبحت في
الرابعة والعشرين...
إلهي يا عزيز.. إلهي كم تجري الأيام مسرعة!!
تجري الأيام مسرعة.. أسرع مما ينبغي...!.. ظننت بأننا سنكون
في عمارنا هذا معاً وطلنا الصغير يلعب بيننا.. لكني أجلس اليوم
إلى جوارك، أندب أحلمي الحموي، غارقة في حبي لك.. ولا
قدرة لي على انشال بقايا أحلمي من بين حطامك...
أشر وكأنك تتخفني بيدك القوية يا عزيز! تتخفني وأنت تبكي
حبًا.. لا أدرى لماذا تتركني عالقة بين السماء والأرض..
لكني أدرك بأنك تسكن أطرافي.. وآنك (عزيز) كما كنت
(أحبنتك أكثر مما ينبغي، وأحببتني أقل مما استحق!!)
لن تنتهي!!...